

- واقع الأوقاف على الحرمين الشريفين
- خارج السعودية
- يوسا المتمرّد على الشيوعية نال نوبل
- صنعاء.. سحر البناء والزخرفة

فنلندا..
زيارة ذات خريف!

مجلة ثقافية شهرية - المحرم-صفر ١٤٣٢هـ/ يناير-فبراير ٢٠١١م

٤١٥
٤١٦



طالعوا موقع
«الفيصل»
الإلكتروني

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٦٥٣٠٢٧ ، ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية

١٤١١/٢٤٥٠

ردمد ١٤١١-٨٥٢٠

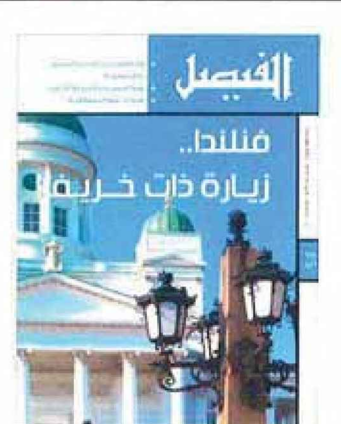
الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com



تشهد منطقة القصيم في كل سنة مهرجانات تمور تنظم مدنها وهذا يعكس ما لتمورها من جودة وشهرة ورواج. ويظل [illegible]

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم

- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا نمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته

- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

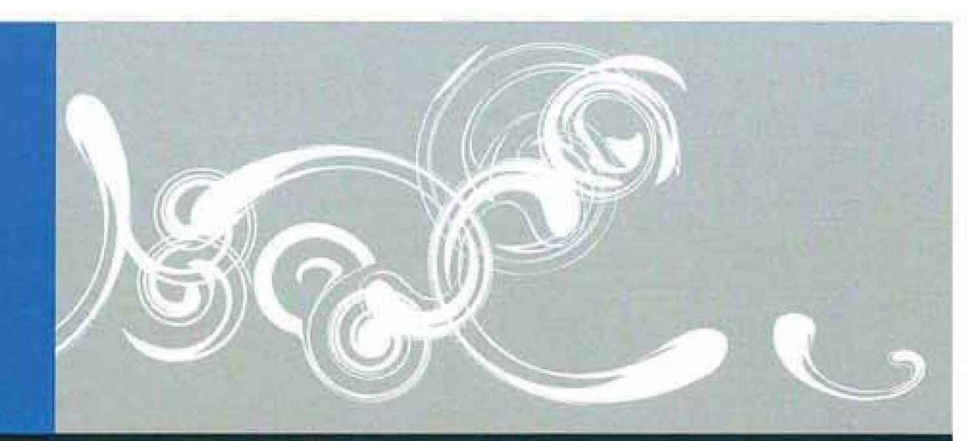
الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات، الكويت ٨٠٠ فلس، الإمارات ١٠ دراهم، قطر ١٠ ريالات، البحرين دينار واحد، عُمان ريال واحد، الأردن ٧٥٠ فلسًا، اليمن ١٠٠ ريال، مصر ٤ جنيهات، السودان ٤٠١ جنيه، المغرب ١٠ دراهم، تونس ٩٥٠، ١ دينار، الجزائر ٨٠ دينارًا، العراق ٨٠٠ فلس، سورية ٤٥ ليرة، ليبيا ٨٠٠ درهم، موريتانيا ١٠٠ أوقية، الصومال ٣٠٠٠ شلن، جيبوتي ١٥٠ فرنكًا، لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية، الباكستان ٣٠ روبية، المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية، الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع، هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر، مؤسسة توزيع الأهرام، شارع الجلاء، هاتف ٣٣٩١٠٤٥، فاكس ٣٣٩١٠٩٦، ٠٠٢٠٢. سورية، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٠٦١ هاتف ٨٤٢٨٣١٢، فاكس ٢١٢٢٥٣٢، ٠٠٩٦٣١١. تونس، الشركة التونسية للصحافة، ٣ نهج المغرب، ص.ب ٧١٩ فاكس ٣٢٣٠٠٤/٧١ هاتف ٣٢٢٤٩٩، ٧١، ٠٠٢١٦. قطر، دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٣٨٢، فاكس ٤٦٦١٨٦٥، ٠٠٩٧٤. الأردن، شركة وكالة التوزيع الأردنية، ص.ب ٣٧٥ هاتف ٥٦٣٠١٩١، فاكس ٥٦٣٥١٥٢، ٠٠٩٦٢٦. البحرين، مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠، فاكس ٥٣١٢٨١، ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة، مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٣٥٦٦٦، فاكس ٢٦٦٩٨٢٧، ٠٠٩٧١٤. الكويت، شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤٩٧٨١٠/١١/١٢، فاكس ٢٤١٧٨٠٩، ٠٠٩٦٥. المغرب، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢/٢٤٠٢٣١/٣٣٤٠٠٢١٢، ت: ٢٢٤٠٠٢٩٣. الجمهورية اليمنية، القائد للنشر والتوزيع هاتف ٢٠١٩٠١/٢، ٠٠٩٦٧٢، فاكس ٢٠١٩٠٩/٧٠.



رســـائلكم

• الاهتمام بإفريقية

أود أن أحييكم على هذا المستوى الرائع الذي أصبحت عليه المجلة، والذي يعكس ما يبذل من جهد كبير في إعدادها، وأكثر ما لفت انتباهي تنوع جنسيات الكتاب، وهذا ما يعطي للمجلة مذاقها الخاص.

وقد وجدت من خلال متابعتي اهتماماً بإفريقية وأحوال العرب والمسلمين فيها، وهذا موضوع مهم في ظل الاستقطاب الغربي الذي تتعرض له الدول الإفريقية، ومحاولة محو أي أثر للحضارة العربية، لذا آمل أن تقوم المجلة بإعداد استطلاعات حية لنقل الحقائق كما هي، لعل الدول العربية تتنبه لما يراد له من تطويق عبر هذه القارة ذات التأثير الكبير في العالم العربي.

وآمل أن يكون التركيز في الغرب الإفريقي الذي لا تزال فيه الآثار العربية باقية، ولا يزال كثيرون فيه يعتزون بانتمائهم العربي، على الرغم من عدم اهتمام العرب بتعميق العلاقات التاريخية.

وتقبلوا وافر تقديري.

محمد عمر برقو

الرياض- السعودية

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، ونؤكد لك أن إتاحة المجال للكتاب من كل الدول سياسة ثابتة للمجلة، لما في ذلك من ثراء لمادتها.

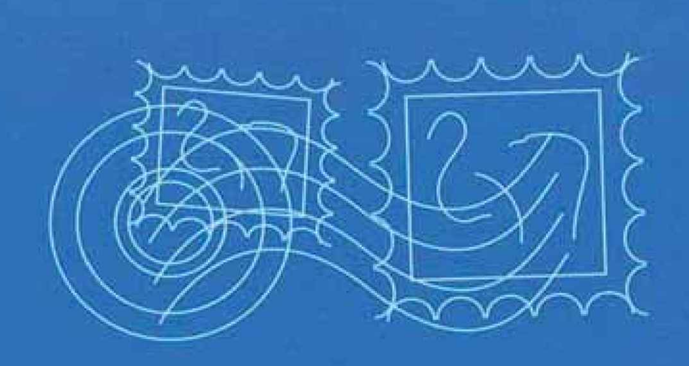
واقتراحك جدير بالاهتمام، وقد نشرت المجلة موضوعات كثير عن غرب إفريقية والتأثير العربي الإسلامي فيه، وكذلك تم تناول أعلام قاموا بأدوار عظيمة في نشر الإسلام، واللغة العربية، ويسرنا تلقي موضوعات منك ومن كل مهتم بهذه المنطقة الحيوية بالنسبة إلى العالم العربي والإسلامي.

• سبق وحسرة

قرأت الموضوع الذي كتبه الأخ الأستاذ معاوية كنة عن جوبا السودانية، وأعتقد أن المجلة حققت سبقاً بهذا الاستطلاع الذي قدم معلومات وافية عن هذه المدينة المهمة، ونقل كذلك نبض الشارع هناك.

وسوف تكون حسرتي كبيرة في حال انفصال هذا الجزء العزيز من بلادنا، لا بسبب ما قد يكون من تأثير اقتصادي، ولكن لكوني أرى أن الوحدة تحقق مصلحة الجميع، وتحقق الاستقرار الذي ظللنا ننشده زمناً طويلاً.

وكنت أتمنى لو كانت الدول العربية أقامت مشروعات استثمارية كبيرة تربط أبناء الجنوب بالعرب، لإزالة ما علق في نفوس بعضهم



من إحساس بالظلم لممارسات لا ذنب فيها للشعب السوداني في الشمال.

إنني أحيي مجلتكم على اهتمامها بقضايا السودان في إطار دورها في نشر الثقافة العربية، إلى جانب تعريفها بالثقافات المختلفة. ومع أن المعلومات أصبحت متاحة من خلال وسائل الاتصال الحديثة إلا أن الصحافة المكتوبة والمجلات ذات المحتوى العميق تظلان من المصادر الموثوقة والحميمة بالنسبة إلى من اعتادوها، وتقبلوا دعائي لكم بالتوفيق والسداد.

جمال علي خليل

الولاية الشمالية- عمارة – السودان

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، ونأمل أن يتحقق الاستقرار في هذا البلد العزيز، ونشكر كذلك للكتاب الذين يهتمون بتزويد المجلة بالجديد من الاستطلاعات والأخبار والمواد الأخرى، ونأمل أن تظل المجلات –كما ذكرت- مصدراً مهماً يغني الساحة الثقافية والفكرية.

- التمور والعسل

لقد قرأت استطلاع تمور القصيم، وأعجبني فيه أنه جاء جامعاً، ونقل صورة حية لمهرجانات التمور التي أصبحت سمة مميزة للقصيم، وأمل أن تواصل المجلة اهتمامها في تقديم نبض الحياة في المدن السعودية المختلفة، التي يتنوع تراثها، وخصوصاً مع اهتمام الهيئة العامة للسياحة والآثار بإقامة المهرجانات والفعاليات التي توضح مفردات التراث السعودي، وما يتميز به من غنى وتنوع.

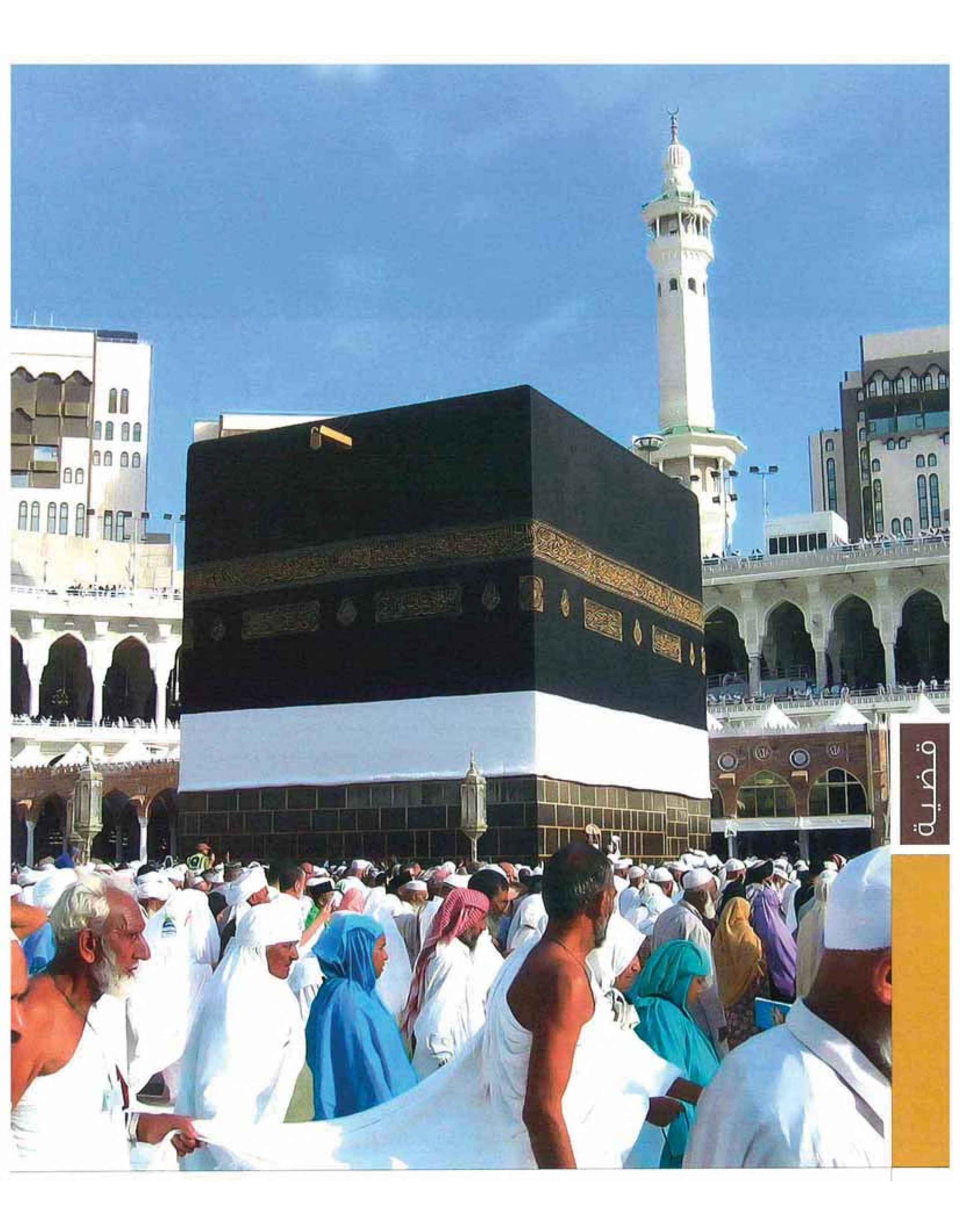
ولعلكم تفردون موضوعاً خاصاً لمهرجان العسل الذي يقام في مدينة بلجرشي بالباحة، وهو أحد المهرجانات المتميزة في تنظيمها، وفعالياتها، وهو يتطور من عام إلى أخر، وفي حاجة إلى تسليط الضوء عليه، وخصوصاً أن العسل فيه شفاء للناس، والاهتمام به ضرورة لمنافعه الجمة، ولتشجيع العاملين في هذا الحقل، إلى جانب بعده الاقتصادي الذي لا يخفى عليكم.

محمد الدوسري

الرياض- السعودية

التحرير:

يسرنا أن تجد موضوعات المجلة قبول الإخوة القراء، وسوف تجد في الأعداد القادمة تغطية واسعة لأهم الفعاليات في مدن المملكة المختلفة، وسنعمل على التنسيق مع القائمين على مهرجان العسل لإعداد استطلاع موسع عنه إن شاء الله.



واقــــع الأوقــــاف على الحـرمـيـن الشـريـفـيـن

خارج السعودية

عبد الله بن ناصر السدحان
الرياض - السعودية

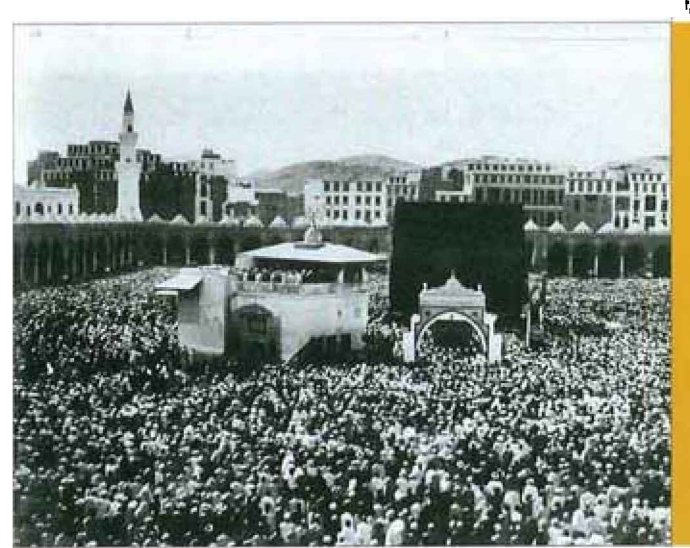


من نعم الله عز وجل علينا - نحن المسلمين - سنة الوقف، فقد كانت الأوقاف بمفهومها الواسع - ولا تزال - العامل الأساسي في الفعل الحضاري للمسلمين بما يحوط تلك المؤسسة الحضارية من حس تراحمي متحرر من ضيق الأنا إلى سعة (نحن)، ومن اقتصار المنفعة على الفرد إلى أفق النفع الواسع المتعدي، ومن حدود الاقتصار المكاني والزماني إلى الشمول النوعي، والانسياح المكاني، والامتداد الزمني، وكما ورد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «نحن خير الناس للناس».

يتمتع نظام الوقف في الإسلام في أحكامه بمرونة تمكّن الواقف من توقيت الوقف بوقت معين - كما هو جائز عند المالكية - وفق ظروف عائلية معينة يعيشها الواقف تحتّم عليه مثل هذا التوقيت في الوقف وعدم تأبيده. وبخاصة أن الذي ورد في السنة حول الوقف هو حكم إجمالي عام في أن يحبس أصل الموقوف وتسبيل ثمرته كما في الحديث الذي يرويه نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ أرضاً بخيبر لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟. قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدّقت بها». قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع، ولا يوهب، ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متموّل (رواه البخاري ومسلم).

ومن هنا يمكن القول: إن تفاصيل أحكام الوقف المقررة في الفقه اجتهادية قياسية، للرأي فيها مجال، غير أن الفقهاء أجمعوا فيها على شيء، هو أن الوقف يجب أن يكون قربةً لله تعالى.

لذا لا عجب أن نرى ذلك الإقبال الكبير على الوقف من أفراد المجتمع حكاماً ومحكومين؛ فقد كان نظام الوقف مفتوحاً أمام الجميع، ولم يكن مختصاً بفئة محددة، ويدلّ على ذلك كثرة التأليف الفقهي في باب الوقف، وهو دليل واقعي على اتساع دور الأوقاف في حياة المجتمع؛ بسبب كثرة الأوقاف ابتداءً، بدءاً من بناء المسجد النبوي الذي يُعدّ أول وقف في الإسلام، ثم أوقاف من صحبه الكرام رضوان الله عليهم، ثم التابعين، ومن تبعهم بإحسان، ثم العصور المتعاقبة. وفي اعتقادي أن الأوقاف التي كانت مرصودة على الحرمين الشريفين وخدمتها هي من أكبر الأوقاف وأكثرها على مرّ التاريخ؛ لأن الحرمين مهوى أفئدة الناس، وكانوا يتنافسون في الوقف عليها، بل كان لها دواوين خاصة في عدد من الدول الإسلامية الماضية، ومن ذلك ما كان في عهد المماليك؛ إذ خصّص ديوان مستقلّ لأوقاف الحرمين؛ مما يؤكد ضخامته. وكذلك الأمر في الدولة العثمانية؛ إذ أنشئت نظارة خاصة بأوقاف الحرمين الشريفين في سنة ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م للقيام بتنظيم أمورها وتفتيشها في فترات دورية. كما أن من الأدلة على ضخامة هذه الأوقاف ذلك الاهتمام الذي أولته الحكومة السعودية لتعرّف هذه الأوقاف وحصرها؛ إذ أدرجت مادة مستقلة في نظام الأوقاف السعودي الصادر قبل أكثر من أربعين سنة تُعنى بحصر هذه الأوقاف خارج أراضي المملكة العربية السعودية والمطالبة بغلّتها.



وقف قرى على الحرمين

لقد كان المسلمون في بقاع الأرض شتى يوقفون أوقافاً كثيرة يعود ريعها إلى الحرمين الشريفين، سواء عمارتها أم خدمتها، وكذلك لمن يقوم بالتدريس فيها، أو صيانتها والاعتناء بها، بل بلغ الأمر إلى وقف قرى كاملة على الحرمين الشريفين في بعض الدول الإسلامية، ومن ذلك ما حظي به الحرمان الشريفان من اهتمام كبير من مؤسسي الأوقاف من أهالي مصر على اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية، وتباين أوضاعهم الاقتصادية، وكانت للأوقاف المرصودة على الحرمين الشريفين إدارة مستقلة، وميزانية خاصة منفصلة عن ميزانية عموم الأوقاف في مصر إلى ما قبل سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، وكانت تلك الإدارة منذ بداياتها الأولى في عصر المماليك ذات طابع حكومي رسمي، وكانت آخر ميزانية مستقلة لأوقاف الحرمين هي ميزانية عام ١٩٥١-١٩٥٢م المالية، وتوضح أن مساحة الأراضي الزراعية الموقوفة على الحرمين كانت قد بلغت ٦٢٨١ فداناً، إضافةً إلى الأعيان الموقوفة من المباني.

وفي بلاد المغرب العربي، نجد في تونس أن الأراضي الزراعية الموقوفة على الحرمين الشريفين كانت تضم مساحات كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة الواقعة في أخصب المناطق في البلاد التونسية. وفي الجزائر، بلغت العناية بأوقاف الحرمين الشريفين مقاماً عالياً من اهتمام المسلمين الجزائريين؛ إذ كان لها مؤسسة خاصة، ويشير بعض الباحثين إلى أن مجموع الأوقاف التابعة لتلك

كانت هناك مطالبات كثيرة بأن تضطلع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية بمسؤوليتها تجاه أوقاف الحرمين الشريفين خارج الأراضي السعودية

المؤسسة يناهز ١٥٥٨ وقفاً. كما اهتم ذوو اليسار من المغاربة بحبس بعض ما يملكونه من عقار وغيره على الحرمين المكي والنبوي. ويمكن التوسّع في ذلك بالاطلاع على بعض الكتابات المتخصصة في أوقاف المغاربة على الحرمين الشريفين.

وثيقة طولها ٤٠ متراً

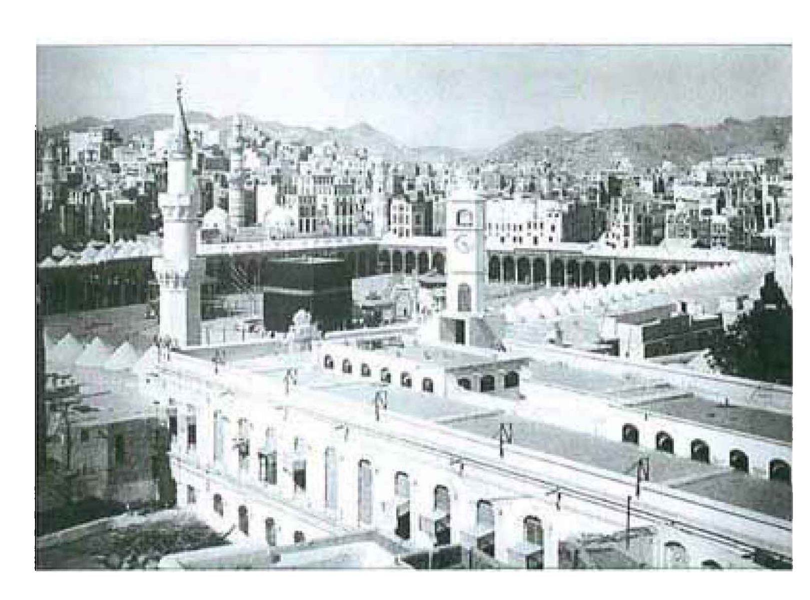
وعند الحديث عن أوقاف الحرمين لا يمكن تجاوز الإشارة إلى المثال البارز في ذلك، وهو السلطان المملوكي الأشرف شعبان، الذي خصّص أوقافاً للحرمين ضمنها في وثيقة الوقف التي كُتبت سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، ويبلغ طول هذه الوثيقة الوقفية قرابة ٤٠ متراً، وفصّلت كثيراً في تحديد المواضع والأعيان الموقوفة، ثم طرائق صرف ريع الوقف، وكان من بين المصارف ما خصّص نفقةً على صائدي الهوام والحشرات في الحرم المكي، ونفقات خيرية تشمل كسوة وأكفان دفن الموتى والإبر والخيوط للفقراء في مكة المكرمة. وقد حقّق هذه الوقفية الدكتور راشد القحطاني، وقامت مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بطباعتها في كتاب مستقلّ. كما شملت أوقاف صلاح الدين الأيوبي ثلث ناحية سنديس من أعمال القليوبية، وبلدة نقادة من عمل قوص، على أربعة وعشرين خادماً لخدمة المسجد النبوي الشريف في سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م.

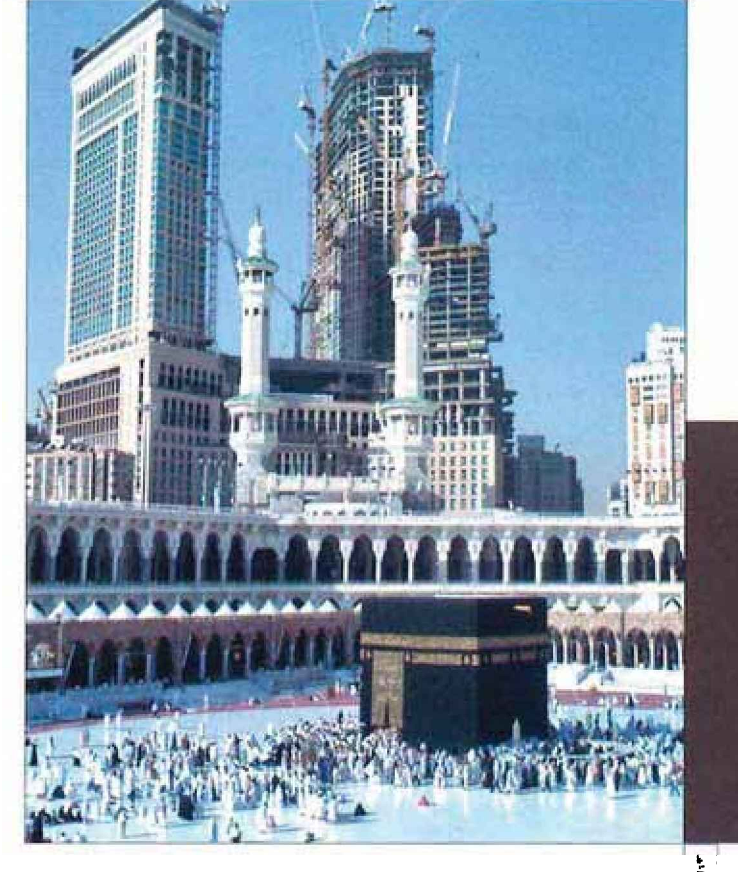
هذه مجرد أمثلة، وإلا فهناك المئات من الأوقاف في بقاع الأرض شتى موقوفة على الحرمين، وبخاصة في بعض البلدان الإسلامية؛ مثل: تركيا، والهند، وبلاد الشام عامةً. ويذكر أحد الباحثين أنه في أثناء مراجعته الوثائق الوقفية في المحفوظات العثمانية في دمشق وإسطنبول حصل على وثائق تثبت وجود عدد من الأوقاف على الحرمين الشريفين في أرياف لبنان، وبالتحديد في منطقة البقاع، فإذا كان ذلك في الأرياف من تلك الدول فكيف بالعواصم؟!. إن مما لا شك فيه أن هناك أوقافاً ضخمة موقوفة على الحرمين الشريفين في بقاع العالم شتّى، ولكنها لم تُوثّق تحديداً؛ مما أدى إلى ضياعها كما سنرى.

الأوقاف في العهد السعودي

لقد كان ريع الأوقاف المخصّصة للحرمين يُرسل مع الحجيج الذاهبين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في كل عام من مختلف مناطق العالم الإسلامي. وفي سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م أنشأ الملك عبدالعزيز آل سعود إدارةً للأوقاف في مكة المكرمة. وفي تلك السنة تسلّم مندوب أغوات الحرم الشريف غلة الأوقاف المخصصة لهم في الأحساء والبصرة. وفي سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥م بلغت إيرادات أوقاف الحرمين الشريفين في مصر مبلغاً يزيد على سبعة وأربعين ألف جنيه مصري. وفي السنة نفسها تشير الأخبار إلى وصول ريع أوقاف الحرمين الشريفين من فلسطين وتونس.

ومن المعلوم الآن أن الحكومة السعودية تكفّلت بالصرف الكامل والسخيّ على الحرمين الشريفين وشؤونهما





وتعميرهما وفرشهما وصيانتهما وتوسعتهما، وتحمّلت كلّ ذلك من خلال رصد ميزانية خاصة بهما، كما استفادت من موارد أوقاف الحرمين الموجودة في داخل المملكة، فقامت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بإنشاء الفنادق والعمارات السكنية الإنمائية على بعض الأراضي الموقوفة على الحرمين. ولعلّ أضخم هذه الأوقاف وأكبرها وقف الملك عبدالعزيز الذي أقيم جنوب المسجد الحرام على الجبل المسمى (بلبل) على أنقاض قلعة أجياد العسكرية. ويُعدّ وقف الملك عبدالعزيز هذا أضخم وقف إسلامي على الأرض مساحةً وريعاً متوقعاً؛ إذ يتكون المشروع من أحد عشر برجاً سكنياً وعدد من الفنادق والأسواق التجارية.

وقد تعالت الأصوات أكثر من مرة بالعمل على حصر هذه الأوقاف الخاصة بالحرمين في خارج الأراضي السعودية، وتوجيهها إلى مصارفها التي أرادها الواقفون. وهذه المطالبات ليست بجديدة؛ فمن ذلك ما نادى به شكيب أرسلان قبل أكثر من ثمانين سنة، وتحديداً في سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، بقوله: «ولا يزال حتى اليوم في بلاد الإسلام أوقاف لا تُحصى محبوسة على الحرمين الشريفين كان يجب على حكومات هذه البلدان من إسلامية وأجنبية أن تحسن إدارتها، ولا تحتجن شيئاً من حاصلاتها لإنفاقها في حاجات أخر، بل ترفعها كلها إلى الحرمين حسب شروط الواقفين. وإذا قدّرنا أنها لا تثق في حكومة الحجاز، أو بأعيان أهالي الحجاز، في قضية توزيع هذه الصدقات، أو إنفاق هذه الأموال في وجوه الخير، فلا عليها أكثر من الإشراف أو الاشتراك مع حكومة الحجاز في التوزيع والإنفاق على المشروعات الخيرية التي بإحيائها يعمر الحجاز».

جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين

ويظهر أنه نتيجةً لتلك المطالبة صدر في سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م نظام يُعنى بالمطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين بالطرائق الممكنة المشروعة في أيّ جهة كانت، عن طريق إنشاء جمعية مختصة بهذا الأمر، مقرّها مكة المكرمة والمدينة المنورة، سُمّيت (جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين). ويتكون نظام الجمعية من ٢٢ مادة، وقد نُشر النظام في الصحف الصادرة في تلك الحقبة، ويؤكد نظامها أنها جمعية خيرية محض، ولا تتعاطى السياسة مطلقاً، ولها الحق في تعيين محامين وإيفاد مندوبين إلى الخارج، أو الاتصال بالجمعيات والهيئات الخيرية في الخارج لتحقيق مبتغاها، كما لها الحق في تشكيل فروع لها داخل المملكة.

يتمتع نظام الوقف في الإسلام في أحكامه بمرونة تمكن الواقف من توقيت الوقف بوقت معين - كما هو جائز عند المالكية - وفق ظروف عائلية معينة يعيشها الواقف تحتم عليه مثل هذا التوقيت

وينحصر دورها في تحصيل مبالغ تلك الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها بالاشتراك مع مديرية الأوقاف عند التوزيع، وليس لها أيّ مورد مالي إلا تبرّعات المحسنين والاشتراكات السنوية للمواطنين الراغبين في دعم الجمعية وأعمالها.

وقد تكرّرت مناشدات الشيخ عبدالله الشيبي - رئيس الجمعية آنذاك - ودعوته أصحاب أوقاف الحرمين الشريفين في الداخل والخارج للوفاء بالأموال والحاصلات المستحقة عليهم لتقديمها إلى من وُقفت أو حُبست عليهم؛ فقد كانت الصحف تنشر بين مدة وأخرى تلك المطالبات، فضلاً عن مطالبة الموسرين بدعم الجمعية لتقوم بواجبها. وكانت تصل إليهم بعض الأوقاف من بعض الدول لتقوم بتوزيعها؛ إذ نشرت الصحف الصادرة في ذلك الوقت أنباء عن وصول أوقاف من تونس، وكذلك من فلسطين. في حين امتنعت بعض الدول؛ مثل مصر، عن إرسال ريع أوقافها لأسباب سياسة كما يذكر الخبر المنشور في الصحف. وبالجملة، يظهر أن تجاوب الدول الإسلامية والجهات الخارجية الأخرى أقلّ مما كان متوقعاً؛ مما حدا بالجمعية إلى إرسال مندوبين لها إلى الأقطار الإسلامية، وتمّ إرسال أربعة أشخاص من الجمعية لهذا الهدف.

والذي يظهر أن الجمعية لم تستمر طويلاً، بدليل عدم الإشارة إلى ذلك في الصحافة المحلية بعد سنوات قليلة من تاريخ إشهارها. ويتضح ذلك من خلال الاستقراء العام للكشاف التحليلي للصحيفتين اللتين تصدران في ذلك الوقت في تلك المنطقة، وهما: صحيفة (أم القرى) وصحيفة (صوت الحجاز)، الذي أعدّته دارة الملك عبدالعزيز بالرياض في ثلاثة مجلدات؛ فلم ترد أيّ إشارة إلى تلك الجمعية بعد ذلك التاريخ؛ إذ يبدو أنها واجهت صعوبات مادية لتأدية عملها، وتحقيق أهدافها؛ فقد كانت مهمتها ليست بالسهلة. وتتطلب سفر أشخاص إلى عدد من الدول في الخارج لمتابعة الأوقاف هناك، والتواصل مع حكومات تلك الدول. ومن هنا ضعف صوتها، ولم يعُدْ لها ذكر الآن. وعلى الرغم من حرص الدولة في حينها على عدم اصطباغها باللبوس السياسي، والنصّ في نظامها على ذلك، لكن الذي يظهر أن مسوح السياسة لم ينفكّ عنها، وبخاصة عند بعض الدول التي كانت لها نظرة أخرى في موضوع إدارة الحرمين الشريفين؛ مما أدى إلى تعطّل الجمعية وانتهائها. وفي ذلك سبب رئيس لاندثار الأوقاف المخصّصة للحرمين الشريفين في خارج المملكة العربية السعودية.

كانت هناك مطالبات كثيرة بأن تضطلع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية بمسؤوليتها تجاه أوقاف الحرمين الشريفين خارج الأراضي السعودية. وحصرها، والمطالبة بريعها؛ لصرفه في الأوجه التي حدّدها الواقفون. ولكن من المعلوم أن أمر حصر أوقاف الحرمين في خارج أراضي المملكة العربية السعودية، والمطالبة بها، ليس للوزارة بشكل مستقلّ، ولا يكتنفه الوجه الشرعي فقط، بل للموضوع أبعاد سياسية ودولية لا تخفى على أصحاب الشأن. ومن هنا، فالقرار في موضوع أوقاف الحرمين في الخارج يحتاج في المملكة العربية السعودية إلى توجّه سياسي قبل أن يكون شرعياً، وكذلك في بقية الدول الإسلامية التي يوجد بها أوقاف للحرمين الشريفين، ولا يتوقف الأمر على جهد وزارة فحسب.

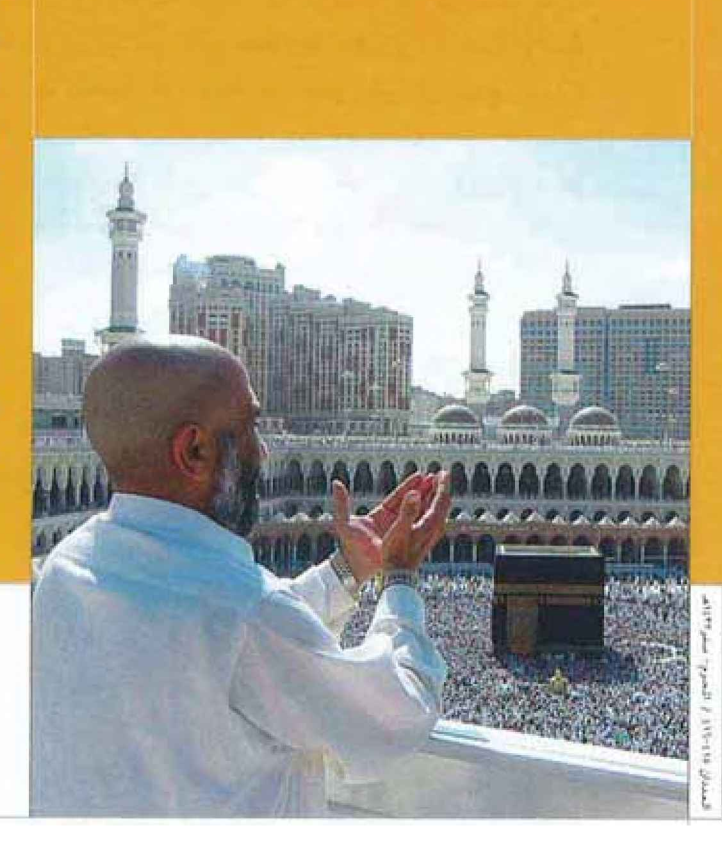
أوقاف زالت

إن مدار الحديث في هذا المقال هو السؤال عن مصير هذه الأوقاف الضخمة الموقوفة على الحرمين الشريفين، ومن يقوم بخدمتها أو التدريس فيها؛ فمما لا شك فيه أنه فُقد كثير منها، وتلاشى كثير كذلك. وقد يكون السبب في ذلك الوضعية القانونية للأوقاف الدولية - أوقاف الحرمين - بعد الاستقلال السياسي للدول العربية والإسلامية؛ إذ تشكّلت تشريعات مؤسسات الدولة الحديثة. وهي في أساسها قوانين تعتمد على مبادئ السيادة والانتماء إلى رقعة جغرافية

الأوقاف المرصودة للحرمين الشريفين خارج المملكة العربية السعودية زالت وهلكت وضاعت لعدة أسباب، من أبرزها: عدم وجود المتابع لهذه الأوقاف من جانب، وعدم وجود الحاجة إليها من جانب آخر

الوقف

الوقف من المنابع الخيرية ذات الصفة التطوعية، التي لا إلزام للفرد المسلم فيها، ولا مكره له فيها؛ فالمسلم حين يتنازل عن جزء من ماله طواعيةً فهو يتمثّل الرحمة المهداة في الإسلام للبشر أجمع، ويتحرّر به من ضيق الفردية والأنانية، متجاوزاً الأنا إلى الكلّ، شاملاً المجتمع بمختلف أفراده وطوائفه وشرائحه بخيرية الفرد؛ إذ إن فكرة الوقف تحمل في مفهومها الواسع معنى الحرية؛ لأن ممارسة الوقف هي في الوقت نفسه عمل من أعمال تحرير الإرادة الفردية من أثقال المادة، ومن أسر شهوة التملّك وجمع المال والاحتفاظ به؛ فالوقف يؤسّس قيمة الحرية في ذهن الواقف ابتداءً، ويرسّخها في نفسه مآلاً؛ فالوقف يساعد الإنسان على إخراج نفسه من حيّزها الضيق إلى حيّزها الاجتماعي الأوسع؛ تحقيقاً لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي حدّد فيه دور الفرد المسلم تجاه المجتمع؛ ففي الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (رواه البخاري).



كان ريع الأوقاف المخصّصة للحرمين يرسل مع الحجيج الذاهبين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في كل عام من مختلف مناطق العالم الإسلامي

محدودة. وقد ساعدت هذه القوانين بعض البلدان العربية على ضم جميع الأوقاف الخيرية، بما فيها الدولية، تحت إدارة وزارة الأوقاف، بعد أن كان أغلبها يُدار بإدارة مستقلة. إضافةً إلى تخويل وزارة الأوقاف تغيير مصارف الأوقاف الخيرية من دون تقيّد بشروط واقفيها. وفي بعض البلدان الأخرى ضاعت الأوقاف الدولية - أوقاف الحرمين - بسبب عدم الاهتمام العام بالأوقاف، وتمّ الاستيلاء عليها بغير وجه حق.

إن الشاهد مما ذكر بشأن الأوقاف المرصودة للحرمين الشريفين خارج المملكة العربية السعودية أنها قد زالت وهلكت وضاعت لعدة أسباب، من أبرزها: عدم وجود المتابع لهذه الأوقاف من جانب، وعدم وجود الحاجة إليها من جانب آخر: فمن المعلوم أن حكومة المملكة العربية السعودية قد تكفّلت بكلّ ما يخصّ الحرمين الشريفين بدايةً ونهايةً، من توسعة، ونظافة، وصيانة، ورعاية، ولا ينكر جهودها في ذلك إلا مكابر. كما أن الشكل العام لهذه الأوقاف مدعاة لضياعها؛ فالوقف في بلد، ومصرفه في بلد آخر مع بعد المسافات. وعدم وجود جهة مركزية لمتابعتها قد أدى إلى فقدان كثير منها، ومما يؤكد ذلك أن معظم أوقاف الحرمين

في الخارج ما عاد يصل من عوائدها إلى الحرمين إلا القليل، وقد يكون بشكل شخصي لبعض الجاليات، وخصوصاً من المغرب العربي الذي تصل الأخبار إلى توزيع صدقات على رعايا تلك الدول ممن هم مجاورون للحرمين الشريفين أو يقومون بالتدريس فيه. وتحليل الواقع يبرز أنه من الصعب إدارة هذه الأوقاف لبعد المسافات، كما أن عدم وجود من يطالب بغلتها ومراقبة استثماراتها جعل ذمة الناظر وحرص السلطان أو الحاكم هي الأساس لصلاحها وبقائها. ومن ثمّ فقد ضاع معظم هذه الأوقاف؛ مما يعني شمولها بموضوع الاندثار القسري لهذه الأوقاف في مختلف بقاع العالم الإسلامي. ومما يؤسف له أن استقراء التاريخ الوقفي يظهر أن هذه الأوقاف كانت بأحجام كبيرة جداً، وأعداد كثيرة، وغلاتها ضخمة جداً ومتنوعة.

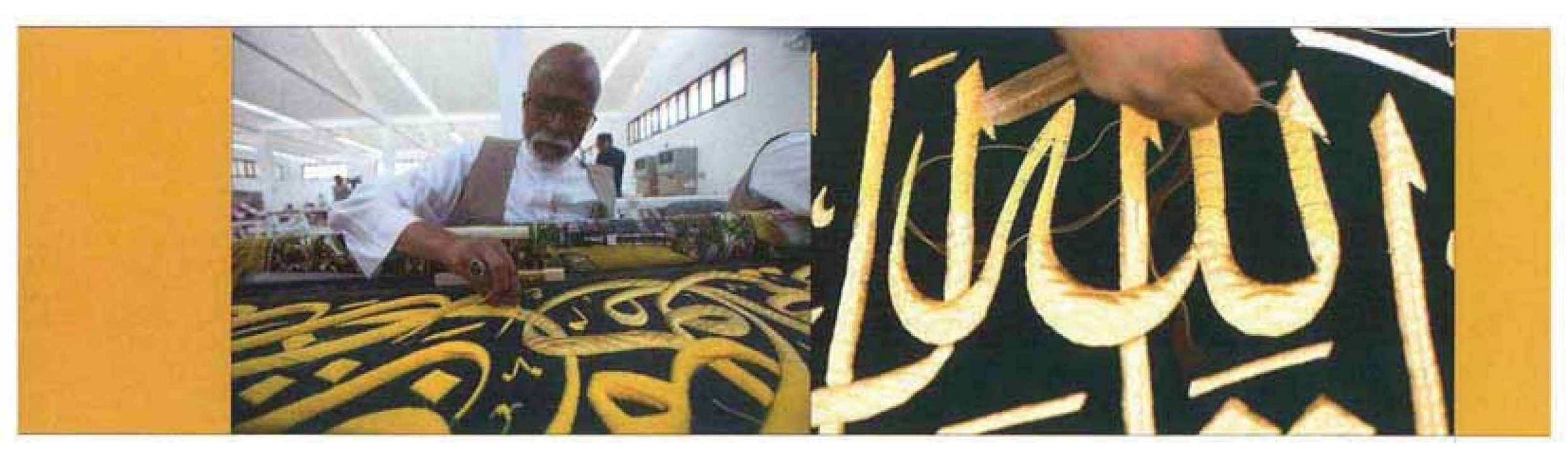
ولا شك أن السبب الرئيس لضياع أوقاف الحرمين خارج المملكة العربية السعودية عدم وجود صلة مكانية أو إدارية أو إشرافية بين الوقف – إشرافاً وإدارةً وصيانةً – من جهة، وبين أوجه صرف ريعه من جهة أخرى. وهذا الأمر متمثل تماماً في الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين في خارج الأراضي السعودية؛ فمما لا شك فيه أن عدم وجود المتابع المنتظر للغلة يجعل عملية الرقابة على الوقف ضعيفة جداً، أو معدومة تماماً. والواقع يبرز أنه من الصعب إدارة هذه الأوقاف لبعد المسافات. كما أن عدم وجود من يطالب بغلتها ومراقبة استثماراتها جعل ذمة الناظر وحرص الدولة في تلك المناطق البعيدة هي الأساس لصلاحها وبقائها. ولا يخفى أن كثيراً من الأوقاف في عدد من الدول الإسلامية ضاعت واندثرت حتى مع وجود مصارفها ومتوليها في الدولة نفسها، فكيف بالأوقاف التي متوليها ليس فيها، ومصرفها بعيد منها؟!.

تعالت الأصوات أكثر من مرة بالعمل على حصر هذه الأوقاف الخاصة بالحرمين في خارج الأراضي السعودية، وتوجيهها إلى مصارفها التي أرادها الواقفون

وقد يكون سبب آخر من الأسباب، وهو تضييق المستعمر الذي جثم على صدر عدد من الدول الإسلامية حقبةً من الزمن؛ فعلى سبيل المثال: نجد أن السلطات الفرنسية سعت إلى تقليص دور الأوقاف في الجزائر لدرجة أنه منذ وضع الاستعمار الفرنسي قدمه على الأرض شرع في تقويض دعائم هذه الأوقاف، وتشتيت شملها، وهدم معالمها، وقد أصدر الاستعمار قراراً بفسخ جميع أحباس الحرمين الشريفين بدعوى أن مداخيلها تنفق على الأجانب.

وتأتي المعضلة الثانية بالنسبة إلى أوقاف الحرمين في خارج المملكة العربية السعودية من جانب الشكل القانوني لهذه الأوقاف بعد الاستقلال السياسي للدول؛ فقد تشكّلت تشريعات مؤسسات الدولة الحديثة، وهي في أساسها قوانين تعتمد على مبادئ السيادة والانتماء إلى حدود إقليمية ذات سيادة، كما أن قوانين الوقف في بعض البلدان أدّت إلى سيطرة وزارات الأوقاف على جميع الأوقاف الخيرية، بما فيها الأوقاف الخاصة بالحرمين. والعامل الأكبر المؤثّر في وضعية هذه الأوقاف هو إعطاء بعض القوانين الوقفية في بعض الدول وزارات الأوقاف صلاحية تغيير مصارف الأوقاف الخيرية من دون اهتمام لشرط واقفها؛ لذلك ضاع معظم هذه الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين.

على الرغم من ورود مادة في نظام مجلس الأوقاف الأعلى في المملكة العربية السعودية، الصادر بمرسوم ملكي في سنة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، تشير إلى أن من اختصاص مجلس الأوقاف الأعلى وضع خطة عامة لتعرّف جميع الأوقاف الخيرية الموجودة خارج المملكة باسم (الحرمين الشريفين) أو أيّ جهة أخرى، وحصرها في سجلات نهائية، والحصول على الوثائق المثبتة لها، وتولّي أمورها، والمطالبة بغلاتها طبقاً لشروط الواقفين. إلا أن المهمة أصعب مما قد يتصوّره بعض الناس لعدة أمور؛ بعضها إداري وتنظيمي، وبعضها الآخر ما لهذا الموضوع من بُعد سياسي، وما يستتبعه من أمور سيادية لكل دولة. فضلاً عما يُطرح بين فينة وأخرى من قضية ما يسمّى بـ(تدويل الحرمين)؛ إذ – للأسف – يُتعامل مع هذا الموضوع الشرعي البحت بمنظور سياسي



وكأنه صفقات تجارية؛ فهذا الأمر من وجهة نظر الكاتب لا يعدو أن يكون وقفاً شرعياً احتبسه مسلم ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ في أحد بقاع الأرض على الحرمين الشريفين ومجاوريهما، ثم يأتي من يمنع ريع هذا الوقف من الوصول إلى مستحقيه لأيّ سبب من الأسباب. ولو توقف الأمر عند هذا الحد لكان مقبولاً إلى حدّ ما، ولكن هذا الوقف تُرك ليندثر ويزول بسبب عدم القيام بحقّه صيانةً وصرفاً. وعلى الرغم من عدم وجود حاجة لدى الدولة السعودية الآن إلى مثل هذه الأوقاف؛ بسبب صرفها السخيّ من ميزانيتها، ثم من الوقف الضخم الذي وُقف في سنة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م). ولكن الموضوع يبقى مسألة شرعية في أصله، وفي اعتقادي أنه سيأثم من تسبّب بمنع أيّ وقف ابتداءً، ثم اندثار أصل هذا الوقف انتهاءً. ومن هنا فإنه يمكن القول: إنه في ظلّ هذه المعوقات قد لا يكون بمقدور وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة العربية السعودية بمفردها القيام بهذه المهمة المتشعبة والشائكة؛ لذا فقد يكون الحلّ في تبنّي إحدى المنظمات الدولية الإسلامية؛ كالبنك الإسلامي للتنمية، أو مؤتمر العالم الإسلامي، أو رابطة العالم الإسلامي، أو الهيئة العالمية للوقف المنبثقة من البنك الإسلامي للتنمية، السعي إلى استرداد ما يمكن استرداده من أوقاف هي في حكم المندثرة الآن، وهي تحتاج إلى تعيين محامين لها، وخصوصاً في الدول الفقيرة، أو في الدول غير الإسلامية؛ إذ يشير بعض المحامين إلى إمكانية استرداد كثير من الأوقاف لو عُيّن محامون يتفرغون لها، فيمكن إرجاعها مع توافر المبالغ المالية، ووقت من الزمن، والمتابعة. ولعل مثل هذا المشروع يزيل الحساسية السياسية بين الدول التي يوجد بها الأوقاف الخاصة بالحرمين الشريفين، ويسهل عملية الحصر، وصرف الوقف إلى مستحقيه دونما دخول في حومات السياسة أو صراعاتها؛ فهذه الأوقاف ينبغي أن يُنظر إليها بالمنظار الشرعي المحقّق لمصلحة الوقف والواقف.

المراجع

- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، محمّد أمين.
- الأوقاف في تركيا ، سهيل صابان، مجلة الفيصل ، العدد ٣٢٢.
- الأوقاف والسياسة في مصر ، إبراهيم البيومي غانم.
- أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين، حسن الوراكلي، في (مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية).
- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، راشد بن سعد القحطاني.
- كتمان الوقف واندثاره، محمّد قاسم الشوم، في (المؤتمر الثاني للأوقاف بالمملكة العربية السعودية).
- رحلة الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، شكيب أرسلان.
- صحيفة صوت الحجاز ، مكة المكرمة.
- صحيفة أم القرى ، مكة المكرمة.
- عولمة الصدقة الجارية، طارق عبد الله.

قصيدة

البحر



نوري الوائلي

نيويورك – الولايات المتحدة الأمريكية

يا قارئ الشعر هل طابت لك الدارُ   واشتدّ عزمك واستهواك دينارُ؟

يا قارئ الشعر كم أعطتك مقتضباً   هذي الحياة وكم عزّتك أقدارُ؟

هل دار ليلك والآمالُ موصلة   أم أن حلمك عند الفجر أخبارُ؟

هل عشت دهرك والأيّام آمنة   أم أن دهرك مثل البحر أطوارُ؟

فالبحرُ يوماً كأن الطير ساكنه   والريح منه إلى الربان مضمارُ

جنّدت ركبك والأحلام مشرعة   والوهمُ أنساك أن البحر غدّارُ

تدنو من الجرف بالأسماك ممتلئاً   فانتاب جمعك عند الجرف إعصارُ

هذي هي الحال إن ساقتك في جهل   سوءُ النوازع أو يحدوك أشرارُ

نلهو وتجري بنا الأيّام مسرعة   مثل الضياء كأنّ العمر مشوارُ

كم ضاع منّا خليل أو ذوو رحم   حتى كأنّ جموع الأهل أنفارُ

صرنا كمن هجر الأوطان معتذراً   فالأهلُ ماضون والأصحاب زوّارُ

مثل القطار ركبنا من ولادتنا   فيه المحطّات للركاب أدوار

تعطى البطاقات لا ندري مقاصدها   والركب يسري كأنّ القصد أمتارُ

عند المحطات ترسينا مصايرنا   ونترك الركب والآمال أسحارُ

مثل الخيال فإن الموت يتبعنا   حتى علانا، فشدّ النعشَ مسمارُ

يأتي إلينا كأن النوم غالبنا   أو لم نرَ الموت للأحباب يختارُ

نجري من الموت والآمال تجرفنا   حتى صحونا وزهو النفس ينهارُ

نعدو من الموت أميالاً فنحسبه   قد غاب عنا وبُعد الموت أشبارُ

ما لي أرى النفس قد هامت بزائلة   وانساب فيها إلى اللّذات إصرارُ

الوقت أصبح أموالاً فما ملئت   منها العيون، كأن المال أنوارُ

الناس تلهث والدينار مطلبها   وهل تُشافي ثرى البيداء أمطارُ؟

هل أشبع الدهر نفساً أو شفى ظمأ   وهل أضاءت سرابَ البيد أزهارُ؟

هذي هي الحال لا تفرح بزائلة   فما استدامت لأهل الأرض أعمارُ

هذي الحياة فلا تيأس لنائبة   إن النوائب للألباب إنذارُ

ما لي إذا ملئت بالمال أوديتي   فانتابني سقم وانتابها نارُ

حسبي الفُتاة وخيط الصوف يسترني   والمتّغف سقفي وطول الدار أشبارُ

ما يشبع النفس والأطماع سُفْرتها   إلا التراب، وتعلو الجسم أحجارُ

ما يذكر الموت إلا مؤمن فطن   قد ساقه العقل واستقراه أبصارُ

الناس موتى وهم في حالها هرج   والصالحون بها أحياءُ أبرارُ

ما فاز فيها شقيّ أو أخو جهل   بل فاز فيها إلى الجنّات أخيارُ



فنلندا..
زيـارة ذات خـريـف!

هيئة التحرير

الجغرافيا امرأة

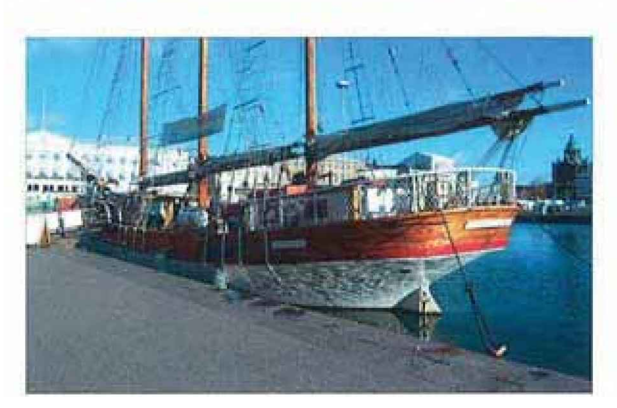
الجغرافيا امرأة متعددة الوجوه.. امرأة حبلى عشقت التاريخ حيناً، وتمرّدت عليه في أحايين كثرا. ثمة ما هو جديد حين تقذف بقدميك في مكان ما. إذاً، تنتشل حواسك من ربقة الاعتياد لتعيدها إلى مواجهة سطوة المكان: لغته، وإيقاعه، وروائحه، وطعمه، وبنائه،... إلخ. تفاصيل شتى تضيفها إلى فسيفساء الذاكرة..

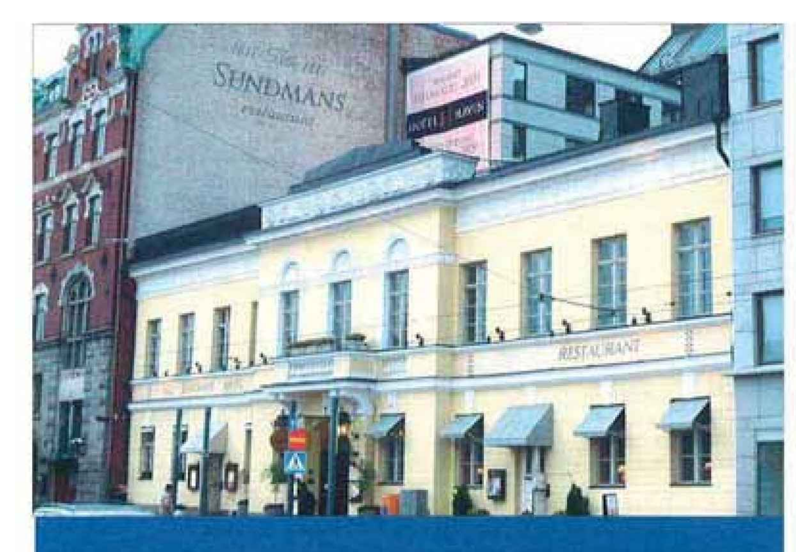
كان شيئاً يشبه الفرح والترقب يصعد بي وأنا أتّجه إلى العاصمة الفنلندية (هلسنكي)، كما لو كنت أسافر للمرة الأولى في حياتي!. ولا أخفيكم أني تساءلت عن استغرابي لهذا، فلم أجد جواباً!. قلت: ربما هي سطوة الخيال الجامحة التي رافقها معنى الذهاب إلى شمال الشمال: فنلندا!.

كنا في منتصف شهر أكتوبر. وكان الخريف خريفاً بمعنى الكلمة. وبدت أشجار الغابات التي تحيط بالمطار تتثاءب وهي تبدّل بملابسها الصيفية الخضراء أخرى تغلب عليها تقاطعات الأحمر والأخضر والأصفر والبرتقالي.. كانت الجغرافيا بكامل أناقتها وأنوثتها وهي تعرض ملابسها الخريفية الزاهية. إنها تعلن لقتامة الشتاء وجودها الأزلي في هذه الحضرة المهيبة. طائرتنا التي توشك على الهبوط في مطار هلسنكي بدت متّسقة مع المشهد العام كما لو كانت ورقة معدنية ملونة قذفت بها السماء في الوقت عينه مع ملايين الملايين من الأوراق المتساقطة من أشجار هذه الغابة المحيطة بالمطار التي يحفّها ضباب غامض وسكون لم يقطعه سوى ارتطام عجلات الطائرة بمدرج المطار.

هل لديك بطاقات؟

حين غادرت المطار (الهادئ إلى حد الكآبة) سألني سائق سيارة الأجرة التي كانت في انتظاري: هل تحمل بطاقات لسيارة الأجرة؟ وقبل أن أجيب (حين أدرك استغرابي السؤال) أردف: إنها مثل هذه، وأراني أنموذجاً لبطاقات مسبقة الدفع. قلت له: لا. قال: حسناً، لا بد أنهم تركوها لك في الفندق. وتأكد له ذلك باتصال سريع قام به للفندق.

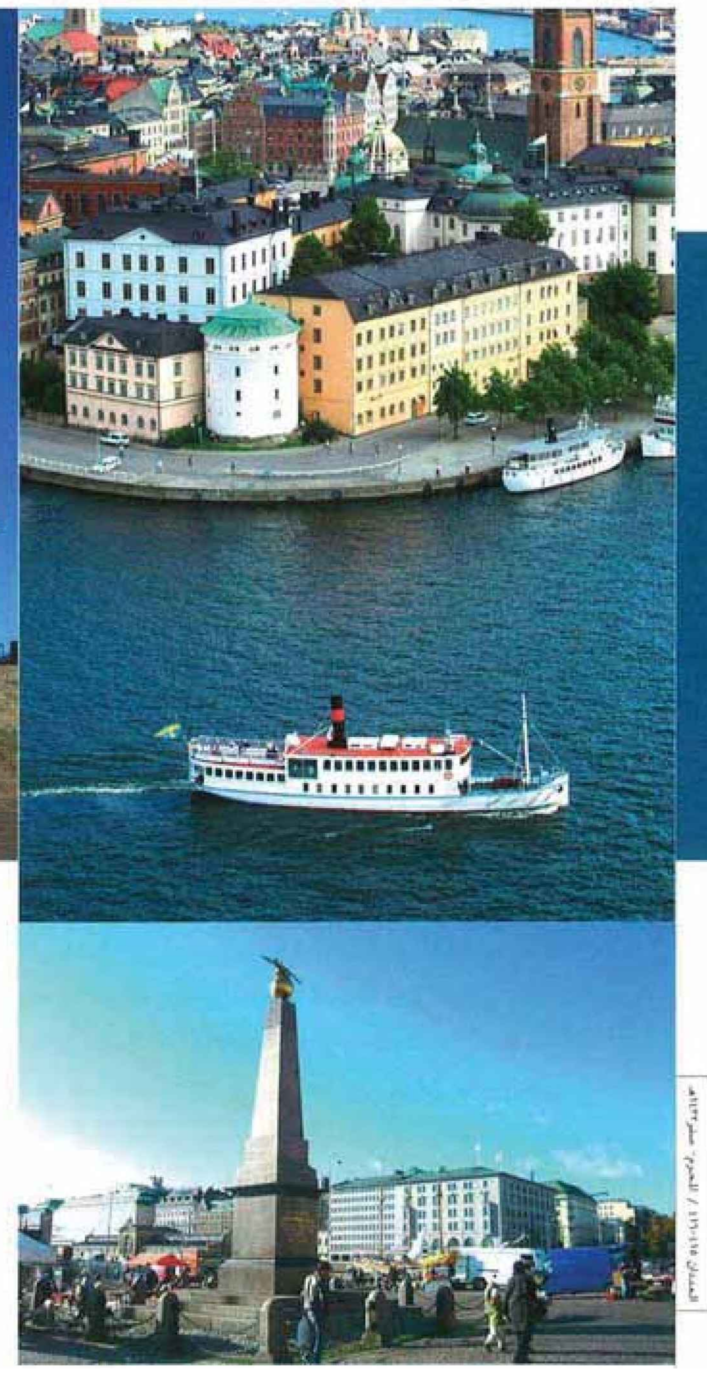




استوطن الإنسان فنلندا بعد نهاية العصر الجليدي، وسكنها قوم قدموا من روسيا في الشرق، وعدد آخر من الدول المجاورة لها المعروفة بدول البلطيق




اقتران جمال الطبيعة بروعة العمارة



الموقع

جمهورية فنلندا هي إحدى دول أوربا الإسكندنافية، وتقع في شمال القارة بين خطّي العرض ٦٠ و٧٠. ويحدّها من ناحية الشمال النرويج، ومن الشرق روسيا، بينما يفصلها عن إستونيا خليج فنلندا، ومن الجنوب الغربي بحر البلطيق، ومن الغرب السويد وخليج بوثينا. وتغطّي الغابات الخضراء نحو ثلاثة أرباعها؛ إذ تعدّ فنلندا البلد الأشدّ كثافة بالغابات في أوربا كلها، وتبلغ ثلاثةً وعشرين مليون هكتار، وتُعرف فنلندا بالبلد الأخضر أو بلد الغابات. وتعدّ أشجار صنوبر بلاد الشمال، وشجر البيسية، والبتولا، وبعض الحور الروسي، والحور الرجراج أهم أنواع الأشجار التي تُوجد في فنلندا من الناحية الاقتصادية والتأثير في منظر الطبيعة.

وأراضي فنلندا منخفضة، كما تغطّي المياه نحو ١٠٪ من مساحة الدولة، فتكثر فيها البحيرات؛ إذ يبلغ عددها نحو مئة وتسعين ألف بحيرة صغيرة تنتشر في سائر أنحائها، منها بحيرة سايما التي تعدّ رابع أكبر بحيرة في أوربا كلها. وفي فنلندا نحو مئة وثمانين ألف جزيرة، تقع معظم هذه الجزر في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد، وعلى طول الساحل الغربي لها.

تاريخ فنلندا

استوطن الإنسان فنلندا بعد نهاية العصر الجليدي،

تشكل الغابات عصب الاقتصاد الفنلندي؛ إذ إنها تمثّل مصدر الصناعات الخشبية والورقية والكيماويات، وتعدّ فنلندا في طليعة مصدّري الورق والكرتون في العالم



وسكنها قوم قدموا من روسيا في الشرق. وعدد آخر من الدول المجاورة لها المعروفة بدول البلطيق. وقد شهد تاريخ هذه الدولة صراعات كثيرة بين كل من روسيا والسويد في محاولة كلّ منهما السيطرة عليها. وكانت فنلندا جزءاً من دولة السويد منذ العصور الوسطى حتى بداية القرن التاسع عشر. وشهد عام ١٣٢٣م التوصل إلى معاهدة تمّ بمقتضاها تقسيم فنلندا بين كل من روسيا والسويد؛ إذ يتبع كلّ من غرب فنلندا وجنوبها السويد، بينما تتبع المنطقة الشرقية منها روسيا. لكن السيطرة السويدية على فنلندا بدأت تأخذ في التوسّع التدريجي؛ إذ قامت السويد في عام ١٣٥٣م بتحويل فنلندا إلى دوقية طبّقت عليها القوانين السويدية. واستمر الحال كذلك حتى حلول القرن الثامن عشر؛ إذ تحوّلت السيطرة على فنلندا إلى روسيا. واستمر هذا الوضع حتى نالت فنلندا استقلالها من روسيا في السادس من ديسمبر عام ١٩١٧م، وأعقب الاستقلال حرب بين كلّ من البيض (الملكيين) المدعومين من ألمانيا والحمر (الشيوعيين) المدعومين من الاتحاد السوفييتي، وانتهت الحرب بفوز البيض في مايو عام ١٩٧١م. وتم إعلان الجمهورية في البلاد عام ١٩١٩م. وتوقيع اتفاق مع الاتحاد السوفييتي عام ١٩٢٠م.

لكن اتفاق هتلر وستالين مهّد لاحتلال فنلندا مجدّداً من جانب الاتحاد السوفييتي في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٣٩م في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م). ونتيجة لذلك تنازلت فنلندا في عام ١٩٤٠م عن عشر مساحتها للاتحاد السوفييتي. لكنها سرعان ما أعلنت عام ١٩٤١م وقوفها إلى جانب ألمانيا في حربها ضد الاتحاد السوفييتي، حتى انتهت الحرب مع الاتحاد السوفييتي بتوقيع اتفاق هدنة عام ١٩٤٤م.

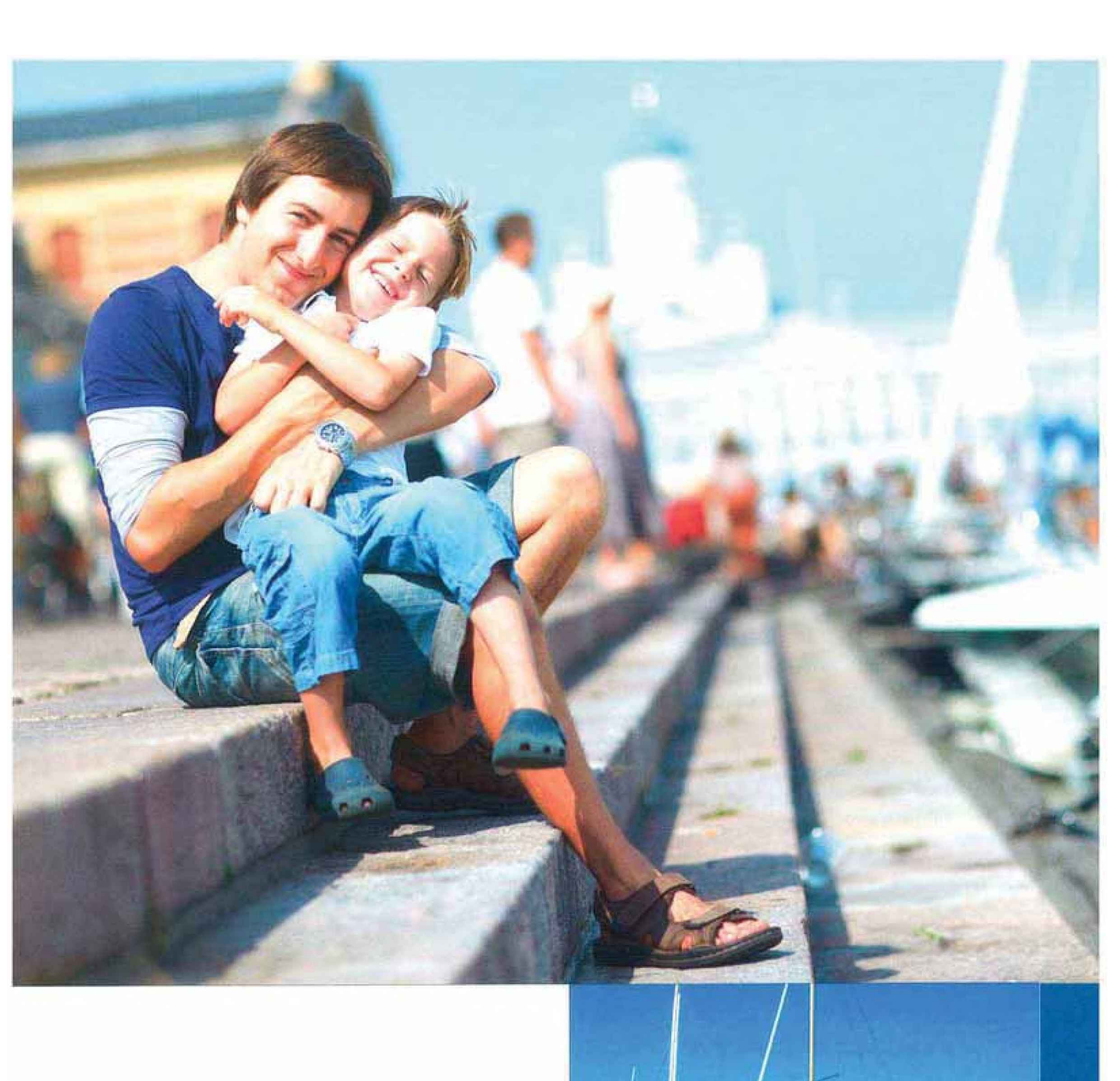
ويُوجد في فنلندا عدد من الأحزاب السياسية؛ منها: حزب فنلندا الاجتماعي الديمقراطي، والائتلاف اليساري، وحزب الوسط. وتعدّ فنلندا من أولى دول العالم التي أعطت المرأة حق التصويت والأهلية التامة في الانتخابات.

يوجد في فنلندا عدد كبير من المتاحف، يتركز معظمها في العاصمة هلسنكي، منها: متحف أتنيوم للفنون، ومتحف التصميم، ومتحف الثقافات، والمتحف الفنلندي الوطني

السكان

تعدّ الكثافة السكانية في فنلندا - بعد آيسلندا والنرويج - الدنيا في أوربا كلها؛ فقد بلغ معدل الكثافة السكانية في أوائل عام ٢٠٠٢م ١٧ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد، وتتفاوت هذه الكثافة من منطقة إلى أخرى، ويقطن الثلثان منهم في المدن، بينما يعيش الثلث الأخير في الريف. ونتيجة لتزايد المواليد بعد الحرب العالمية الثانية نما عدد السكان حتى بلغ عام ١٩٦٥م نحو أربعة ملايين ونصف المليون نسمة. لكن هذا التزايد تعرّض للانخفاض مرة أخرى نتيجة الهجرة في بعض الحقب إلى السويد، ثم عاد مرة أخرى ليبلغ في عام ٢٠٠٢م نحو خمسة ملايين ومئة وتسعين ألفاً.

والشعب الفنلندي شعب متجانس إلى حدّ كبير، وتوجد أقليات عرقية بسيطة، منهم: الصاميون، والغجر، كما



كان الهدف من إنشاء هلسنكي هو منافسة مدينة تالين (عاصمة جمهورية إستونيا الحالية) الواقعة في الضفة المقابلة من خليج فنلندا على السوق الروسية

أن نسبة الأجانب بين سكان فنلندا هي النسبة الأقلّ في كل أنحاء أوربا؛ فقد بلغ عدد ساكني فنلندا من مختلف الجنسيات الأخرى في آخر إحصاء عام ٢٠٠٠م نحو ٩١ ألف نسمة فقط، أغلبهم من الاتحاد السوفييتي السابق، وكذلك من آسيا، والصومال، ومنطقة يوغسلافيا القومية في أعوام ١٩٧٣-٢٠٠٠م.

اللغات

هناك لغتان رسميتان في فنلندا، هما: الفنلندية، ويتحدث بها نحو ٩٢,٤٪، والسويدية ويتحدث بها نحو ٥,٧٪. إضافةً إلى لغات الأقليات الأخرى: مثل: الروسية، والإستونية، والسامية، وغيرها، وأصبحت اللغة الإنجليزية حالياً من أكثر اللغات الأجنبية شعبيةً، وتستخدم على نطاق واسع.

أهم المدن

عاصمة الدولة هي هلسنكي، وتقع في جنوب البلاد، وتطلّ على خليج فنلندا. وتأسست هلسنكي بناءً على أمر الملك السويدي كوستا فاسا في عام ١٥٥٠م على مصبّ نهر فانتا. وتضمّن الأمر الملكي نقل الطبقة البرجوازية في بعض المدن الفنلندية الأخرى إلى المدينة الجديدة هلسنكي، وكان الهدف من إنشاء هلسنكي هو منافسة مدينة تالين (عاصمة جمهورية إستونيا الحالية) الواقعة في الضفة المقابلة من خليج فنلندا على السوق الروسية. وهي مركز للمنشآت التجارية والثقافية والطبية، وهي مدينة نظيفة وجميلة؛ ففي بحث أجري على نطاق العالم في عام ٢٠٠٢م حول مستوى الحياة ونوعيتها في مختلف مدن العالم جاءت مدينة هلسنكي سادس أحسن مدينة وأنظف عاصمة في كل أنحاء أوربا.

ومن أهم المدن في فنلندا: تامبيري، وأولو، وتوركو (كانت العاصمة السابقة للدولة حتى عام ١٨١٢م). ومن أهم موانئ البلاد: هامينا، وهلسنكي، وكوكولا.

> في أقصى نقطة في شمال فنلندا لا تغيب الشمس مدة ٧٣ يوما في الصيف، ولا تظهر بتاتا مدة ٥١ يوما في الشتاء

البيئة

تعدّ البيئة في فنلندا - مقارنةً بالبيئات الأخرى، خصوصاً الدول المتقدمة - نظيفة وغير ملوّثة وعلى حالها الطبيعي؛ فالمواد الغذائية المنتجة في فنلندا نظيفة ونقية. وتحظى البيئة الطبيعية في فنلندا باهتمام كبير. ويعدّ قطاع المحافظة على المياه أهم قطاع في حقل المحافظة على البيئة. وقد أسّس في فنلندا عدد من المناطق المختلفة للحفاظ على البيئة، بلغ عددها تسع عشرة منطقة، من أهمها: الحدائق الطبيعية، والحدائق الأهلية، ولا يسمح بالتجوال في هذه الحدائق إلا بإذن خاص.

الاقتصاد

تشكّل الغابات عصب الاقتصاد الفنلندي؛ إذ إنها تمثّل مصدر الصناعات الخشبية والورقية والكيماويات. وتعدّ فنلندا في طليعة مصدّري الورق والكرتون في العالم، إضافةً إلى تصدير الآنية الزجاجية، والسيراميك، والأثاث، والنسيج. كما تشتهر فنلندا بصناعة الهاتف النقال نوكيا (الاسم مأخوذ من اسم مدينة نوكيا) الذي غزت به العالم شرقه وغربه؛ إذ تبيع هذه الشركة منتجاتها في أكثر من ١٣٠ بلداً، ويبلغ عدد العاملين فيها نحو خمسين ألفاً. كذلك تزخر فنلندا بثروة معدنية لا بأس بها من النحاس والكبريت والحديد والنيكل والزنك. كما عُرفت فنلندا بإنتاج آلات صنع الورق، وبناء السفن المتخصصة: مثل: كاسحات الجليد، وسفن السياحة الضخمة، والسفن ناقلات الغاز الطبيعي، ويتطلب هذا النوع من الصناعة مهارة مهنية عالية، وتكنولوجيا متقدمة رفيعة، وهو ما تتمتع به فنلندا.

أما الزراعة، فهي مزدهرة في الجنوب، لكنها تعاني



يوجد في فنلندا نحو ٢٠٠ صحيفة، ويعدّ تداول الصحف في فنلندا بالنسبة إلى الفرد الواحد هو الأعلى في الاتحاد الأوربي، والثالث على مستوى العالم

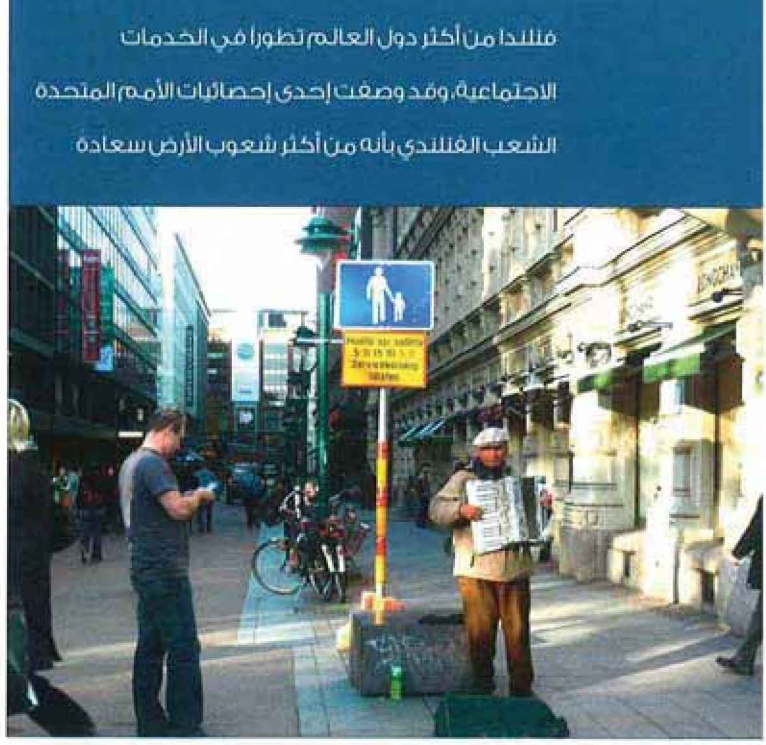
المناخ القاسي الذي يضرّها كثيراً. ومن منتجاتها: بنجر السكر، والغابات، والحبوب، والبطاطس. كما وصلت فنلندا إلى درجة مريحة من الاكتفاء الذاتي فيما يخصّ الثروة الحيوانية، وأغلب حيوانات فنلندا من الحيوانات التقليدية التي تعيش في منطقة غابات السرو الشمالية؛ مثل الدبّ الذي اختير (حيوان فنلندا الأهلي). وبسبب حداثة طوائف الحيوانات الفنلندية لا نجد من الأنواع الأصيلة سوى القليل؛ مثل فقمة بحيرة سايما المعروفة باسم (سايمان نوربا).

وهي من بقايا حيوانات العصر الجليدي.

اشتهر اقتصاد فنلندا بأنه اقتصاد حرّ صناعي. ويضاهي دخل الفرد في فنلندا دولاً صناعية عريقة؛ كالمملكة المتحدة، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا. وانضمّت فنلندا إلى المجموعة الأوربية عام ١٩٩٥م، وتبع ذلك تنازلها عن عملتها المارك، واستبدال اليورو بها. وتعدّ فنلندا من أكثر دول العالم تطوراً في الخدمات الاجتماعية. وقد وصفت إحدى إحصائيات الأمم المتحدة الشعب الفنلندي بأنه من أكثر شعوب الأرض سعادةً. وعلى الرغم من ارتفاع مستويات الأجور في فنلندا إلا أنهم لم يستقدموا أيدي عاملة رخيصة من الهند وبنغلاديش وباكستان.

التعليم:

يعدّ نظام التعليم في فنلندا من أكثر الأنظمة التعليمية تطوراً في أوربا، ويرجع السبب في ذلك إلى مستوى الدراسة العالي، ودراسة اللغات، واستعمال تقنية المعلومات الحديثة، ومواكبة التطور. كما أن الهواتف الخلوية (المحمولة)، والاشتراكات في شبكة الإنترنت، هي الأعلى في جميع أنحاء العالم مقارنةً بعدد السكان في فنلندا.



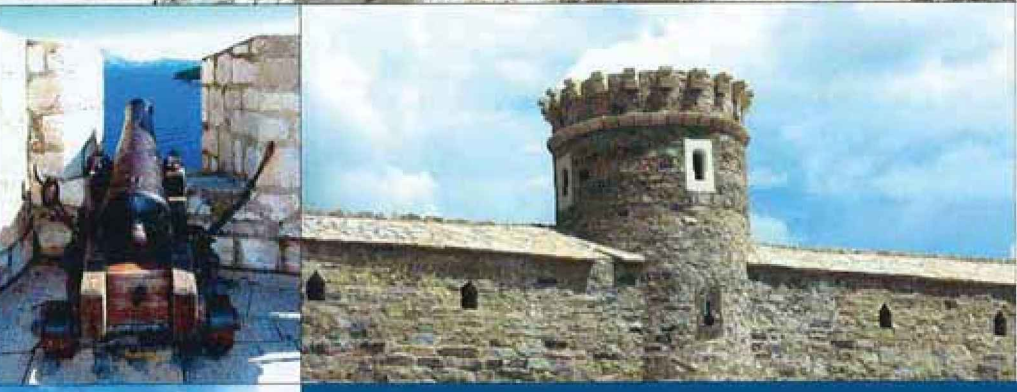
كذلك تمتاز فنلندا بأنها من أكثر بلدان العالم تركيزاً في البحث العلمي، ويعود الفضل في ذلك إلى الالتزام والتعاون الكبير بين الشركات ومؤسسات التعليم العالي. وبفضل هذا التعاون احتلّت الجامعات وجامعات العلوم التطبيقية الفنلندية أفضل المراكز في التصنيف العالمي للجامعات ومراكز البحوث في العالم. وقد صنّف النظام التعليمي الفنلندي (من التعليم الأساسي إلى التعليم الجامعي) من بين أفضل الأنظمة التعليمية في العالم، واحتلّت فنلندا المركز الأول في قائمة الطلبة الأفضل تعليماً ثلاث سنوات متتالية حسب دراسات برنامج التقديم العالمي للطلاب Pisa. كما أن التعليم في فنلندا مجاني في جميع مستوياته، بدءاً من التعليم التمهيدي (ما قبل الابتدائي) إلى درجة الدكتوراه.

ومن أشهر العلماء الفنلنديين: أ. ي. فيرتانين A.I.Virtanen الذي حصل على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٤٥م، وراغنار غرانيت Ragnar Granit الفائزة بجائزة نوبل في الطب عام ١٩٦٧م، وعالما الرياضيات رولف نيفانلينا Rolf Nevanlinna ولارس أهلفورس Lars Ahlfors، وكذلك عالم الاجتماع إدوارد فيسترمارك Edvard Westermark.

ويُوجد في فنلندا، إضافةً إلى المدارس العليا للدفاع الوطني، عشرون جامعة، عشرة من هذه الجامعات لها أفرع علمية متعددة في العلوم، والتكنولوجيا، والتجارة، والفنون التشكيلية، وغيرها.

وسائل الإعلام:

في مجال الإعلام المقروء، يوجد في فنلندا نحو ٢٠٠ صحيفة تتفاوت في صدروها بين اليومية والأسبوعية والنصف أسبوعية، وتوزّع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة.



شمس لا تغيب

تتميز فنلندا بأنها أحد بلدان العالم القلائل التي ما زالت تنمو؛ فهي تنمو سنوياً بمساحة ٧ كيلومترات مربعة، كما تتميّز بطقس معتدل في الجنوب، وقطبي في الشمال، وتقع ربع الأراضي الفنلندية شمال عرض الدائرة القطبية؛ لذا تظهر الشمس منتصف الليل كلما اتجهنا شمالاً؛ مما يعني

وأغلب توزيع الصحف يتم عن طريق الاشتراك. ويعدّ تداول الصحف في فنلندا بالنسبة إلى الفرد الواحد هو الأعلى في الاتحاد الأوربي، والثالث على مستوى العالم. أما بالنسبة إلى المجلات، فيصدر في فنلندا نحو ٢٨٠٠ مجلة. وإذا أضفنا إليها المجلات التي تصدر ربع سنوية يرتفع هذا العدد ليصل إلى ٣٥٠٠ مجلة.

وأودّ أن أشير هنا إلى أن شركة نوكيا العملاقة أهدت مبناها القديم الذي بنته حين كانت شركة للصناعات المطاطية ليعدّ مقراً للمجلات الشبابية المختلفة بجميع توجهاتها السياسية والمهنية المختلفة. وقالت لي المشرفة على هذا المقر: إنه يوجد في هذا المبنى وحده (اللهم لا حسد) أكثر من ١٥٠ مجلة شبابية!.

وفي مجال الإعلام المرئي، يوجد في فنلندا خمس قنوات تلفازية تغطّي عموم فنلندا، وتدير هذه المحطات شركة الإذاعة والتلفزيون الوطنية العامة التي تُعرف اختصاراً بـ(واي، إل، إي YLE). وتوجد أيضاً قناتان أخريان بملكية خاصة وتغطية عامة، إضافةً إلى ثلاثين قناة تلفازية أخرى محلية.

وفي مجال الإعلام المسموع، يوجد في فنلندا خمس قنوات للبثّ الإذاعي؛ منها أربع قنوات عامة، وواحدة تجارية. عموماً، يبلغ عدد المحطات الإذاعية التي تديرها شركة الإذاعة والتلفزيون الوطنية ثلاث عشرة قناة بثّ إذاعي، ويتجاوز عدد المحطات الإذاعية التجارية ستين محطة.

أن الشمس لا تغيب في الليل؛ ففي أقصى نقطة في الشمال لا تغيب الشمس مدة ٧٣ يوماً في الصيف، ولا تظهر بتاتاً مدة ٥١ يوماً في الشتاء. وأعلى قمة جبل في فنلندا هي قمة جبل هالتيتونتوري؛ إذ يصل ارتفاعها إلى ١٣٢٨ متراً/ ٤٤٣٫٤ قدماً فوق سطح البحر.

الديانة:

ينتمي نحو ٨٤٪ من الفنلنديين إلى الكنيسة الإنجيلية اللوثرية الفنلندية، كما أن نحو ١٪ من السكان ينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسية، بينما يدين باقي السكان بالبروتستانتية والكاثوليكية والإسلام واليهودية. بجانب نحو ١٤٪ منهم من دون ديانة.

الأعياد والعطلات

هناك عدد من الأعياد الدينية التي يُحتفل بها في فنلندا، وهي: رأس السنة الميلادية، وعيد الغطاس، وعيد الفصح، وعيد الصعود، وعيد العنصرة، وعيد جميع القديسين، وليلة عيد الميلاد المجيد، واليوم الوطني الذي يُوافق السادس من كانون الأول/ ديسمبر من كلّ عام.

الدراسة في فنلندا

يُسمح للطلاب الأجانب بالالتحاق بالمؤسسات التعليمة الفنلندية بعد استخراج تصاريح إقامة إذا كانت الدراسة تستغرق أكثر من ثلاثة أشهر، علماً أن كل أنواع الدراسة لا تعطي الطالب بالضرورة حق الحصول على تصريح الإقامة في فنلندا؛ إذ يجب أن تهدف الدراسة إلى الحصول على مهنة، أو التخرّج بشهادة أكاديمية، كما أن الدولة الفنلندية لا تتولى تكاليف إقامة الطلاب الأجانب، بل يجب أن يكون للطالب الأجنبي مصدر مالي كاف للمعيشة في فنلندا في أثناء دراسته، كما أن العمل غير مسموح به للطلاب الأجانب إلا في نطاق محدود.

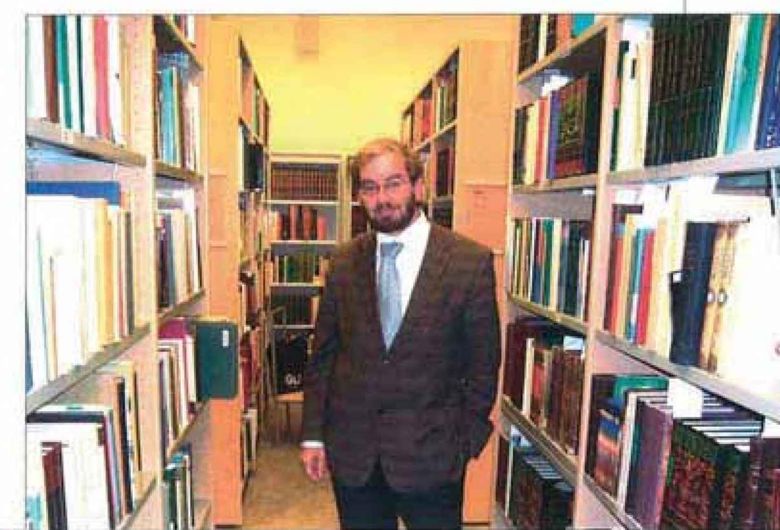
المتاحف والمسارح

يُوجد في فنلندا عدد كبير من المتاحف، يتركز معظمها في العاصمة هلسنكي؛ منها: متحف أتينيوم للفنون، ومتحف التصميم، ومتحف الثقافات، والمتحف الفنلندي الوطني، إضافةً إلى عدد من المسارح؛ مثل: المسرح الفنلندي الوطني، ومسرح مدينة هلسنكي، ومسرح سفينسكا تيترن الفنلندي السويدي، والأوبرا الفنلندية الوطنية، وقاعة فنلندا للحفلات الموسيقية.

وتقوم الدولة بدعم المسرح؛ مما يجعل أسعار التذاكر مناسبةً للجمهور، وقد قُدّر روّاد المسرح بأكثر من مليوني شخص في العام. كما توجد في فنلندا معالم سياحية وترفيهية أخرى؛ منها مراكز ترفيهية للأطفال: مثل: مركز هيوريكا للعلوم، وسينما فيرن سوبر، ومركز ليناناماكي، وهو من أقدم مراكز التسلية في فنلندا، وحديقة سيرينا للتسلية المائية.

الرياضة

يعشق الفنلنديون الرياضة التي يمارسونها في الهواء



الطلق؛ ففي فصل الشتاء يمارس السكان رياضة الهوكي، والتزلّج على الجليد، والقفز على الثلج في المناطق الجليدية. كما يمارس السكان في فصل الصيف لعبة البيسابالو، والسباحة، وسباق القوارب، ورياضة المشي؛ إذ ينتقل آلاف السكان من المدن إلى البحيرات والشواطئ والجزر ليمارسوا ألعاب القوى، بجانب الاستمتاع بالباليه، وسماع الموسيقا، ومشاهدة الأفلام.

الشعر الشعبي

يعدّ الشعر الشعبي القومي من أقدم أشكال الأدب الفنلندي. وقد بقي هذا الشعر واستمرّ تراثاً متداولاً بين الناس بأشكاله القديمة طوال ألف وخمسمئة عام. وكانت ملحمة (كاليفالا) قد بُنيت على هذا الشعر، وهي إحدى أعظم الملاحم العالمية. وأنجبت فنلندا عدداً كبيراً من الأدباء العمالقة: منهم: ف. إ. سيلانبا F.E.Sillanpaa الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٣٩م، وميكا فالتاري MikaValtari، وفايو ماري Veijo Meri، وبافو هافيكو Paavo Haavikko، وأرتو باسيلينا Arto Paasilinna. وتوفا يانسون Tove Jansson التي أبدعت شخصية (البعبع المومي).

الموسيقا الفنلندية

بدأ التأليف الموسيقي في فنلندا بمعناه الحقيقي في أواخر القرن الثامن عشر، وكان أشهر الموسيقيين الفنلنديين هو جان سيباليوس Jean Sibelius، الذي يعدّ من كبار السيمفونيين في القرن العشرين. وكان لهذا الفنان تأثير كبير في جيل الملحّنين الذي جاؤوا بعده. وفي العقود الأخيرة، اشتهر عدد آخر من المؤلفين الفنلنديين، خصوصاً في حقل موسيقا الأوبرا. ومن أشهر هؤلاء المؤلفين المعاصرين:

عشق كبير للرياضة في فنلندا



يوناس كوكونين Joonas Kokkonen، وأوليس سالينين Aulis Sallinen، وإينويوهاني راوتافارا Einojuhani Rautavaara، وإريك برغمان Erik Bergman، وكاليفي أهو Kalevi Aho، وماغنوس ليندبري Magnus Lindberg، وكايا ساري- أهو Kaija Saariaho.

كما اشتهر في فنلندا عدد من المغنين؛ منهم: سويله إيسوكوسكي Soile Isokoski، ومونيكا كروب Monica Groop، وكاريتا ماتيلا Karita Mattila، وكيم بوري Kim Borg، ومارتي تالفيلا Martti Talvela، وماتي سالمينن Matti Salminen.

أما أشهر قادة الأوركسترا في فنلندا، فهم: بافو بريلوند Paavo Berglund، وأوكو كامو Okko Kamu، ولايف سيجيرستام Leif Segerstam، وإسا- باكا ساراسته Esa- Pekka Saraste، وأوسمو فانسكا Osmo Vanska، وساكاري أورامو Sakari Oram.

ويُقام في فنلندا عدد من المهرجانات الموسيقية السنوية؛ مثل: مهرجانات هلسنكي، ومهرجانات مدينة كوهمو للموسيقا الكلاسيكية (الحجرية) (Chambre Music)، ومهرجانات الأوبرا في مدينة سافونلينا، ومهرجان موسيقا الجاز في مدينة بوري، وإضافةً إلى الموسيقا الفنية المعروفة، هناك الموسيقا الفولكلورية التي لا تزال محبوبة من الجمهور الفنلندي، وتحقق مهرجانات (كاوستيتين) للموسيقا الفولكلورية نجاحات مذهلة عاماً بعد عام، وتحظى بإقبال واسع من الجمهور الفنلندي.

مشاهير كثر في مجال الموسيقا أنجبتهم فنلندا



مشاهير من فنلندا

أنجبت فنلندا عدداً كبيراً من الروّاد والمشاهير في مختلف مجالات الفنون، والآداب، والسياسة، والرياضة، وغيرها من مجالات الإبداع المختلفة؛ منهم: ميكائيل أغريكولا Mikael Agricola (١٥١٠-١٥٥٧م) واضع اللغة الفنلندية المكتوبة، وهنريك جبريال بورتهان Henrik Gabriel Porthan (١٧٣٩-١٨٠٤م) الرائد في أبحاث العلوم الإنسانية، وألكسيس كيفي (١٨٣٤-١٩٧٢م) أديب فنلندا القومي، ومن أشهر أعماله: (الإخوة السبعة)، ويوهان لودفيك رونابري Johan Ludvig Runeberg (١٨٠٤-١٨٧٧م) شاعر فنلندا القومي، ويوهان فيلهالم سنالمان Johan Vilhelm Snellman (١٨٠٦-١٨٨١م) الفيلسوف ورجل الدولة، وهو من أهم وجوه الحركة الوطنية الفنلندية، وإلياس لونروت Elisa Lonnrot (١٨٠٢-١٨٨٤م) الذي جمع الملحمة القومية الفنلندية المشهورة (كاليفالا)، وهيلينا شيارفباك Helene Schierfbec (١٨٦٢-١٩٤٦م)، وهي من مشاهير الرسّامين الفنيين في فنلندا.

وكذلك من مشاهير فنلندا: ك. غ. إ. مانيرهايم C.G.E.Mannerheim (١٨٦٧-١٩٥١م) المارشال الفنلندي القائد الأعلى لقوات الدفاع الفنلندية في حرب الشتاء (١٩٣٩-١٩٤٠م)، والحرب التابعة (١٩٤١-١٩٤٥م)، وباسيكيفي J.K.Passikivl (١٨٧٠-١٩٥٦م)، الذي وضع نهج السياسة الشرقية (سياسة فنلندا نحو الاتحاد السوفييتي) لما بعد الحرب العالمية الثانية، وشخصية بابا نويل (مجهول العمر) الذي يقطن في لابلاند في هضاب كوفاتوري، ويكون مجيئه في أعياد الميلاد؛ إذ يسافر على حيوان الأيل لتحية أطفال العالم، وجان سيباليوس Jean Sibelius (١٨٦٥-١٩٥٧م) أشهر موسيقاري فنلندي، وأ. ي. فيرتانين A.I Virtanen (١٨٩٥-١٩٧٣م) الكيميائي

مركز هيوريكا للعلوم أحد أهم المراكز الترفيهية التثقيفية للأطفال



الأكاديمي الذي فاز بجائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٤٥م. وباقو نورمي Paavo Nurmi (١٨٩٧-١٩٧٣م) أشهر أبطال رياضة العدو في فنلندا، وألفار آلتو Alvar Aalto (١٨٩٨-١٩٧٦م) مهندس العمارة الكلاسيكية في فنلندا، وميكا فالتاري Mika Waltari (١٩٠٨-١٩٧٩م) أحد أدباء فنلندا الذين نجحوا على الصعيد العالمي، وأورهو كيكونين Urho Kekkonen (١٩٠٠-١٩٨٦م) رئيس فنلندا أطول مدة رئاسية في تاريخها، وفاينو لينّا Vaino Linna (١٩٢٠-١٩٩٢م) الكاتب الذي أثّرت كتاباته في تكوين رأي الفنلنديين في ذاتهم، وتوفا يانسون Tove Jansson (١٩١٤-٢٠٠١م) كاتبة أدب الأطفال المعروفة ومبتكرة شخصية (البعبع المومي)، وجورج هنريك فون رايت Georg Henrik Von Wright (١٩١٦م) الفيلسوف والأكاديمي المعروف عالمياً، ويورما أوليلا Jorma Ollila (١٩٥٠م) المدير العام لشركة نوكيا منذ عام ١٩٩٩م، الذي اختارته مجلة الاقتصاد الأمريكية إنداستري ويك (أسبوع الصناعة) مديراً عاماً عام ٢٠٠٠م، وكايا ساري- أهو Kaija Saariaho (١٩٥٢م) الملحنة الموسيقية الشهيرة، وآكي كاوريسماكي Aki Kaurismaki (١٩٥٧م) المخرج السينمائي الشهير، وميكا هاكينين Mika Hakkinen (١٩٦٨م) أشهر أبطال فنلندا في سباقات الفورمولا ١.

ولينوس تورفالدس Linus Torvalds (١٩٦٩م) الحاصل على الشهرة العالمية باختراعه نظام الكمبيوتر لينوكس الذي ينشر مجاناً.

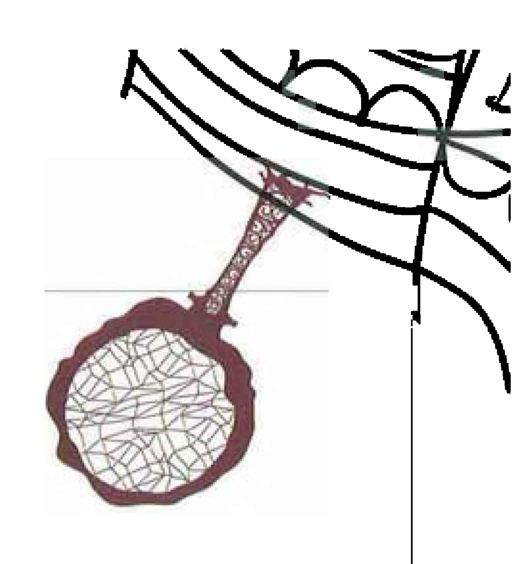
حين تغادر بلداً ما يعلق بروحك شيء منها: أثر لا فكاك منه. لقد رأيت في فنلندا البساطة والهدوء والرقيّ والتواضع والجدية والاهتمام الشديد بقضايا البيئة. كما لمست لدى بعضهم خوفاً (غير عنصري) من تأثير المهاجرين في الثقافة والسلم في هذه التركيبة الديمغرافية المتجانسة. وليتهم لا يخافون إذا كان الدستور الفنلندي يحترم إنسانيتك لدرجة أنه يمنحك حق المطالبة بإنشاء مكتبة إذا كانت أقرب مكتبة تبعد من بيتك أكثر من ميلين؟!.



١- مجموعة من الكتب المختلفة عن فنلندا باللغتين العربية والإنجليزية زوّدتني بها مشكورةً السفارة الفنلندية في الرياض.
٢- مواقع مختلفة في الإنترنت: ويكيبيديا، وموقع الاتحاد الأوربي، والموقع الرسمي لفنلندا... إلخ.

رعاية واهتمام للمواهب في فنلندا





كناشة التراث

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة [1]

فمن الحوادث فيها:

أن السلطان جمع العساكر لقصد الموصل والشام، وترددت رسل زنكي حتى تم الصلح على مائة ألف دينار تحمل في ثوب. فحمل ثلاثين ألفاً، ثم تقلبت الأحوال فاحتيج إلى مداراة زنكي وسقط المال، وقيل: بل خرج ابن الأنباري فقبض المال.

وفي هذه السنة: قبض السطان على ترشك المقتفوي، وحمل إلى قلعة خلخال، وقدم السلطان مسعود في ربيع الأخر، فنزل أصحابه في دور الناس، وتضاعف فساد العيارين بدخوله، وكثرت الكبسات والاستقفاء نهاراً، ونقل الناس رحالهم إلى دار الخلافة وباب المراتب. وكان اللصوص يمشون بثياب التجار في النهار، فلا يعرفهم الإنسان حتى يأخذوه، فأخذت خرق الصيارف، وضاقت المعايش، وأعيد إلى الولاية أبو الكرم الهاشمي في جمادى الأولى، فطاف البلد، وأخذ ثلاثة فلم ينفع، وكان للعيارين عيون على الناس من النساء والرجال يطوفون الخانات والرحبة والصيارف والجوهريين، فإذا عاينوا من قد باع شيئاً تبعوه وأخذوا ما معه. وكانوا يجتمعون في دور الذين يحمونهم في دار وزير السلطان ودار يرنقش. وأخذوا خرق الصيارف وجرحوهم. ولقوا رجلاً قد باع دابة بخمسة وعشرين ديناراً، فضربوه بالسيف وأخذوها. فنفر الناس، وغلقوا دكاكينهم، وغلقوا باب الجامع، وتلقوا السلطان في الميدان، ومعهم ابن الكواز الزاهد، فاستغاثوا إليه. فلم يجبهم. فعادوا مراراً وهو لا يلتفت، وكان في العيارين ابن قاور، وهو ابن عم السلطان مسعود. فأخذ بعملات، فتقدم السلطان بصلبه، فصلب بباب درب صالح الذي فيه بيته، وصلب معه ثلاثة من أصحابه. ثم أباح السلطان دماءهم. فصلب منهم جماعة، فسكن الناس.

وفي رجب: خرج ملك البطائح إلى تل علم فشاهده. فكان طوله نحو ثمانمائة ذراع، وعرضه نحو أربعمائة ذراع.



فيما يتمثل به في رفع قدر النفيس عن الخسيس[2]

قالت الحكماء: رُبّما أزرى بالشريفِ القَدْرِ، العالي الهمّةِ، انتقامُه من الخسيسِ الوضيعِ.

قال الأول في هذا المعنى (من الطويل):

فكم من دنيءٍ ودّ أني شتمتُه وإن كان شتمي فيه صابٌ وعلقمُ

ولَلْكفُّ عن شتم اللئيم تكرُّماً أضرُّ له من شتمه حين يُشتَمُ

وكتب أبو العيناء إلى ابن مكرم: اشكرْ لؤمَك إذ نجّاك، وخصمَك إذ رفعَ قدرَه عنك. وكتبَ عليّ بنُ يحيى إلى بعضِ السّفلة - وهذا البيتُ لإبراهيم بن العباس الصوليّ - (من المتقارب):

نجا بك لؤمُك منجى الذُّباب حَمَتْهُ مقاذيرُهُ أن يُنالا

وقال حُذيفة بن اليمان لبعضِ إخوانه: أيسرّكَ أن تغلبَ الشرَّ؟ فقال: نعم، فقال له حُذيفة: فإنّك لا تغلبُه حتّى تكون أشرَّ منه.

أبو بكر بن منخل[3]

ذكر أبو البحر صفوان في كتاب زاد المسافر أنه كان بينه وبين ابن الملاح صداقة، فنشأ ابناهما على ذلك إلى أن وقع بينهما ما يقع بين الناس، فعتب أبو بكر ولده على هجائه لولد ابن الملاح، وكانا على وادٍ تنقّ ضفادعه

فقال أبو بكر (وافر) تنقُّ ضفادعُ الوادي

فقال ولده بصوت غير معتادِ

فقال أبو بكر كأنّ ضجيجَ مِقْوَلها

فقال ولده بنو المَلّاح في النادي

فقال أبو بكر وتضمُتُ مثل صَمْتِهِم

فقال ولده إذا اجتمعوا على زادِ

فقال أبو بكر فلا غوثٌ لملهوفٍ

فقال ولده ولا غَيثٌ لمُرْتادِ

فقال له أبوه: أحسنت واللهِ! ما منها قسيم إلا وقد أجزته بما وقع عليه خاطري، ولم أكن أورد هذا الشعر فيما يفتخر به أهل المغرب لولا ما فيه من هذه الحكاية.

الأصمعي والجن[4]

حدثني الأديب أبو عمرو بن سالم قال: حدثنا الحافظ أبو عبدالله لفظاً قال: قال الأصمعي: كنتُ مقبلاً في الهاجرة من أرض بني عذرة راكباً على بعيري فسمعت صوتاً يقول: قف يا أصمعي. فالْتَفَتُّ فَلَمْ أرَ أحداً. ثم نوديتُ الثانية: قف يا أصمعي. فالتفت فلم أرَ أحداً، فاقشعرَّ جلدي، ثم نوديتُ الثالثة، فرَفَعْتُ رأسي، فإذا شخص راكب بين السماء والأرض على كُرْكيّ، وهو مُعَمَّمٌ بثعبان، وقد جعل رأسه مما يلي جبهته، وبيده أفعى يضرب بها الكركي، فقال: من أين أقبلت يا أصمعي؟ قلتُ: من بني عذرة، قال: ما صنعت عندهم؟ قلت: كتبتُ عنهم الأشعار واللغات والأخبار، قال: أتعرفُني؟ قلتُ: لا، قال: أنا إبليس، أتيتُ رجلاً من الجن فسألتُه حاجة، فأبى عليَّ فيها، وقد قلتُ في ذلك بيتَيْ شعر، فارْوِهما عنّي، ثم أنشد (مجزوء الكامل):

ما بَقِي في الإنسِ حُرٌّ لا ولاَ في الجنِّ حُرُّ

قَدْ مضى حُرّ الفريقَيْـ ـنِ فَطَعْمُ العَيْشِ مُرُّ

ثم ضرب كُرْكيَّهُ ومَشَى، فلا أراه إلا كلَّفَ رَجُلاً من الجنِّ أن يغويَ له مؤمناً من الإنس، فأبى عليه، والله أعلم.

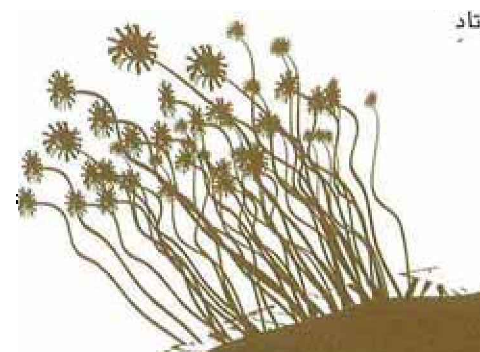
الهوامش

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١٧/ ٢٠، ٢١ (بيروت: دار الكتب العلمية).

(٢) تلقيح العقول لبَريَّة بن أبي اليُسر الرّياضيّ، ص ١٢٤، ١٢٥ (منشورات الجمل).

(٣) رايات المبرّزين وغايات المميّزين لابن سعيد الأندلسي، ص ٥٧، ٥٨ (لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة).

(٤) أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس، ص ٣١١، ٤١١.



البردي.. ذاكرة التاريـــخ الفرعوني



حقائق وأساطير عن البردي في التاريخ المصري

خالد خلف زيدان

المنيا – مصر

ارتبط البردي منذ العصور السحيقة بحياة المصريين القدماء ارتباطاً وثيقاً، فدخل في نسيج حياتهم الاجتماعية وعاداتهم اليومية بصورة لا مثيل لها، فاستخدموه في كثير من المشغولات النفعية، وجعلوه طعاماً مستساغاً لهم، كما حاكوه في بنائهم المعماري. إلا أن أعظم إفاداتهم منه حين صنعوا من نخاعه الليفي ورقاً للكتابة، وحرصوا على ألا يتسرّب سرّ اختراعهم النفيس إلا بعد زوال شمس حضارتهم، فبدأت برديّاتهم تبوح بأسرارهم، وتنقل تراثهم إلى الأجيال اللاحقة.

جزء من نسيج الحياة

ليس من السهولة بمكان تحديد مدى العلاقة الحميمة التي تربط البردي ببيئته، وما تمثّله نباتاته بوصفها ابنةً شرعيةً لمستنقعات مصر القديمة. فمنذ فجر التاريخ تعمّقت جذوره، وتشابكت سيقانه الطويلة المستقيمة وأعواده الغضة وأزهاره الخيمية الشكل؛ لتكوّن أحراشاً كثيفة ظليلة تعلو إلى ارتفاع يبلغ خمسة أمتار.

ومن الناحية العلمية، ينتمي البردي إلى الفصيلة السعدية من ذوات الفلقة الوَاحدة. وقد انتشرت زراعته على طول السواحل المصرية، وعلى شاطئ النيل، إضافةً إلى مياه البحيرات الراكدة. ومنذ عصور ما قبل الأسرات الفرعونية اشتهرت عدة مدن مصرية قديمة بزراعته؛ منها: بنها، وبوصير، وسمنود، ودهقلة، ودمياط، ورشيد، والبهنسا، والأشمونين، والفيوم، وكوم إشقاو، وإدفو، ودندرة، وغيرها. ومن ثَمّ حظي بعناية فائقة من جانب الأهالي في تلك المناطق. وليس أدلّ على ذلك من عشرات الأسماء التي أتحفوه بها، وهي تصف حالاته المختلفة، فأطلقوا عليه اسم (محو) عندما تتجمع حزم من سيقانه الغضة الطرية، واسم (ثوفي) الذي يصف حالته إذا كان كثيفاً على هيئة أحراش، كما أطلقوا عليه اسم (محيت) ليصف حالته وقت زراعته. إلا أن أشهر الأسماء التي أطلقت عليه هو اسم (واج)، وهو يحوي معنى الخضرة والنضارة التي يمرّ بها النبات وهو ينمو في وسطه المناسب، وتكون هذه الخضرة على أشدها باقتراب موسم الإزهار الذي يبلغ فيه أحسن مراحل نموه، وكان هذا الموسم يبدأ من أوائل شهر يونيو حتى نهاية أغسطس. وبانتهاء شهر سبتمبر تأخذ خضرة النبات ونضارته في الذبول تدريجياً حتى يصل إلى مرحلة الجفاف مع تقدّم موسم الشتاء، فتصفرّ نورته، ويتحول أسفل الساق المغطّى بالأوراق الحرشفية من اللون الأبيض الناصع إلى اللون البني الأدكن، وهذا يعدّ إيذاناً بالاحتضار، كأنه بموته يعطي سبل حياة للإنسان على ضفتي النهر؛ فالفراعنة أقاموا علاقات تواصل دائم وتجانس كامل معه، فجعلوه جزءاً من نسيج علاقاتهم الاجتماعية وتقاليدهم اليومية بصورة لا مثيل لها؛ فمنذ وضع الحامل مولودها

نبات البرديّ

البرديّ نبات طويل من العائلة الخيمية (Cyperus Papyrus)، تمتد سيقانه إلى أعلى، وهي ذات مقطع مثلث الشكل، وأزهاره خيمية الشكل، ويرتفع نبات البرديّ من خمسة أمتار إلى تسعة، وهو من نباتات المياه المعمرة من الفصيلة البوصية Typhaceae، ينبت في مواقع المياه: كنقاط تصريف المياه المعالجة، وهو ينبت كشجرة الموز بساق عريضة بسمك يصل إلى ٣سم، وارتفاع يصل إلى المترين، والأوراق بطول ٧٠سم، وعرض يراوح بين ٤سم و٦، وتظهر الأزهار في أعلى الساق، وهي حول ساق بشكل أسطواني بطول يصل إلى ٦٠سم. ويزهر البردي في نهاية الربيع ودخول الصيف.

وفي أصل البرديّ لبّ أبيض يخرج من أسفل الجذور، ويسمى إلى الآن شحمة البرديّ، وهو حلو يُؤكل كجمارة النخل، وهو قلب النخلة. وجاء في (لسان العرب) لابن منظور: «الحَفَأُ: البَرْديّ. وقيل: هو البَرْديّ الأخْضَرُ ما دام في مَنْبِته، وقيل: ما كان في منبته كثيراً دائماً، وقيل: هو أصله الأبيض الرَّطْب الذي يُؤكل. قال:

أو ناشئ البَرْديّ تَحْتَ الحَفا

وقال:

كذَوائبِ الحَفَا الرَّطيب غَطا به   غَيْلٌ، ومَدٌّ بجانبَيْه الطُّحْلُبُ

واحْتَفَأَ الحَفَأَ: اقْتَلَعَه من مَنْبِته.

والبَرْديّ، بالفتح: نبت معروف، واحدته بَرْدِيَّةٌ، قال الأَعشى:

كَبَــرْدِيَّةِ الغِيلِ وَسْــطَ الغَرِيـ   ـفِ ساقَ الرِّصافُ إليه غَديرا.

الجديد على حصير وثير من أزهاره حتى نقل جثة المتوفَّى إلى مثواه الأخير بواسطة تابوت من سيقانه يظلّ البردي شاهد إثبات على مراحل عمر الإنسان في القرى والمدن المصرية القديمة كافةً. فجدّ الفلاحون في الريف في قطع أعواده عوداً عوداً، وحزموها حزماً ثقيلة، ونقلوها إلى حيث يقطنون: ليقيموا منها أسوجة وحجرات غطّيت من الخارج والداخل بغرين النيل الأسود، فكان بالفعل مادةً بنائيةً مثاليةً ومكيفاً طبيعياً لعوامل الطقس المختلفة. والحقيقة أن تلك الأكواخ كانت متحفاً متكاملاً تزخر جنباته بكثير من مشغولات البردي؛ مثل: الأثاث، والأواني، والسلال، ومراتب النوم، والأحذية الخفيفة، والزهريات.

كذلك فطن الصيادون إلى خاصية الطفو المذهلة التي يتمتع بها البردي؛ لقلة كثافته: إذ تعدّ سيقانه الجافة أخفّ أنواع النباتات؛ لذا ربطت سيقانه وضُمّت بعضها إلى بعض وصُنعت منها القوارب التي استخدموها في صيد الأسماك والطيور التي كانت تعجّ بها المستنقعات والبرك. وتذكر المصادر التاريخية أن يوكابد - أم موسى عليه السلام - وضعت ابنها الرضيع في قارب صغير مصنوع من سيقان البردي عندما خافت عليه من بطش فرعون الذي رأى في حلمه أنه سيلقى حتفه على يدي طفل من سلالة بني إسرائيل، فأمر بقتل جميع أطفالهم. ولا شك أن أم موسى عليه السلام - وقد عاشت في مصر - تعلّمت من المصريين كل خواصّ البردي وقابليته للغرق بعد مدة نتيجة تشرّب سيقانه الماء، فقامت بطلاء قاربها بمادة القطران مثلهم.

وأدرك الحرفيون وأصحاب الصناعات أن لسيقانه استعمالات

أخرى، فصنعوا منها الحبال التي مازال المتحف المصري بالقاهرة يحفظ لفّات منها، يصل بعضها إلى أقطار ضخمة قد تبدو غير مألوفة بالنسبة إلى الحبال التي نستخدمها حالياً من ألياف أخرى. وقد اشتهرت حبال البردي هذه بتحمّلها تأثير الماء أكثر من تلك المصنوعة من النباتات الأخرى. وكما استفاد المصري القديم من سيقانه فإنه استخدم جذوره وقوداً، كما استخدم الأزهار في عمل الباقات والهدايا التي كان يقدمها إلى الآلهة رمزاً للنصر والفرح. وكذلك عرف الفقراء أن لهذه النبتة فائدة أخرى تقيهم غائلة الجوع، فعمدوا إلى أكلها في حالات القحط والضيق الشديد نيئةً أو مطبوخةً كما نفعل ببعض النباتات البرية حالياً، أو مضغوها وامتصوا عصيرها؛ لما فيه من حلاوة جعلته مستساغ الطعم.

غابة البردي المتحجرة

تذكر الأسطورة المصرية القديمة أن «أعمدة شاهقة من البردي كانت تحمل السماء». ومن هذا المنطلق انتشرت أعمدة البردي التي نُحتت من حجر الجرانيت الوردي لتحمل سقوف المعابد. وأقدم هذه الأعمدة نجده في مباني الأسرة الثالثة (٢٧٠٠- ٢٦١٣ ق. م)، ممثلةً في معبد الملك زوسر المحيط بهرم سقارة المدرج، فنجد نماذج من الأعمدة تمثّل ساق البردي منفصلةً. لكننا نجد تطوراً كبيراً في استخدام شكل سيقان البردي في مباني العصور التي تلت ذلك: إذ تختفي ساق البردي المنفصلة لتحلّ محلها حزمة من ستّ أو ثمانٍ من سيقان البردي. كما نجد أن المصريين استخدموا زهرة البردي في تيجان أعمدتهم، إما بشكلها المزهر كما في حالة أعمدة معبد الكرنك، وإما بشكل الزهرة وهي مازالت برعماً كما في حالة بعض أعمدة معبد الأقصر.

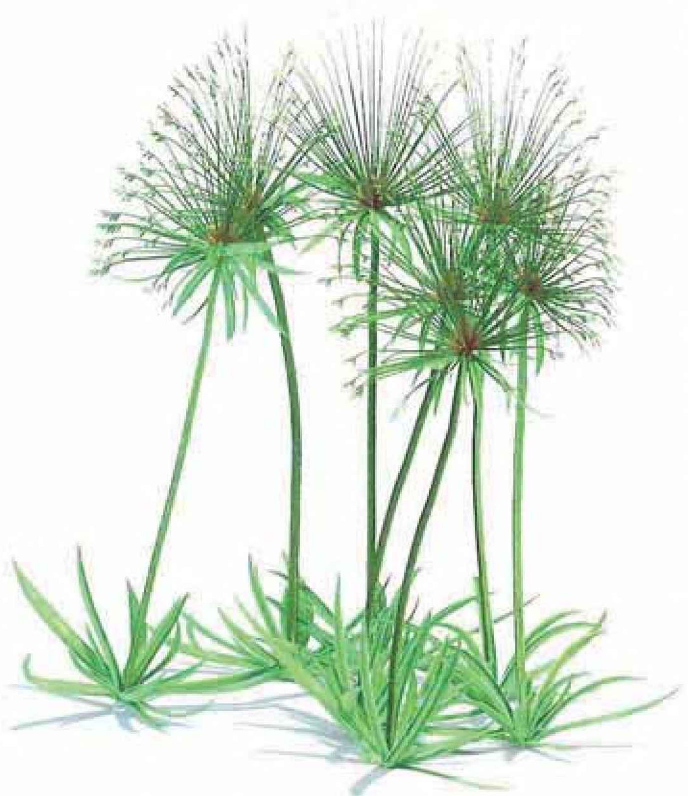
منذ عصور ما قبل الأسرات الفرعونية اشتهرت عدة مدن مصرية قديمة بزراعة البردي؛ منها: بنها، وبوصير، وسمنود، ودهقلة، ودمياط، ورشيد، والبهنسا، والأشمونين، والفيوم، وكوم إشقاو، وإدفو، ودندرة

والحقيقة أن نظرة متأملة للبهو العظيم في الكرنك بمساحته التي تسع كاتدرائية نوتردام في باريس، وأعمدته التي يبلغ عددها مئة وأربعة وثلاثين عموداً، لتظهره كأنه غابة ضخمة متحجّرة من البردي تشغل النظر، وتملأ الحسّ، وتحول دون النظرة المنحرفة، ولعله يشفع - في غلظ الأعمدة، وقرب بعضها من بعض - ارتفاعها الشاهق، وثقل ما تحمل من أعتاب وأحجار السقف.

ولعلّ المُلاحظ عمارة تلك الأعمدة يجد أن المصريين لم يغفلوا إبراز البردي كما هو في بيئته الطبيعية، فقاموا بزخرفة الجزء الأسفل من الأعمدة بما يظهر وجودها مغمورةً في الماء، كما مثّلوا قوامها على هيئة أغصان البردي وسيقانه المتآلفة؛ إذ يبدو كلّ غصن فيها مثلث الشكل، وهي تضيق عند المنبت حيث تحلّيها أوراق مثلثة، ثم ما تكاد الساق تغلظ حتى يصغر قطرها تدريجياً، وتنتهي ببراعم متضامّة لم تتفتّح بعد، وتحيط بالبراعم أوراق مثلثة أخرى لا تبلغ ثلث ارتفاعها تمثّل الكأس التي تحيط بالزهر.

وبخلاف الأعمدة، كان البردي مادة أساسية لزخرفة جدران المقابر؛ ففي مقابر الأسرتين الخامسة (٢٤٩٨- ٢٣٤٥ ق. م) والسادسة (٢٣٤٥- ٢١٥٠ ق. م) في سقارة قلّ أن نجد رسماً يخلو من البردي في أيّ شكل من أشكاله؛ فبعض المناظر يشير إلى حصاد البردي بواسطة أفراد يقومون بذلك العمل، إما وهم يخوضون في الماء إن كان ينمو في مناطق ضحلة، وإما وهم يركبون قوارب صغيرة مصنوعة هي نفسها من سيقان البردي إذا كان البردي ينمو في مناطق عميقة نسبياً، وإما مناظر يظهر فيها صاحب المقبرة وهو يقوم بصيد الأسماك أو الطيور في أحراش البردي، وإما يظهر المتوفّى وهو يقوم بتقديم القرابين إلى الآلهة، وفي مقدمة هذه القرابين سيقان البردي بزهرتها الرائعة. كما تبدو في مقابر وادي الملوك بالأقصر الجدران وهي محلاة برسوم وزخارف متكررة أساسها زهرة البردي اليانعة.

وبسبب اختباء سيدة الآلهة وملكة الربات إيزيس وابنها حورس بين أحراشه، فإنه صار صولجان الربّات السحري بقوامه الفارع، وخضرته الدائمة. ومن ثَمّ وجدنا على جدران





مدن مصرية كثيرة اشتهرت بزراعة البردي



مقابر وادي الملكات ومعبد أبي سمبل كثيراً من النقوش التي تصوّر الربّات المختلفة: مثل: حتحور، وسخمت، ونفتيس، وغيرهن. وقد أمسكت كلّ منهن بصولجان البردي؛ إشارةً إلى رمز القوة والحياة، وهو أهم ما اتّصفت به الآلهة حسب المعتقدات السائدة في ذلك الحين.

الاختراع النفيس

سيظلّ اختراع الورق من نبات البردي من أعظم الاختراعات التي كان لها أثر عظيم في رقيّ الجنس البشري عامة، وازدهار الحضارة الفرعونية خاصةً. وعلى الرغم من عناية المصريين القدماء بتسجيل كلّ ما يتصل بحياتهم وعاداتهم ومعتقداتهم، وكلّ ما يتصل بأنشطتهم الزراعية والصناعية، داخل مقابرهم، أو على جدران معابدهم، أو على

أدرك الحرفيون وأصحاب الصناعات أن لسيقان البردي استعمالات أخرى، فصنعوا منها الحبال التي مازال المتحف المصري بالقاهرة يحفظ لفات منها، يصل بعضها إلى أقطار ضخمة

صفحات بردياتهم، إلا أنهم لم يتركوا دليلاً واحداً يذكر تاريخ صناعة ورق البردي أو تفاصيلها. غير أن الأمر الاجتهادي يرجّح أن يكون ذلك قد تمّ منذ عهد ما قبل الأسرات؛ فقد كشفت الحفريات الحديثة في منطقة سقارة عن قصاصات بردية في مقبرة (حماكا)؛ أحد كبار رجال الدولة في الأسرة الأولى. ومع أن هذه القصاصات كانت خاليةً من أيّ كتابة، إلا أنها تؤرّخ لوجود أوراق البردي إلى ما قبل عام ٣١٠٠ ق. م.

وقد كان العالم الروماني الشهير بليني، الذي عاش بين عامي ٢٣ و٧٩م، أول من ذكر بالتفصيل طريقة تصنيع أوراق البردي. ومع أن ما ذكره يفتقد إلى كثير من الدقة؛ إذ إنه سجّل ما سمع من غيره، ولم يشاهد بنفسه طريقة التصنيع، إلا أنه ظلّ المرجع الرئيس الذي اقتفاه جميع المؤرخين فيما بعد.

وكان من أهم ما يلزم لصناعة أوراق البردي هو أن تنزع القشرة الخضراء لساق النبات، ويقطع نخاعه الليفي إلى شرائح رقيقة يتم نقعها وتجفيفها عدة أيام فوق سطح خشبي أو حجري مستوٍ وهي متراصّة بعضها بجوار بعض، ثم تصفّ طبقة ثانية من الشرائح في وضع عمودي عليها، ثم تدحى بمدحلة ثقيلة عدة مرات؛ حتى تصبح الشرائح ناعمةً طرية وتبدو نصف شفافة إذا تمّ رفعها في اتجاه مسار الضوء، وهكذا تتشكّل طبقة وراء أخرى، فإذا تمّ إعداد كومة من بضع طبقات تُدقّ وتُضغط برفق بواسطة مكبس مناسب، ثم تترك في الشمس حتى تجفّ وتتجرّد من الماء والسوائل. وأخيراً، تهذّب كل ورقة على حدة، وتصقل، وتنعّم بواسطة حكّ الوجه بقطعة من العاج أو المحارة. وفي الواقع، إن الهدف الرئيس من تلك المرحلة كان بمنزلة اللمسة الفنية لجعل الألياف الناعمة لوجه الورقة صالحةً للكتابة؛ حتى يأخذ القلم سبيله من دون مقاومة أو أيّ خشونة قد تعيق يد الكاتب.

وكانت رقائق البردي تجهّز في شكل وحدات مختلفة الأطوال، وتدلّنا البرديات المتبقية على أن أوراقها تعدّدت صحائفها، وازدادت طولاً كلما تقدّم الزمن، وإذا كانت أقدم بردية مكتوبة وصلت إلينا لم يتعدّ طولها العشرين سنتيمتراً، وكانت تمثّل بقايا من دفتر حسابات اكتشفت في المعبد الجنازي للملك نفركارع أسيسي من الأسرة الخامسة؛ فإن أطول بردية معروفة هي بردية جرينفيلد المحفوظة في المتحف البريطاني؛ إذ يبلغ طول كلّ صفحة من صفحاتها ٤٧ سنتيمتراً.

والواضح أن البرديات ذات الأطوال الكبيرة لم تكن لتستخدم في الموضوعات الأدبية التي تقتضي قراءتها أن تتداول مراراً، وإنما كانت مخصّصة لكتابة الموضوعات القضائية، وبعض الأعمال الحسابية، وكتب الموتى.

وفي الأغلب، كانت تلصق الأطراف الطويلة للصفحات معاً لتكوّن لفافة، وتتألف اللفافة النموذجية من عشرين صفحة، وبطبيعة الحال، كان بالإمكان لصق عدة لفافات، والمعروف في الوقت الحاضر أن أطول لفافة عُثر عليها يبلغ طولها أربعين متراً، وهي محفوظة في المتحف المصري، كما أن هناك لفافةً تبلغ خمسة وعشرين متراً في جامعة ميتشيغن بالولايات المتحدة الأمريكية، تشتمل على أكبر عدد من السطور المكتوبة؛ إذ تضم ما يزيد على ستة آلاف ومئتي سطر من الكتابة.

والحقيقة أن رقائق البردي امتازت بجمال منظرها، وملمسها الناعم، فضلاً عن متانتها وتشرّبها الجيد جميع أنواع الأحبار من دون الحاجة إلى نشاف، ومن دون أن يظهر الحبر على ظهرها؛ لذلك، ليس غريباً أن تكون مادة مثالية، بل متألّقة للكتابة. وقد أدرك فراعنة مصر هذه الحقيقة فقرّروا احتكار الدولة صناعته وتسويقه، وحرصوا جاهدين على الاحتفاظ بسرّ صناعته. وليس أدلّ على ذلك من كلمة PAPER، التي تعني ورق بالإنجليزية، فهي مشتقة من كلمة بابيروس PAPYRUS ذات الأصل الفرعوني التي تعني النبات الملكي، وقد ظلّ هذا السرّ طيّ الكتمان حتى لفظت الحضارة الفرعونية أنفاسها، ورزحت مصر تحت حكم الفارسيين، ومن بعدهم الإغريق، فالرومان، فانتقلت زراعة البردي إلى

تذكر الأسطورة المصرية القديمة أن أعمدة شاهقة من البردي كانت تحمل السماء، ومن هذا المنطلق انتشرت أعمدة البردي التي نحتت من حجر الجرانيت الوردي لتحمل سقوف المعابد

قرون مرّت ساد فيها البردي



بلاد الرافدين وسورية وصقلية وفلسطين. كما صُدِّر كثير من لفافات البردي إلى بلاد اليونان وروما، فسجّل الأجانب في تلك البلاد أفكارهم وتأملاتهم الشهيرة على أوراقه الجميلة.

وحتى بعد انقضاء العصر الفرعوني لم يظهر منافس حقيقي للبردي حتى عام ١٠٥م حينما اخترع أحد موظفي البلاط الملكي في الصين الورق الكاغد. وحذا أباطرة الصين حذو فراعنة مصر من قبل فعملوا على ألاّ يتسرّب سرّ اختراعهم إلى الخارج، لكن عندما ذاع السرّ عام ٧٥١م،

وعرف العالم المتحضّر صناعة الورق، تدهورت صناعة البردي في مصر، ثم توقفت، بل سرعان ما بدأ نبات البردي نفسه يتوارى، ثم اختفى من مصر تماماً بعد ذلك بقرون قليلة؛ بسبب فلاحة الأرض، وغمر المستنقعات بالطمي عاماً وراء آخر. ويعود الفضل في إحياء صناعة البردي الحديثة في مصر إلى الدكتور حسن رجب، الذي سافر في ستينيات القرن الماضي إلى أعالي النيل في السودان، وحصل على جذور النبات، ثم أعاد زراعتها في مزرعة صغيرة بالقرية الفرعونية التي أنشأها جنوب القاهرة.

البرديولوجيا

تمّت أول الاكتشافات البردية الحديثة في عام ١٧٥٢م، عندما جرت الحفريات في هيركولانيوم بالقرب من نابولي بإيطاليا، وكشفت عن ثماني مئة لفة من أوراق البردي. لكن بركان فيزوف المجاور عند ثورته في عام ١٩٧٩م حجرها حتى تعذّر على الباحثين - حتى مع الأساليب التقنية الحديثة - أن يفكّوا ألغاز ما يزيد على عدد قليل منها؛ مما دلّ على أنها كانت بقايا مكتبة فلسفية قديمة تخصّ كُتّاباً من مدرسة فيلوديموس وأبيقور من معاصري شيشيرون وفرجيل.

أما في مصر، فكانت باكورة الاكتشافات البردية في عام ١٧٧٨م، عندما عرض جماعة من الفلاحين على تاجر أوربي نحو خمسين لفافة بردي، فابتاع التاجر إحداها، انتقلت بعد ذلك إلى الكاردينال ستيفانو بورجيا، وأصبحت تعرف باسم وثيقة بورجيا، وهي الآن في متحف القصر المعروف باسم فيللا بورجيسي في روما. وتشتمل هذه الوثيقة على ثَبَت بأسماء العمال المستخدمين في إقامة أحد الجسور القديمة. بينما كانت أول بردية أدبية يتم الحصول عليها من مصر هي لفافة تحتوي على الكتاب الرابع عشر من إلياذة هوميروس، أحضرها وليم بانكرز عام ١٨٢١م، ثم سلّمها بعد ذلك إلى المتحف البريطاني. وقد حصل المتحف نفسه عام ١٨٤٧م على إحدى المخطوطات البردية لأحد المؤلفات الكلاسيكية المفقودة، تحتوي على ثلاث خطب لهبريدس. وعلى مدى الثلاثين عاماً التالية، خرجت من مصر مئات البرديات الفرعونية لتستقرّ في متاحف لندن وباريس وتورينو وفيينا.

> سيظل اختراع الورق من نبات البردي من أعظم الاختراعات التي كان لها أثر عظيم في رقيّ الجنس البشري عامة، وازدهار الحضارة الفرعونية خاصة

وفي شتاء عام ١٨٧٧- ١٨٧٨م غصّت سوق الأثريات في مصر بآلاف من أوراق البردي جيء بها من مرتفعات في قرى صعيد مصر كان الفلاحون يعدّونها للزراعة، ولم تكن هذه المرتفعات سوى مزابل للسكان القدماء لرمي النفايات. وبادر قناصل بريطانيا وفرنسا وألمانيا في القاهرة إلى شراء مجموعات كبيرة من هذه الأوراق، لكن القسم الأكبر منها كان من نصيب المكتبة الوطنية في فيينا؛ إذ بلغ عددها نحو مئة ألف.

والثابت أن أعمال البحث الأولى عن البردي كانت تتم بطرائق خالية من المهارة أو الخبرة، وبطرائق غير مشروعة وغير فنية، حتى بدأت أول أعمال بحث منظمة عام ١٨٨٩م على يد السير فليندرزبيتري، الذي عثر في منطقة الفيوم على بعض المومياوات استعمل في غطائها الخارجي ورق البردي بدلاً من القماش الذي كانت تلفّ به عادةً. بعد ذلك، تنبّهت جمعية الحفريات المصرية في لندن إلى أهمية إجراء الأبحاث الأثرية في مصر، فأرسلت إلى مصر عام ١٨٩٥م شابين بريطانيين لإجراء سلسلة من الحفريات، وبعد جهود استغرقت تسعة أسابيع عثرا على مقادير هائلة من لفات البردي في قرية البهنسا بالمنيا كانت تمثّل أرشيفات رسمية رُميت مرة بعد مرة في مختلف أدوار التاريخ المصري. وسرعان ما نشر هذان الشابان، وهما: إس هنت، وبوبي غرينفيل، بالتعاون مع جي كينون من المتحف البريطاني، ويوولكين في برلين، هذه الأوراق نشراً علمياً كان بداية ما نسمّيه بعلم دراسة أوراق البردي، أو (البرديولوجيا). ومنذ ذلك التاريخ أدركت جامعات العالم أهمية هذا العلم، فأنشأت معاهد وكراسيّ متخصصة فيه. وقد تمّ إنشاء أول كرسيّ أستاذية في هذا النوع من المعرفة في جامعة أكسفورد عام ١٩٠٨م. كما أقامت السربون بجامعة باريس قسماً خاصاً لعلم البرديات عقب الحرب العالمية الثانية.



ثم تبعه إنشاء معهد للبرديات في مدينة فلورنسا بإيطاليا. وفي بروكسيل ببلجيكا هيئة دولية لعلماء البرديات في العالم تجتمع مرة كل ثلاث سنوات على هيئة مؤتمر دولي لمناقشة الأبحاث والبرامج المتعلقة بهذا النوع من التخصّص.

حفظ التراث الإنساني

لقد كانت للبرديات المكتشفة أهمية قصوى؛ إذ وفّرت لنا أصول كثير من الكتابات السياسية، وأمدّتنا بعدد من النصوص الأدبية المهمة، التي عرّفتنا أسماء الآلهة التي عبدها المصريون القدماء، وقوائم الملوك الذين حكموا مصر قديماً، والقوانين التي سنّوها لتسيير أمور البلاد، إضافةً إلى القصص، والموضوعات البلاغية، والأناشيد، والتراتيل، والنصوص الجنائزية، وكتب الموتى.

إلا أن محتويات أوراق البردي لم تقتصر على الكتابات السياسية والأدبية فقط، بل منها ما اشتمل على وصفات طبية وعلاجية، ورسائل، وحسابات، وبيانات ولادة أو وفاة، وعقود زواج وأحكام طلاق، وإفادات عمل أو دراسة، واتفاقيات لبيع أو إيجار، وإيصالات وسجلات عن إحصاءات، وإشعارات أو إنذارات رسمية، وأوصاف لممارسات سحرية أو طقوسية. وبعبارة أخرى: تدخلنا محتويات أوراق البردي في صلب الحياة البشرية بنواحيها المختلفة مباشرةً. كذلك تصف لنا أحوال الناس من الطبقات الاجتماعية شتى؛ فهذه ورقة تحكي لنا قصة حاكم يزور أنحاء مقاطعته، وهذه أخرى تتناول قيام هذا الموظف أو ذاك بواجباته الرسمية. يُضاف إلى ذلك أوراق تتكلّم عن موظفين أمناء، وآخرين غير أمناء، إلا أن أكثر ما نعثر عليه فيها يشمل معيشة الناس العاديين في أنشطتهم اليومية من المهد حتى اللحد، حتى يصحّ القول: إن

هذه الأوراق البردية زادت معارفنا عن العصور القديمة في ميادين الحكم، والاقتصاد، والبناء الاجتماعي، والقانون، إلى درجه تكاد تكون غير محدودة. والحقيقة أن تلك البرديات التي تفاخر بها المتاحف العالمية، وتزخر بها المكتبات الوطنية، لا تقتصر على ما خلّفه المصريون القدماء ودُوِّن باللغة الهيروغليفية أو الديموطيقية فحسب، بل إن الكتابة الإغريقية عندما عمّت الشرق القديم على شواطئ البحر المتوسط احتلت مكانة مرموقة في أوراق البردي المكتشفة بالنسبة إلى المدة السابقة للفتح العربي في منتصف القرن السابع للميلاد. إلا أن هذا الأمر ينبغي ألا ينفي وجود أوراق بلغات أخرى: كالعربية، واللاتينية، والسريانية، والعبرية، والفارسية، تقدّر أعدادها بالآلاف، استطعنا من خلالها كشف كثير من خفايا التراث الإنساني؛ منها: دستور أثينا لأرسطو طاليس، والروايات الساخرة للشاعر الإغريقي هيروندَاس، ورواية مينا ندر الذي يجيء ثانياً بعد أرسطوفان، إضافةً إلى قطع من قصائد وكتابات لهرم ودبمو شينز ويوربيدس وهسيود، فضلاً عن جلاء مدى العدالة التي نفّذها قادة الجيوش الإسلامية في أثناء فتوحاتهم، ودحض افتراءات ما روّجه المستشرقون من تعصّب المسلمين تجاه غيرهم من أهل الديانات الأخرى وغيرها.

وليس لنا أن نختم هذه السطور من غير أن نشير إلى أن كثيراً من البرديات التي وصلتنا ما كانت لتنجو من الإهمال أو التلف، فجاءتنا متهالكة: مما يصعب معه فكّ طلاسمها ورموزها، أو قراءة نصوصها بصورة صحيحة. ولنا أن نعلم أن مجموع البرديات المنشورة حتى الآن لا يتجاوز نصف ما هو موجود منها في مركز واحد: لذلك فهي تتطلب عنايةً فائقةً من جانب المتخصّصين، سواء من خلال ترميمها وترقيعها ولصق شرائحها أم من خلال حفظها بطريقة علمية تحميها من الآفات وعوامل الطقس، فضلاً عن فهرستها فهرسةً مبسطةً تسهّل للدارسين أمر التعامل معها، وتفتح السبيل أمام الباحثين لإماطة اللثام عما تختزنه.

حتى بعد انقضاء العصر الفرعوني لم يظهر منافس حقيقي للبردي حتى عام ١٠٥م حينما اخترع أحد موظفي البلاط الملكي في الصين الورق الكاغد



المراجع

١- البردي، د. حسن رجب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٢- حين تكتب البرديات التاريخ الصحيح، د. نعمات أحمد فؤاد، مركز الدراسات البردية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٣م.

٣- معجم الحضارة المصرية القديمة، جورج بوزنر، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤- البرديات العربية في مصر الإسلامية، د. سعيد مغاوري محمد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥- روح مصر القديمة، أناربيز، ترجمة: إكرام يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٦- البردي واللوتس في الحضارة المصرية القديمة، محمد محمد الصغير، منشورات كلية الآثار، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٧٦م.

٧- البرديات العربية، د. عبدالعزيز الدالي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣م.

٨- مصر والحياة المصرية القديمة، أدولف إرمان، وهرمان رانكة، ترجمة: د. عبدالمنعم أبو بكر، ومحرم كمال، القاهرة، د.ت.

9- Egyption papyri and papyrus Hunting. james Baike. London. 1925.

10-papyrus an Art As old As writing. john Bentley. New yourk. 1987.

11-Egypt>s papyrus Art. Lewis Macquitty. New yourk. 1990.

إعلان الفائزين بجوائز مؤسسة الفكر العربي

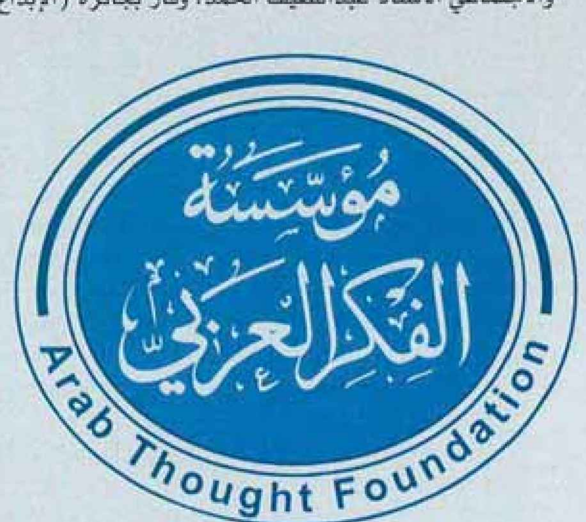
عقدت مؤسسة الفكر العربي مؤتمرها السنوي في دورته التاسعة (فكر ٩)، الذي أعلنت خلاله أسماء الفائزين بجوائز الإبداع العربي واللائحة القصيرة للمرشحين لجائزة أهم كتاب تمنحها المؤسسة.

وانعقد مؤتمر (فكر ٩) الذي استضافته بيروت للمرة الثانية خلال يومي الثامن والتاسع من ديسمبر/ كانون الأول برعاية رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان، وكان تحت عنوان: (العالم يرسم المستقبل: دور العرب)، بمشاركة نخبة من القادة والسياسيين ورجال الأعمال والمفكّرين العرب والأجانب من مختلف أنحاء العالم.

واختتم المؤتمر أعماله بحفل توزيع جوائز الإبداع وجائزة أفضل كتاب عربي، إلى جانب إجراء لقاء حواري مع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الذي كان حاضراً. وفازت بجائزة (الإبداع المجتمعي) الشيخة مي بنت محمد آل خليفة وزيرة الثقافة البحرينية، وفاز بجائزة (الإبداع العلمي) الدكتور يوسف نعيم يوسف، وهو طبيب روسي من أصل سوري، وفاز بجائزة (الإبداع الاقتصادي) الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي الأستاذ عبداللطيف الحمد، وفاز بجائزة (الإبداع الإعلامي) نادي دبي للصحافة، وفاز بجائزة (الإبداع الأدبي) الشاعر اللبناني جوزيف حرب، وفاز بجائزة (الإبداع الفني) الفنان الكويتي سامي محمد، وحُجبت جائزة الإبداع التقني هذا العام. وحصل كل فائز بإحدى الجوائز على براءة الجائزة، ودرع مؤسسة الفكر العربي، ومكافأة مالية قدرها ٥٠ ألف دولار.

يُذكر أن كلاً من المرشحين في القائمة القصيرة حصل على مكافأة مالية قيمتها خمسة آلاف دولار، وحصل الفائز النهائي على ٧٥ ألف دولار أمريكي.

وأعلن الدكتور سليمان عبدالمنعم - الأمين العام لمؤسسة الفكر العربي - عن تأسيس جائزة (مسيرة العطاء)، وهي جائزة تقديرية جديدة مُنحت للكاتب والصحفي غسان تويني تكريماً وتقديراً له.



مطالب بسحب الدكتوراه من أستاذ جامعي إيطالي نفى المحرقة اليهودية

صدر بيان من المجلس الأعلى لجامعة تيرامو الإيطالية بسحب الدكتوراه من الأستاذ الجامعي الإيطالي كلاوديو موفا؛ لنفيه ما يسمى بالمحرقة اليهودية في محاضرة مثيرة للجدل ألقاها مؤخراً، اتهم على إثرها بتهمة (معاداة السامية).

وطالب البيان الذي صادق عليه جميع عمداء كليات جامعة تيرامو المشكّلين للمجلس الأعلى بضرورة توقيف نشاط الأستاذ المعادي لليهود، ومنعه من تلقين الطلبة معلومات «غير صحيحة تهدف إلى خلق نوع من العداء والحقد ضد اليهود».

وأشار البيان إلى أن الحل هو إبعاد كلاوديو عن التدريس

الأدباء العرب يتوجهون نحو إفريقية

استضافت جامعة قاريونس في مدينة بنغازي الليبية خلال المدة من ٢٤ إلى ٢٦ أكتوبر/ تشرين الأول ندوة فكرية كبرى بعنوان: (ملتقى الأدباء العرب والأفارقة) تحت شعار (تفاعل تلاحم اتحاد تقدّم)، ضمّت عدداً من الأكاديميين والباحثين العرب والأفارقة في الشأن الثقافي؛ بهدف مناقشة تفعيل التواصل الثقافي بين الفضاءين العربي والإفريقي.

وأشار الدكتور خليفة أحواس في كلمته خلال افتتاح الملتقى إلى التحديات التي تواجه الثقافة العربية الراهنة في علاقتها بالثقافات الإفريقية، التي يأتي على رأسها تسرّب ثقافات الغرب عبر لغاته، خصوصاً الفرنسية والإنجليزية، إلى عمق الفعل الإبداعي الإفريقي، حاملةً معها مفاهيم الحضارة الغربية. ودعا أحواس المبدعين إلى ضرورة السعي إلى التعامل مع الثقافات الإفريقية، وعدم ترك الفرصة للثقافات الأخرى للتسرّب إلى الفضاء الثقافي الإفريقي. مشيراً إلى أن الدعم العربي لشعوب إفريقية ذات الثقافة العربية لا يزال في مستواه المعنوي، ولم يبلغ بعد الدعم المادي الفاعل.

بتجميد الدكتوراه التي حصل عليها من جامعة تيرامو. وأكد البيان تصدّيه لكل الأساتذة الجامعيين الذين يحاولون نشر «أفكار ومعلومات غير صحيحة عن المحرقة».

وقالت مصادر إيطالية: إن إصدار المجلس الأعلى لجامعة تيرامو هذا البيان جاء برغبة من ماريا ستيلا دجيلميني – وزيرة التعليم الإيطالية – ومن قوى يهودية في إيطاليا.

يُذكر أن الأستاذ الجامعي الإيطالي كان قد ألقى محاضرةً أمام طلبته أكد فيها بأدلة تاريخية وعلمية أن المحرقة التي تروّج لها وسائل الإعلام الأوربية والغربية عامة هي كذب على التاريخ، وتضليل لأجيال ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأن هناك غياباً تاماً لأدلة ومستندات دامغة تؤكد هذه الأحداث التاريخية، وقال: «أحداث المحرقة كانت من صناعة صهيونية نازية لأهداف سياسية واقتصادية؛ لتتحول بعد ذلك إلى سلاح أيديولوجي تستغله أكبر قوة في العالم من أجل الظهور أمام الجميع بمظهر الضحية لكسب المزيد من التعاطف».

علاء الأسواني يقاضي دار نشر إسرائيلية

أكد الكاتب المصري د. علاء الأسواني – بعد قيام مركز إسرائيلي فلسطيني بترجمة روايته (عمارة يعقوبيان) إلى العبرية – أنه سيتخذ الإجراء القانوني المناسب من خلال التقدّم بدعوى قضائية ضد دار النشر الإسرائيلية. وأشار الأسواني إلى أن ما فعلته دار النشر يعدّ اعتداءً على الملكية الفكرية للمؤلف، ومخالفاً لكل الاتفاقيات الدولية التي وقّعت عليها إسرائيل. وقام الأسواني بالفعل بإرسال جميع الأوراق الخاصة بالقضية إلى محاميه حسام لطفي – محامي اتحاد الكتاب والناشرين المصريين – لاتخاذ جميع الإجراءات، معرباً عن انتقاده الحملة الهادفة إلى تشويه صورته، ووصفه بأنه عدو للسامية والسلام، وكذلك التجاهل الذي تعرّضت له القضية الرئيسة الخاصة بالاعتداء على حقوق الملكية الفكرية له. ومن جانبه، أكد محمد سلماوي – رئيس اتحاد الكتّاب المصري – أن الاتحاد مستعد للاتصال بوزارة الخارجية واتحاد الناشرين الدوليين لتصعيد الأزمة، مشيراً إلى أن إسرائيل اعتادت السطو والقرصنة على الأعمال الأدبية، وترجمتها من دون إذن مؤلّفيها، الذين يرفضون عادةً التعاون معهم، وبعضهم يتظاهر بعدم معرفته بما يفعله الناشرون الإسرائيليون، ونحن لا يمكننا التدخل من دون إذن هؤلاء الكتاب. ويُذكر أن المركز الإسرائيلي الفلسطيني للأبحاث والإعلام قام بتوزيع نسخة مجانية مترجمة إلى العبرية من رواية (عمارة يعقوبيان) للأسواني على أعضائه من دون الحصول على تصريح من مؤلّفها.

وفاة عبدالعزيز الدوري وعبدالرحمن الجيلاني

فقدت الساحة الثقافية العراقية والعربية يوم الجمعة ١٣ ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ الموافق ١٩ نوفمبر عام ٢٠١٠م المؤرّخ العراقي د. عبدالعزيز الدوري الذي وافته المنية في العاصمة الأردنية عمان عن عمر ناهز الـ٩٢ عاماً؛ بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والفكري.

وُلد عبدالعزيز الدوري في بغداد عام ١٩١٩م، وحصل على بعثة عامية في المملكة المتحدة عقب حصوله على الشهادة الثانوية، ونال شهادة البكالوريوس من جامعة لندن عام ١٩٤٠م، ثم حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤٢م. وعقب عودته إلى بغداد عُيّن مدرساً للتاريخ الإسلامي في دار المعلمين العالية، وظلّ بها حتى رُقّي إلى مرتبة أستاذ. كما أصبح رئيساً لدائرة التاريخ في جامعة بغداد. فعميداً لكلية الآداب والعلوم في المدة من (١٩٤٩ - ١٩٥٨م). ورئيساً لجامعة بغداد في المدة من (١٩٦٢ - ١٩٦٦م). وكذلك عمل أستاذاً زائراً في جامعة لندن بين عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦م، وأستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية في بيروت في المدة من (١٩٥٩- ١٩٦٠م). واستقر أخيراً أستاذاً للتاريخ في الجامعة الأردنية.

وقد تمكن المؤرّخ الراحل عبر مؤلفاته التاريخية الكثيرة من تقديم صورة جديدة للتاريخ العربي الإسلامي عن طريق دمجه أصالة البحث التاريخي في مؤلفات المؤرّخين العرب القدماء مع أدوات التحليل والبحث التي استقاها من الغرب. ومن مؤلفاته: العصر العباسي الأول، ودراسات في العصور العباسية المتأخرة، وتاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، والنظم الإسلامية، ودراسات في علم التاريخ عند العرب، والجذور التاريخية للقومية العربية، والتكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، والجذور التاريخية للشعوبية، ونشأة علم التاريخ عند العرب.

كما توفي العلامة الجزائري عبدالرحمن الجيلاني مساء يوم الخميس ٥ ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ الموافق ١١ نوفمبر عام ٢٠١٠م في أحد مستشفيات العاصمة الجزائرية عن عمر ناهز ١٠٣ أعوام، وهو أحد تلامذة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العريقة، التي كانت رائدة الإصلاح الديني والثقافي في عهد الاستعمار الفرنسي. ويعود نسب الجيلاني، الذي وُلد في التاسع من فبراير عام ١٩٠٨م بحي بولوغين في العاصمة الجزائرية، إلى العالم عبدالقادر الجيلاني.

حفظ الجيلاني القرآن في المساجد والزوايا القرآنية، التي كانت تنتشر في العاصمة خلال حقبة الاحتلال الفرنسي، عن عدة شيوخ؛ منهم: الشيخ عبدالحميد بن سمايا، كما تلمذ للشيخ المولود الزبيري والشيخ الحفناوي حتى أصبح فقيهاً وعالماً في الشريعة وعلوم الفقه واللغة، وكان الراحل أحد أبرز الناشطين في جمعية العلماء المسلمين المناهضة للاستعمار، وعمل الشيخ عبدالرحمن الجيلاني بعد الاستقلال أستاذاً جامعياً ومدرساً للفقه المالكي، وحصل على عدد من أوسمة الاستحقاق من مؤسسات علمية متخصصة. كما نال شهادة تقدير من الرئيس الجزائري السابق الشاذلي بن جديد عام ١٩٨٧م، وفاز بجائزة الجزائر الأدبية الكبرى عام ١٩٦٠ م، إضافة إلى تكريم جامعة الجزائر له بمنحه شهادة دكتوراه فخرية.

أصدر الشيخ الجيلاني سلسلة من الكتب والمؤلفات الدينية، أبرزها: (تاريخ الجزائر)، الذي صدر في خمسة مجلدات، و(تاريخ الجزائر العام)، الذي صدر في جزأين، ويتناول التاريخ من أقدم العصور إلى العهد العثماني، و(تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، والمدية، ومليانة)، و(العملة الجزائرية في عهد الأمير عبدالقادر)، و(ابن خلدون في الجزائر). كما أنه صاحب مخطوطات: مثل: فنّ التصوير والرسم عبر العصور الإسلامية، والمستشرقون الفرنسيون والحضارة الإسلامية، وفنون الطلاسم.

وساهم الجيلاني في تأسيس مجلة (الأصالة) الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى، وكان عضواً فعالاً في الديوان الوطني لحقوق التأليف، وحاز غداة الاستقلال عضوية المجلس الإسلامي الأعلى في لجنة الفتوى التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد حماني رحمه الله.

مؤسسة جائزة البابطين تكرم الأمير تشارلز وتعلن الفائزين بجوائزها



شهدت العاصمة البوسنية سراييفو يوم السبت ١٥ ذي القعدة سنة ١٤٣١هـ الموافق ٢٣ أكتوبر عام ٢٠١٠م افتتاح أعمال الدورة الثانية عشرة لمؤسسة جائزة عبدالعزيز البابطين للإبداع الشعري.

وشرَّف حفل الافتتاح الدكتور حارث سيلاجيتش - رئيس مجلس رئاسة البوسنة والهرسك - وسط حضور كبير لوفود وشخصيات سياسية وثقافية وفكرية رفيعة من الكويت والعالم العربي والإسلامي، إضافةً إلى مستشرقين وأدباء من أوربا. وألقى عبدالعزيز البابطين - رئيس مجلس أمناء الجائزة - كلمة افتتاحية أعرب فيها عن ترحيبه بالحضور وأصدقاء الثقافة، مشيراً إلى أن اختيار العاصمة البوسنية سراييفو لعقد هذا اللقاء هو تقدير لكفاح هذه المدينة في المحافظة على روح التسامح العرقي والديني، وأكد أن المؤسسة ستكثّف جهودها في دعم اللغة والأدب والثقافة العربية.

وأكد أليساندرو - القاصد الرسولي في البوسنة والهرسك وكبير الأساقفة - في كلمته التي ألقاها نيابةً عن البابا بنيدكت السادس عشر أن «هذه التظاهرة تحاول أن تقدّم تسويةً ولقاءً لما يُسمَّى اختلاف الثقافات»، وتمّ في ختام الحفل تكريم الأمير تشارلز وليّ عهد بريطانيا لجهوده المتعلقة بترسيخ الحوار بين الثقافات، كما أعلنت جوائز الدورة الثانية عشرة، وجاءت كالآتي: جائزة أفضل قصيدة للشاعر فارس حرام من العراق، وجائزة أفضل ديوان شعري للشاعر أحمد حسن محمد من مصر، وجائزة الإبداع النقدي للدكتور صلاح رزق.

لا عنادل في القطيف

صدر للباحث والمؤرخ الأستاذ علي الدرورة نشرة بيئية بعنوان: (العنادل لا تغرّد في القطيف)، تتحدث عن الصيد الجائر للبلابل في واحة القطيف، وتدعو إلى لمّ شباك الصيد الثلاثية الأبعاد من المزارع بعد انقراض البلبل من واحة القطيف تماماً؛ إذ كشفت الإحصائية أن مليوناً ونصف المليون بلبل تم اصطياده في القطيف خلال السنوات العشر الماضية.

والبلبل العربي يوجد منه عشرة أنواع، وأفضله العربيّ الذي يعيش في المنطقة ويتمتع بخصائص فريدة. ولم يقتصر الصيد الجائر على البلبل العربي، بل طال البلبل الهندي (الكشميري)، والزرزور المحلي (عصفور أبو دبة)، الذي كان يشاهد في أسراب؛ فلم تعد تُرى سوى أعداد قليلة منه. والنشرة طبعت في القطيف خلال نوفمبر عام ٢٠١٠م بالتعاون بين جمعية الصيادين في صفوى وجمعية البيئة في القطيف، ووزّعت مجاناً خلال مهرجان الدوخلة السادس.



متابعات

ندوة عالمية: علاقات الجزيرة العربية باليونانيين والبيزنطيين

شهدت مدينة الرياض في المدة من ٣٠ ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ إلى ٣ من المحرم سنة ١٤٣٢هـ الموافق ٦-٩ ديسمبر عام ٢٠١٠م فعاليات الندوة العالمية الكبرى التي حملت عنوان: (علاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي.. القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن العاشر الميلادي). التي نظّمتها جامعة الملك سعود بالتعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والسفارة اليونانية، والهيئة العامة للسياحة والآثار.

الأهداف والمحاور

هدفت الندوة إلى إلقاء الضوء على علاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي من خلال دراسة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المتبادلة بين العالمين الشرقي والغربي من خلال أربعة محاور أساسية، هي:

- المحور الأول: الجزيرة العربية واليونان
ويبحث في صورة الجزيرة العربية كما ظهرت في المصادر الجغرافية والتاريخية اليونانية واللاتينية: مثل: كتابات مارينوس الصدري، وبطليموس الجغرافي، وكتابات هيرودوتس وسترابون وبليني التاريخية.
- المحور الثاني: الجزيرة العربية والعالم البيزنطي
ويبحث في المصادر التاريخية البيزنطية والسريانية التي تعرّضت للجزيرة العربية على مختلف الصعد، سواء في الكتابات الأدبية كالشعر أم في الكتابات الدينية.
- المحور الثالث: الجزيرة العربية والتجارة الإغريقية البيزنطية
ويبحث في الجانب الاقتصادي للعلاقات العربية الإغريقية البيزنطية: كطريق البخور، وشهرته التجارية في حقبة ما قبل الإسلام، وكيف تطور في أوائل العصر الإسلامي.
- المحور الرابع: التأثيرات الحضارية بين الجزيرة العربية واليونان والدولة البيزنطية
ويتناول حركة الترجمة إلى اللغة العربية، خصوصاً من اللغة اليونانية، مع التركيز في العصر العباسي الأول، ودور هذه الترجمات في حفظ التراث اليوناني القديم.

الافتتاح

وكان صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - قد افتتح الندوة بقاعة الشيخ حمد الجاسر في الجامعة مساء الثلاثاء ٣٠ من ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان - رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار - والسيد باظلوس جيورولانوس - وزير الثقافة والسياحة اليوناني - والدكتور عبدالعزيز بن سالم الرويس - وكيل جامعة الملك سعود - والدكتور ديميتريوس ليتسيوس - سفير جمهورية اليونان لدى المملكة.

الأمير تركي الفيصل: المملكة لا تزال وفية لإرثها الإنساني بدفعها مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار بين الثقافات

ضرورة سبر أغوار العلاقة

وتقدّم الأمير تركي الفيصل بالشكر إلى جامعة الملك سعود، قائلاً: «أودّ في البداية أن أشكر لجامعة الملك سعود جهودها في تنظيم هذه الندوة التي تنعقد في رحابها، والشكر موصول إلى المؤسسات والجهات المشاركة في عقدها، وأخصّ هنا الهيئة العامة للسياحة والآثار، والسفارة اليونانية في المملكة».
وأضاف سموه: «من المعروف تاريخياً أن الجزيرة العربية ارتبطت - بحكم المصلحة والضرورة - بعلاقات سياسية وثقافية واقتصادية مع الدول والإمبراطوريات والحضارات التي سادت في تاريخ البشرية؛ لأهمية موقعها الجغرافي المتميز وسط الكرة الأرضية، وسجّلت لنا المصادر التاريخية كثيراً من الأحداث والوقائع والتفاعلات التي تمّت بين عالم الجزيرة العربية والعوالم الأخرى، وطبيعة تأثر وتأثير حضارات هذه العوالم بعضها في بعض، وإذا ما عدنا إلى هذه المصادر التاريخية فسنجد أن الجزيرة العربية قد ارتبطت مع العالمين اليوناني والبيزنطي بعلاقات تجارية مباشرة وغير مباشرة منذ القدم، كما سجلت لنا هذه المصادر تاريخ مراحل الوفاق والخلاف بين العرب والروم وغيرهم، لقد كان القرب الجغرافي محتّماً لوجود مثل هذه العلاقات، وفي هذا السياق، أتطلع أن تسهم هذه الندوة في سبر أغوار طبيعة هذه العلاقات التاريخية وحدودها، بما يكشف لنا عن خبايا هذه العلاقة للفائدة العلمية وللاستفادة من دروسها، وأثق أن ذلك ما سوف نسمعه خلال اليومين القادمين».
وقال سموه أيضاً: «إن استحضار العلاقات التاريخية بين الدول والحضارات السائدة والبائدة، ودراستها في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ البشرية، أمر مهم وضروري؛ لما تواجهه العلاقات بين الحضارات والأديان والثقافات السائدة من ضغوط متنوعة ومتعددة الأبعاد، فإذا كانت الاتصالات وعلاقات التعاون والحوار هي وسائل تجاوز الصراعات بين الأمم في الماضي، فهي



الأمير تركي الفيصل — الأمير سلطان بن سلمان — الوزير اليوناني بافلوس جيورولانوس

نفسها وسيلتنا اليوم للتعامل مع هذه التحديات. والمملكة العربية السعودية الوارثة - هي وشقيقاتها دول الجزيرة العربية - إرث الجزيرة العربية التاريخي والحضاري في إقامة العلاقات مع الدول والشعوب الأخرى لا تزال وفية لهذا الإرث بدفعها مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز للحوار بين الثقافات والأديان والفلسفات السائدة في العالم. وإن السير نحو سبيل أفضل للعلاقات مع كل شعوب العالم ودوله. والبحث فيما يجمعنا من قواسم تاريخية مشتركة مع الآخرين. يساعد على ذلك. وفي هذا السياق. ينبغي لنا أن نستذكر ما خلّفته الحضارة الإغريقية من إرث حضاري لا يزال العقل البشري ينهل من أفكاره حتى يومنا هذا. ولن نجد أحداً في هذا العالم يتحدث عن فكرة الدولة والفلسفة والحكم والأخلاق دون أن يستشهد بمفكّر أو فيلسوف يوناني. كما ينبغي لنا أيضاً أن نستذكر أن التلاقح الثقافي بين حضارتنا وثقافتنا وحضارة اليونان وثقافتهم قد أسهم في وضع أسس الحضارة الغربية الحديثة وقواعدها في الفكر وفي العلوم».

وأكد سموه في ختام كلمته أن «هذه الحقائق التاريخية توفّر الأساس الراسخ لعلاقات وثيقة تربط بين ورثة العالمين اليوناني والبيزنطي ودول الجزيرة العربية. ونتحمّل نحن - في المملكة العربية السعودية واليونان - مسؤولية البناء على هذا الإرث التاريخي. أرجو لهذه الندوة كل النجاح. متمنياً أن تكون نواة لأنشطة أخرى تسعى إلى توثيق العلاقات بين بلدانناء.

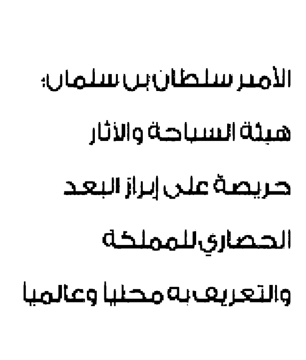
الاهتمام بالبعد الحضاري

وشدّد صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز - رئيس الهيئة العامة للسياحة والآثار - على أن مشاركة الهيئة في تنظيم الندوة العالمية لعلاقات الجزيرة العربية بالعالمين اليوناني والبيزنطي يأتي انطلاقاً من اهتمامها بالأنشطة التي تسهم في إبراز البعد الحضاري للمملكة، والتعريف به محلياً وعالمياً. إضافةً إلى كونها معنية بما يتعلق بالآثار من أنشطة علمية وبحثية وثقافية.

وقال سموه في كلمته خلال حفل الافتتاح: «إن التواصل الحضاري بين العالمين اليوناني والروماني والجزيرة العربية شهد خلال ألف وخمسمئة عام علاقات بين الجانبين، وعدة أشكال من محاولات التنافس في منافع التجارة الدولية العابرة براً وبحراً بين الشرق والغرب». موضحاً سموه أن العلاقات السياسية والاقتصادية المبنية على تحقيق المصالح المشتركة لكلا الطرفين تطورت، وعبرت خلالها أيضاً الأفكار والفنون والآداب والعلوم. وأشار إلى أن هذه العلاقات استمرت بعد

وزير الثقافة والسياحة اليوناني: العلاقات التاريخية أساس متين لعلاقات الحاضر







د. عبد العزيز الرويس د. كارول هيلنبراند

الإسلام. فحظيت الثقافة اليونانية باهتمام خاصّ من الحكام العرب المسلمين. وشكّلت الحضارة الإسلامية في صقلية خاصةً وجنوب إيطاليا وفي الأندلس نقطة انطلاق للحضارة الأوربية وارثة العالمين اليوناني والروماني.

وأكد الأمير سلطان أن الآثار الباقية في الجزيرة العربية تأتي شاهداً حياً على حقيقة هذا الحوار الحضاري. مستشهداً بالمواقع الأثرية في مدائن صالح. وموقع الخريبة عاصمة مملكة لحيان بالعلا. والمتحف الوطني في الرياض. ومتحف جامعة الملك سعود. ومتحف وقلعة البحرين. وجزيرة فيلكة في الكويت. وجزيرة فرسان في المملكة. وتيماء التي تعدّ تقاطع الحضارات والتجارة عبر التاريخ في المملكة.

ودعا الأمير سلطان بن سلمان إلى الاهتمام بدراسة هذا التاريخ الحضاري المشترك. وفهمه. واستلهام العبر منه. خصوصاً في هذا الوقت الذي انطلقت فيه دعوة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله. وأعاده سالماً إلى أرض الوطن - من الجزيرة العربية للحوار بين الحضارات والأديان والتفاهم بين الشعوب. وهو ما يصبّ أيضاً في صميم مبادرة العناية بالبعد الحضاري للمملكة العربية السعودية التي أطلقتها الهيئة العامة للسياحة والآثار بتوجيه من قيادة الدولة.

مدّ الجسور بين العالمين العربي والغربي

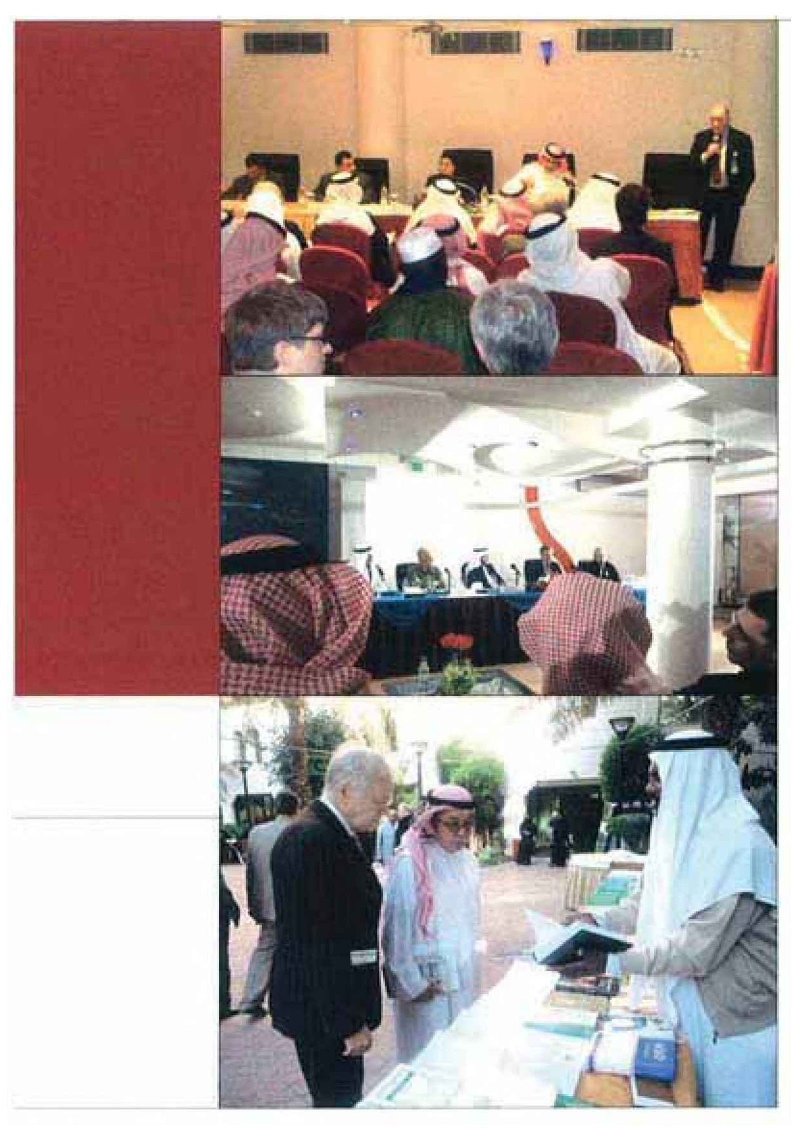
وشكر السيد بافلوس جيورولانوس - وزير الثقافة والسياحة في جمهورية اليونان - للجهات المنظمة هذا الحرص على إبراز العلاقات التاريخية التي تعدّ أساساً قوياً لعلاقات الحاضر. ومدّ جسور التفاهم بين العالمين العربي والغربي. مقدماً الدعوة إلى إقامة فعاليات مماثلة في أثينا قريباً.

من أجل المستقبل

وقال الدكتور ديميتريوس ليتسيوس - سفير جمهورية اليونان لدى المملكة - في كلمته: «هذه هي المرة الأولى التي تُعقد فيها ندوة عن التاريخ تتمحور حول العلاقات بين العالم اليوناني وشبه الجزيرة العربية في المملكة العربية السعودية. وإنه لشرف كبير استضافة مثل هذا الحدث الذي يضم أكثر من ٦٠ خبيراً من مختلف أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه هو تحدٍّ. ويكمن الجزء الأهم في هذا التحدي في التوصل إلى مستويات عالية عالية. بينما نحاول أن نحاور الموضوعات المدرجة مع إشراك أكبر عدد من الحضور في النقاش في الوقت نفسه».

السفير اليوناني: إنه لشرف كبير استضافة مثل هذا الحدث العالمي الذي يضم أكثر من ٦٠ خبيرا

وأضاف السفير اليوناني: «كان من المستحيل عقد هذه الندوة من غير العثور على الشركاء المناسبين من الجانب



السعودي، وقد ثبت أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وجامعة الملك سعود والهيئة العامة للسياحة والآثار هم الشركاء الأمثل لهذه المهمة. إنني مدين لهم بالشكر العميق؛ لتعاونهم واستعدادهم للقيام بالمهام التي شكّلت التحدي الأكبر لتنظيم هذا الحدث». وأكد السفير اليوناني أن عقد منتدى خاصّ بالعلاقات التاريخية بين عالمين متاخمين جغرافياً وثقافياً يعني تسليط مزيد من الضوء على الماضي من أجل تقوية العلاقات في المستقبل وتعزيزها.

شراكات إستراتيجية

وبيّن الدكتور عبدالعزيز بن سالم الرويس - وكيل جامعة الملك سعود - حرص الجامعة على إقامة شراكات إستراتيجية مع الجهات ذات الصلة لتعميق البحث العلمي، وخدمة المجتمع، وتفعيل دور الجامعة بالتعامل مع جهات وطنية وعربية وعالمية من أجل تبادل الخبرات، وتقريب وجهات النظر، والاستفادة المتبادلة. وشكر الرويس سمو الأمير تركي الفيصل وسمو الأمير سلطان بن سلمان على اهتمامهما بدعم جهود الجامعة في هذا الاتجاه، كما قدّم شكره إلى معالي وزير الثقافة والسياحة اليوناني؛ لتكبّده مشاقّ الحضور، وإلى السفارة اليونانية، مشيداً بحرصها على تناول هذا الموضوع المهم، الذي يعمق العلاقات بين البلدين، ويفتح التعاون البحثي والأكاديمي بين الجامعات ومراكز البحث في البلدين.

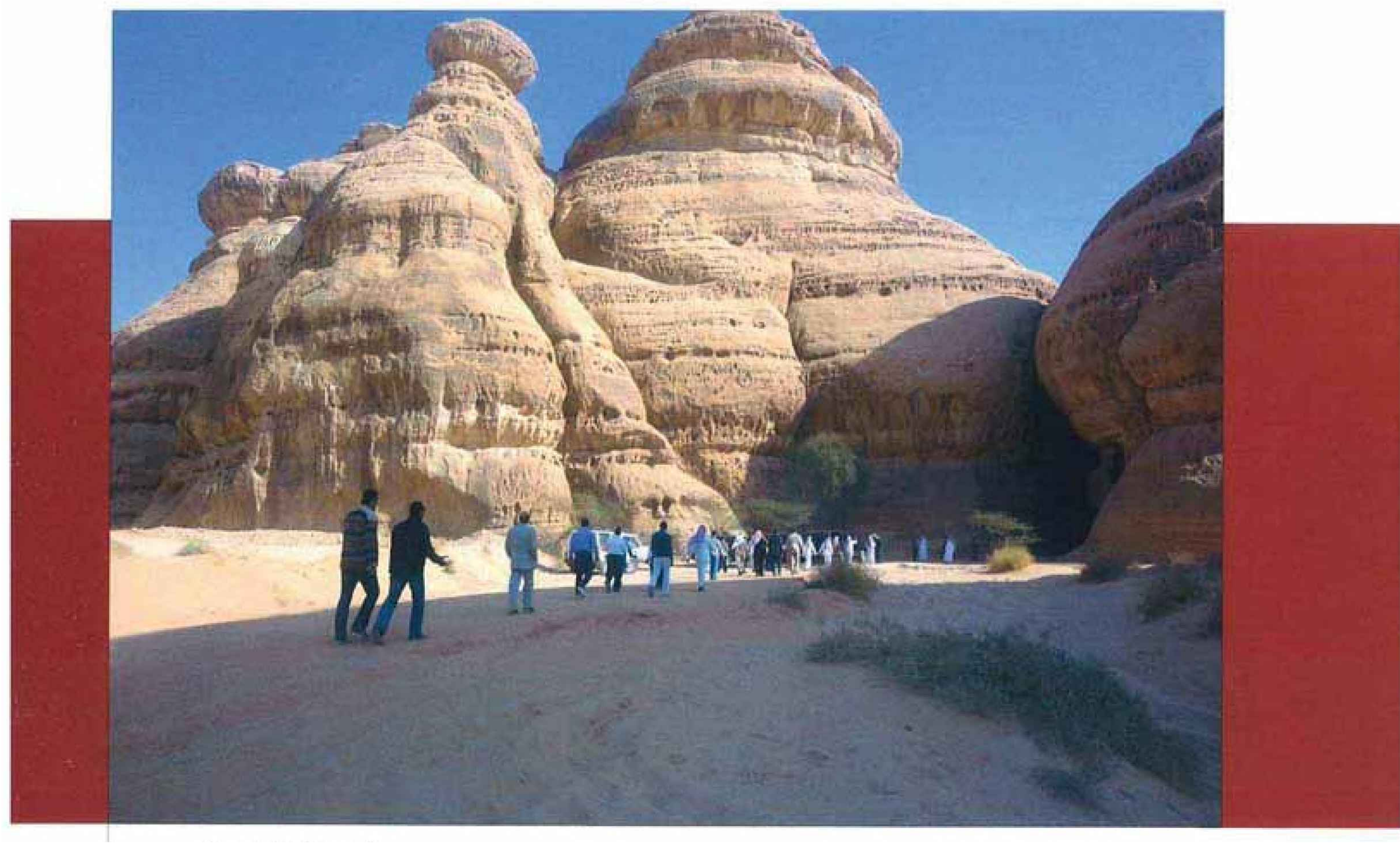
كشف المجهول والمهجور

وأوضح الدكتور عبدالله بن عبدالرحمن العبدالجبار - رئيس اللجنة المنظمة للندوة - في الكلمة الافتتاحية أنه «امتداداً لمؤتمراتنا الدولية الرامية إلى الكشف عن الجوانب المجهولة والمهجورة من تاريخ الجزيرة العربية، التي تمثّلت في سلسلة من الندوات المتخصصة في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، عُقد منها حتى الآن سبع ندوات عالمية، يأتي انعقاد هذا المؤتمر على نسق ما سبقه من مؤتمرات، مع التركيز في علاقات الجزيرة العربية مع إحدى الحضارات المهمة في العالم؛ هادفاً إلى الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ الجزيرة العربية القديم والإسلامي، وعلى وجه الخصوص علاقاته بالعالمين اليوناني والبيزنطي».

وأضاف العبدالجبار: «تتميز هذه الندوة بمشاركة مراكز عالمية داخلية وخارجية في التنظيم؛ إذ يشارك داخلياً مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية والهيئة العامة للسياحة والآثار، ومن خارج المملكة يشارك معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بأثينا، إضافةً إلى التعاون مع سفارة اليونان بالرياض».

بداية التعاون الجاد

وأوضح الدكتور فاسيلوس خريستيذيس - المدير العام



جانب من زيارة مدائن صالح

> د. عبدالعزيز الرويس.. وكيل جامعة الملك سعود: الجامعة حريصة على إقامة شراكات إستراتيجية لتعميق البحث العلمي

للمعهد الإغريقي الشرقي والدراسات الشرقية (إجواس) - أن المعهد يسعى إلى تقديم نموذج للبحوث والدراسات النظامية المتعددة التخصصات في الموضوعات التي تتطرق إلى العلاقات الثقافية بين اليونان والإغريق مع شبه الجزيرة العربية. وفي سبيل ذلك ينظم المؤتمرات الدولية. وينشر أعمالها في النشرة (الإغريقية – شبه الجزيرة العربية) باللغات الإنجليزية والفرنسية واليونانية والعربية.

وأشاد خريستيذيس بالندوة وأهدافها، مشيراً إلى ضرورة فتح آفاق التعاون بين الجامعات ومراكز البحث في المملكة واليونان، وقال: إن هذه الندوة تمثّل تأسيساً لمرحلة من التعاون الجادّ بين البلدين.

تفعيل البحث العلمي

وقد أكّد ممثلو الجهات المنظّمة في اليوم الختامي أهمية الندوة، وبلوغها أهدافها في بحث العلاقات التاريخية بعمق، والربط بين المهتمين بها، والتأسيس لعلاقة أكاديمية تتوجه نحو تفعيل البحث العلمي في هذا المجال الحيوي. وقد خاطب الحضور كلّ من: سعادة سفير اليونان لدى الرياض، ورئيس اللجنة المنظمة، والأستاذ إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق ممثّلاً للدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ود. كارول هيلنبراند الحائزة على جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، والدكتور فاسيلوس خريستيذيس: المدير العام للمعهد الإغريقي الشرقي والدراسات الشرقية (إجواس).

زيارة مدائن صالح

نظّمت الهيئة العامة للسياحة والآثار يوم الخميس ٣ من

المحرم سنة ١٤٣٢هـ الموافق ٩ ديسمبر عام ٢٠١٠م زيارة للمشاركين في الندوة إلى محافظة العلا وآثار مدائن صالح. وبدأت جولة الضيوف بزيارة آثار البلدة الإسلامية القديمة في العلا، فوقفوا على أهم معالم هذه البلدة. بعد ذلك قام الوفد بزيارة آثار مدائن صالح، التي تشتمل على عدد من المعالم الأثرية: مثل: القصر الفريد، ومجموعة قصر البنت، وقصر الصانع، ومجلس السلطان، والخريمات. وبعد ذلك زار الضيوف القلعة الإسلامية، ومحطة سكة حديد الحجاز في مدائن صالح، ثم تناولوا الغداء في فندق أرالك.

وقد شكر السفير اليوناني باسم المشاركين في الندوة للهيئة العامة للسياحة والآثار تنظيمها هذه الزيارة التي وجدت الإشادة والتقدير؛ لما حققته من فوائد علمية، خصوصاً أن أغلب المشاركين يزورون تلك الآثار أول مرة. وأبدى السفير إعجابه بتلك المعالم الأثرية التي تؤكد البعد الحضاري للمملكة، وثراء تراثها، مقدّراً للهيئة عملها على الحفاظ على آثار المملكة في كل المناطق.

وتميّزت الزيارة بحسن التنظيم، وقيام المرشدين السياحيين بالشرح الوافي للضيوف، الذين انتهزوا الفرصة والتقطوا بعض الصور التذكارية، وتمعنوا في الكتابات الأثرية، وتداولوا النقاش حولها.

وكان الدكتور علي بن إبراهيم الغبان - نائب الرئيس للآثار والمتاحف في الهيئة العامة للسياحة والآثار، الذي رافق الضيوف - قد كشف في محاضرته التي ألقاها في الندوة عن اكتشاف عدد من الآثار في المملكة تبرز الصلات التاريخية والحضارية بين الجزيرة العربية والحضارتين اليونانية والبيزنطية. وأوضح أن هناك أكثر من ١٦ فريقاً دولياً في المواقع الأثرية: منها مدائن صالح، وهي أول موقع سُجّل على قائمة التراث العالمي في منظمة اليونسكو.

معرض الكتاب

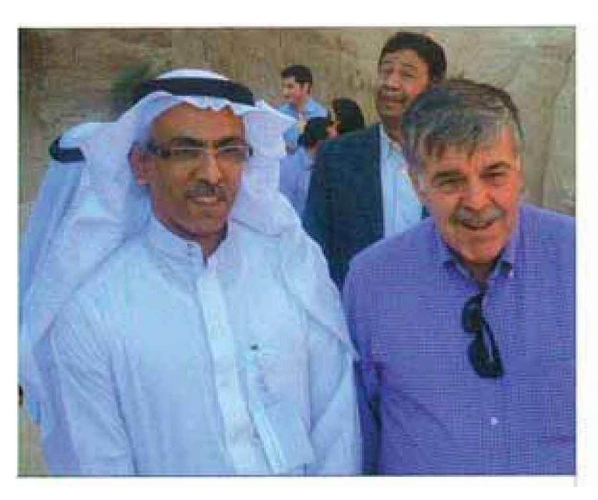
أقيم على هامش الندوة معرض للكتاب اشتمل على إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ودار الفيصل الثقافية، والجمعية التاريخية السعودية التي تضم الدراسات التاريخية والحضارية في أقسام التاريخ والآثار في جامعات المملكة، كما تضم أعضاء من أقسام لها ارتباط لصيق بالتاريخ. وقد وجدت الكتب إقبالاً واضحاً من المشاركين ومتابعي الندوة، خصوصاً أنها اشتملت على موضوعات تاريخية وأثرية قيمة، وعكست مدى الاهتمام بالنشر في الجامعات والمراكز البحثية السعودية.

مطار جديد

قيل لنا عندما هبطت بنا الطائرة الخاصة التي أعدّتها الهيئة العامة للسياحة والآثار في مطار الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز في العلا: إن هذا المطار لم يفتتح بعد رسمياً، وإن هذه هي الرحلة الأولى التي يستقبلها المطار الذي تم تجهيزه مؤخراً ليستوعب أكثر من ١٠٠ ألف راكب، بواقع أربع رحلات يومياً، وتبلغ مساحته الإجمالية ٢٤ مليون متر مربع.

ويقع المطار في جنوب شرق محافظة العلا على طريق المدينة السريع، ويبعد ٢٥كم من وسط المدينة، كما يبعد ٥٠كم من آثار مدائن صالح، وهو يخدم المحافظات المجاورة للعلا أيضاً على قطر يصل إلى ٢٥٠كم.

السفير اليوناني ورئيس اللجنة المنظمة في مدائن صالح



د. عبدالله العبدالجبار، رئيس اللجنة المنظمة:
الندوة امتداد لمؤتمرات الجامعة الدولية الرامية إلى كشف الجوانب المجهولة من تاريخ الجزيرة العربية

من شعر الغربة

الليل والغريب

كمال حسين نشأت
القاهرة - مصر

إلى أين تمضى
وحيداً كصبّارة القبر
وجهُك بِئرُ الجفاف
وصمتُ الربابه
وأحزانك المُعْشبَات استطلْنَ
وأصبحن غابةً
إلى أين تمضى
وليل المدينة يمتدّ حولكَ
والمطر المُستَهل يُباكى
شوارعها الخالياتْ
وأنت وهذي الوريقة
فوق الرصيف تزويعها الريحُ
لا من صديقٍ
ولا من ضياءٍ سوى ذبذبات المصابيحِ
والشُّقَقُ الدافئاتُ
تسلّل منهن عبر النوافذِ
خيطٌ من الضوء يُنبئُ
عن آخرين يعيشونَ
جوّ الحنان وطعم المودةْ
كوباً من الشاى؟ لفظة ودٌ
وجلسة عائلة ماتريد؟
وكيف وأنت الغريب الجديدُ
على هذه البلدة المستحمّةِ

في مطر الليل أرملةٌ
كفنها الدموعُ
ستمشي ويرسب في قلبكَ
المطر المتساقط في الطرقاتِ
وحيداً كصبارة القبرِ
وجهك يد الجفاف وصمت الربابهْ
وأحزانك المُعْشبَات استطلْنَ
وأصبحن غابةً...

قصيدة





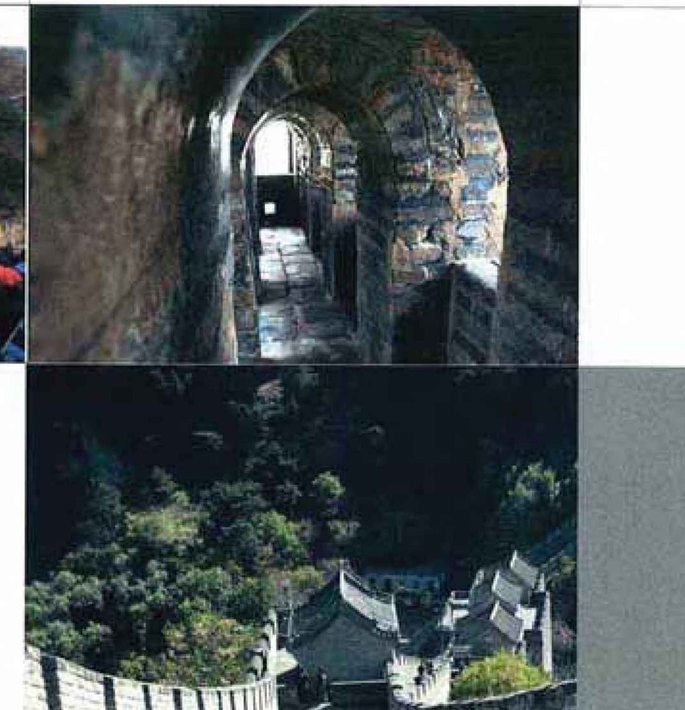
سور الصين العظيم..

حسام فتحي أبو جبارة

دبي - الإمارات

لست إنساناً حقيقياً إن لم تزُرْه!





كثيراً ما عُرف سور الصين العظيم بأنه المَعْلَم الوحيد الذي بناه الإنسان ويمكن رؤيته من الفضاء، ومع أن هذا التعريف غير صحيح دائماً؛ بسبب الغطاء النباتي الكثيف المحيط بالسور وسمكه اللذين لا يسمحان برؤيته أحياناً من الفضاء، فإن هذا السور الذي يُقال له باللغة الصينية (تشانغ تشينغ) أو (الحائط الطويل) ما زال له سحره وجاذبيته اللذان يجعلان ملايين الزوار والسياح يزورنه سنوياً؛ ليتمتعوا برؤية رمز الأمة الصينية، الذي لا يُظهر ذكاء أسلاف الصينيين فحسب، بل يجسّد جهداً بذلوا فيه العرق والدماء؛ إذ استغرق بناؤه ألفي عام بسواعد عشرات الملايين من العمال، الذين يُقال إن نحو اثني عشر مليوناً منهم قد توفُّوا نتيجة الجهد الخارق الذي بذلوه في بنائه.

وصف السور

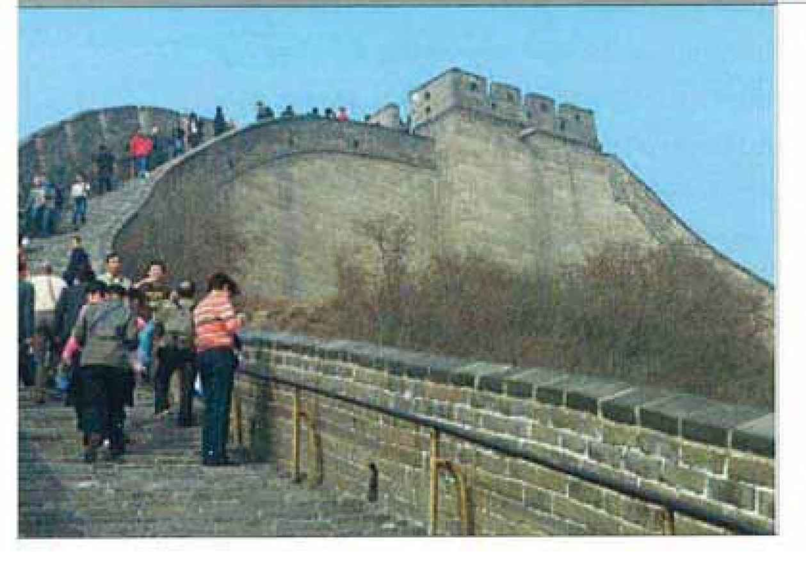
بُني سور الصين أساساً بهدف صدّ الغزاة المقبلين من شمال البلاد، وبدأ العمل به في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد على الأرجح، واستمر حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي. ويصل طول السور حالياً إلى ٦٤٠٠ كيلومتر على الرغم من أن أجزاء كثيرة منه تقوّضت وهُدمت بفعل الزمن، والجزء الرئيس منه يبلغ طوله نحو ٣٤٦٠ كيلومتراً، وارتفاعه نحو ٧,٥ أمتار، ويضيق عرضه من ٧,٥ أمتار في القاعدة حتى ٤,٦ أمتار في القمة. وهناك أبراج مراقبة وُضعت على مسافات تراوح بين ٩٠ متراً و١٨٠ على طول السور، ويبلغ ارتفاع هذه الأبراج نحو ١٢ متراً.

وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلها الحكام الصينيون لإنهاء بنائه، فإن السور لم يقُمْ بمهمته المطلوبة في الدفاع عن البلاد ضد هجمات الشعوب البدوية (البرابرة)؛ فقد سمحت الغزوات التي قام بها أباطرة ملوك تشينغ، الذين كانوا ينحدرون بدورهم من أحد هذه الشعوب، للبلاد بالتخلص من تلك التهديدات.

وإضافةً إلى دوره العسكري، أثّر سور الصين العظيم في التنمية الاقتصادية الصينية أيضاً؛ فاتجاهه متطابق تقريباً مع الخط الفاصل بين المناخ شبه الرطب والمناخ الجاف في الصين، ومن ثَمّ أصبح السور يفصل بين المناطق الزراعية والمناطق البدوية.

وفي قديم الزمان، كانت تقيم في شمال الصين أقليات قومية بدوية، وكانت قومية هان تعيش في وسط الصين. ومن أجل حماية الإنتاج الزراعي، ومنع نهب القوميات البدوية منتجاتهم الزراعية، ظلّ أهالي قومية هان يبنون السور باستمرار، وبذلك أصبح سور الصين العظيم حاجزاً للتطور المستقل للحضارتين المختلفتين.

سور الصين لم ينجح في صدّ هجمات الغزاة من شمال البلاد، إلا أنه مع ذلك يُنظر إليه بقدر كبير من الاعتزاز لدى الصينيين



الموقع والحدود

يمتدّ سور الصين العظيم على الحدود الشمالية والشمالية الغربية لجمهورية الصين الشعبية، من تشنهوانغتاو على خليج بحر بوهاي (البحر الأصفر) في الشرق إلى منطقة غاوتاي في مقاطعة غانسو في الغرب. وتم بناء سور آخر إلى الجنوب، امتد من منطقة بكين إلى هاندان.

يجنح السور في الشرق عبر سلسلة جبلية تسمى الحدود المغولية المرتفعة. ولهذا الجزء من السور أساس من الكتل الجرانيتية، وله جوانب من الحجر، بينما مُلئ داخل السور

زُرْه في شهري مايو وأكتوبر

يعدّ سور الصين العظيم أطول بناء سطحي على وجه الأرض، وقد بدأ بناؤه في القرن السابع عشر قبل الميلاد، لكن أغلب المواقع السياحية به الآن يرجع بناؤها إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. يبلغ طول السور نحو ٦٤٠٠ كيلومتر، وكان يسمى سابقاً (سور العشرة آلاف لي)، والـ(لي) هو وحدة قياس تعادل نصف كيلومتر أو ثلث ميل.

تختلف مواد بناء السور من منطقة إلى أخرى؛ فقد تم استخدام الحجارة المنحوتة والطوب في شرق الصين، بينما في غربها استخدمت مواد أقلّ صلابة، كما استخدم الطين المدعم بفروع الأشجار وأوراقها. ويُنصح للاستمتاع بزيارة السور أن تكون في الصباح الباكر أو قبل الغروب؛ لأن الإقبال يكون أقلّ من أيّ وقت؛ مما يعطي فرصة التأمل والتعمق في هذا البناء العظيم. أما أفضل وقت خلال العام، فيعدّ شهرا مايو وأكتوبر هما الأفضل؛ لأن الشمس تكون ساطعة فيهما؛ مما يجعل الرؤية بوضوح ممكنة، مع أن هناك احتمالاً كبيراً لهطل بعض الأمطار في أكتوبر، بينما يضعف هذا الاحتمال كثيراً في شهر مايو، وفيهما تزهو وتزدهر الأزهار الجميلة، التي تجعل الزيارة أكثر إمتاعاً.

بالطمي، ورصفت القمة بالحجر المثبت بالإسمنت الجيري. وتشكّل كتل الحجارة طريقاً كان العمال الذين اشتغلوا في بناء السور يستخدمونه، وكذلك الجنود الذين دافعوا عنه. أما من الغرب، فيمرّ السور عبر مناطق هضبية، وعلى طول حدود صحراوية.

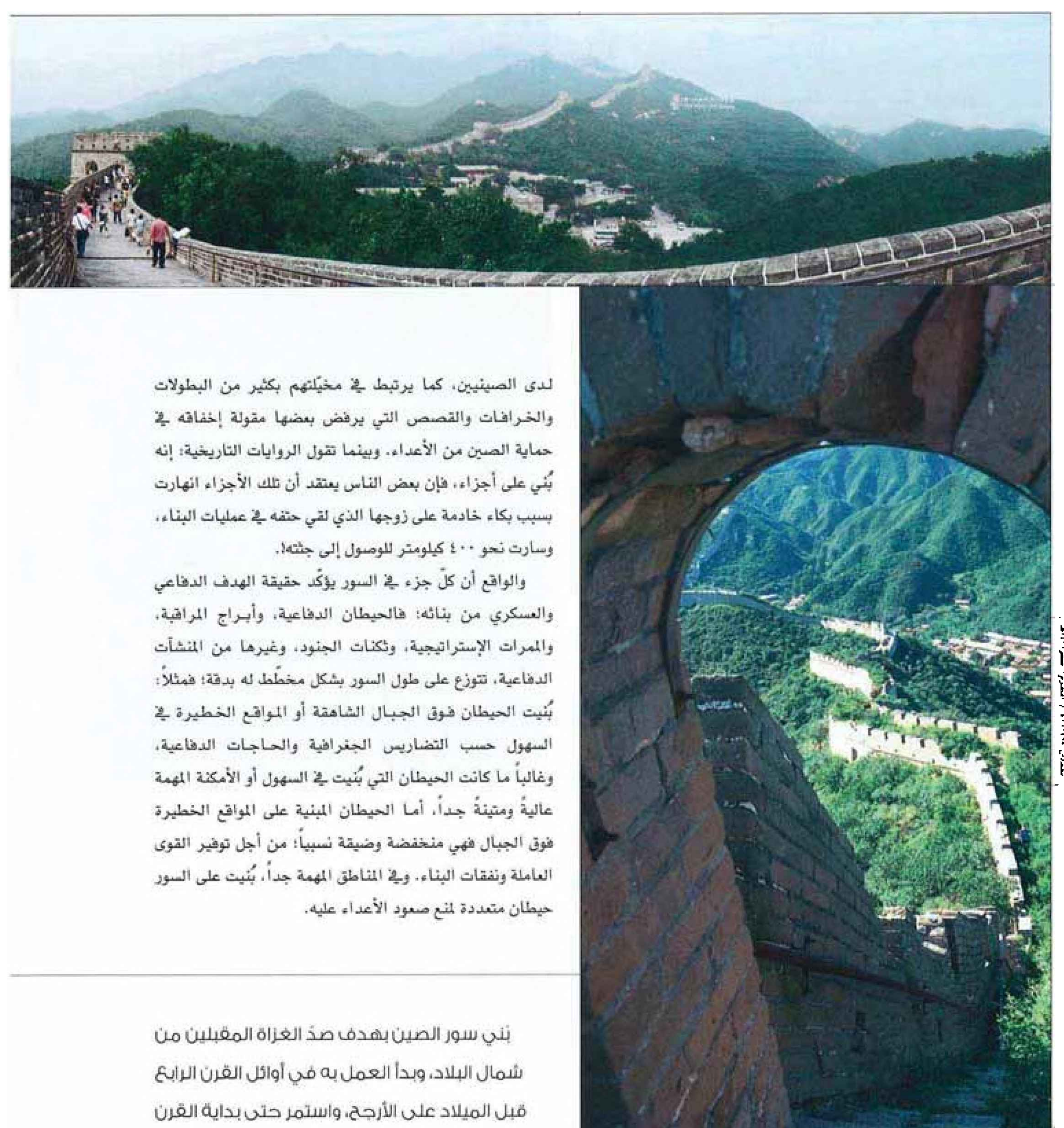
ويمرّ السور بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة؛ إذ يعبر الجبال والأجراف، ويخترق الصحراء، ويجتاز المروج، ويقطع الأنهار. لذلك، فالهياكل المعمارية للسور مختلفة وغريبة أيضاً؛ إذ بني السور في المناطق الصحراوية بموادّ مكوّنة من الأحجار المحلية، ونوع خاصّ من الصفصاف؛ بسبب شحّ الصخور والطوب. أما في مناطق هضبة التراب الأصفر شمال غرب الصين، فبُني من التراب المدكوك أو الطوب غير المحروق، لكنه متين وقويّ لا يقلّ عن متانة السور المبنيّ بالصخور والآجر. وبني السور في عهد أسرة مينغ الملكية غالباً من الطوب أو الصخور، أو من خليط من الطوب والصخور، وتوجد قناة لصرف المياه على قمة السور من أجل صرف مياه الأمطار تلقائياً وحماية السور.

تاريخ البناء

يُرجع كثير من الباحثين تاريخ بناء السور إلى القرن السابع قبل الميلاد؛ إذ بدأت الممالك المختلفة في عهد الربيع والخريف (من عام ٧٧٠ ق. م إلى عام ٤٧٦ ق. م) وعهد الممالك المتحاربة (من عام ٤٧٥ ق. م إلى عام ٢٢١ ق. م) ببناء أسوار على حدودها من أجل الدفاع عن نفسها، وأصبحت تلك الأسوار أقدم جزء من سور الصين العظيم. وفي عام ٢٢١ ق. م وحّد الإمبراطور شي هوانغ دي الممالك المتحاربة، وأسّس أول دولة موحّدة ذات سلطة مركزية في تاريخ الصين، وهي أسرة تشين الملكية. ومن أجل تثبيت حدودها، وصدّ عدوان أقلية أسرة شيونغ نو التي كانت تعيش في مناطق شمال أسرة تشين الملكية، ربط شي هوانغ دي الأسوار التي كانت بنتها الممالك المتحاربة؛ مما شكّل سور أسرة تشين الملكية الذي بلغ طوله أكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر، ويبدأ من شرق مقاطعة لياو نينغ شرق الصين، وينتهي عند لين تاو بمقاطعة قان سو غرب الصين. وبعد ذلك، واصلت الأسر الملكية المتعاقبة في الصين بناء أسوار على هذا الأساس، وتجاوز طول الأسوار التي بنتها كلّ من أسرة هان الملكية وأسرة مينغ الملكية ٥٠٠٠ كيلومتر، ويبلغ إجمالي طول الأسوار التي بنتها الأسر الملكية المختلفة ٥٠ ألف كيلومتر، لكن المساحة المتبقية من السور اليوم لا تتجاوز ٦٤٠٠ كيلومتر؛ إذ أصبحت البقية أطلالاً، أو اختفت تماماً.

مشروع دفاعي

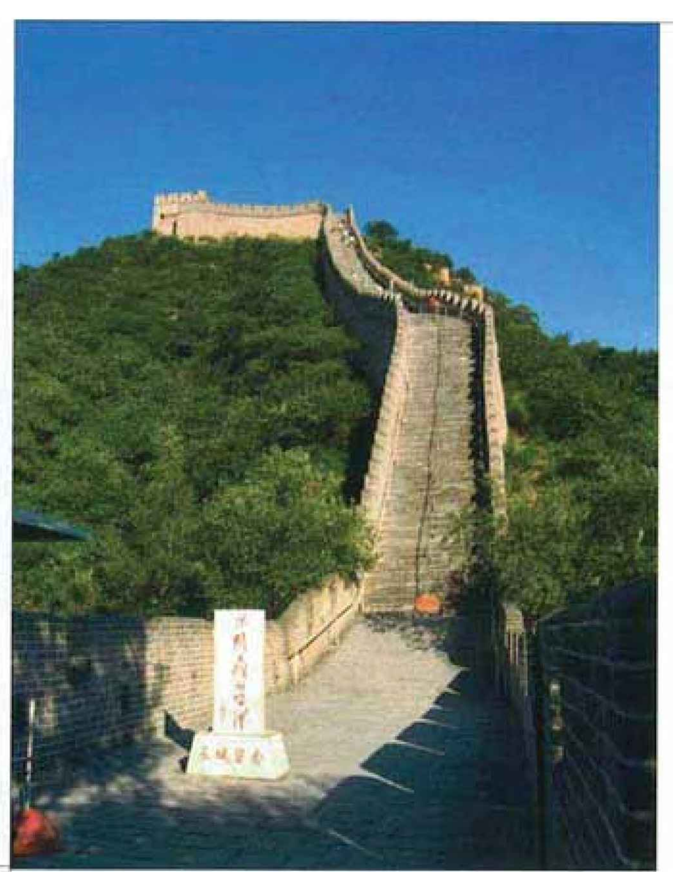
صحيح أن سور الصين لم ينجح في صدّ هجمات الغزاة من شمال البلاد، إلا أنه مع ذلك يُنظر إليه بقدر كبير من الاعتزاز



لدى الصينيين، كما يرتبط في مخيّلتهم بكثير من البطولات والخرافات والقصص التي يرفض بعضها مقولة إخفاقه في حماية الصين من الأعداء. وبينما تقول الروايات التاريخية: إنه بُني على أجزاء، فإن بعض الناس يعتقد أن تلك الأجزاء انهارت بسبب بكاء خادمة على زوجها الذي لقي حتفه في عمليات البناء، وسارت نحو ٤٠٠ كيلومتر للوصول إلى جثته!.

والواقع أن كلّ جزء في السور يؤكّد حقيقة الهدف الدفاعي والعسكري من بنائه؛ فالحيطان الدفاعية، وأبراج المراقبة، والممرات الإستراتيجية، وثكنات الجنود، وغيرها من المنشآت الدفاعية، تتوزع على طول السور بشكل مخطّط له بدقة؛ فمثلاً: بُنيت الحيطان فوق الجبال الشاهقة أو المواقع الخطيرة في السهول حسب التضاريس الجغرافية والحاجات الدفاعية، وغالباً ما كانت الحيطان التي بُنيت في السهول أو الأمكنة المهمة عاليةً ومتينةً جداً، أما الحيطان المبنية على المواقع الخطيرة فوق الجبال فهي منخفضة وضيقة نسبياً؛ من أجل توفير القوى العاملة ونفقات البناء. وفي المناطق المهمة جداً، بُنيت على السور حيطان متعددة لمنع صعود الأعداء عليه.

بُني سور الصين بهدف صدّ الغزاة المقبلين من شمال البلاد، وبدأ العمل به في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد على الأرجح، واستمر حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي



أما أبراج المراقبة، فكان الهدف منها هو إرسال المعلومات العسكرية ونقلها؛ إذ كان يتم إطلاق الدخان نهاراً، وإشعال النار ليلاً من هذه الأبراج؛ لتعريف السكان والجيش بتحرّكات الأعداء، فيمكن معرفة عددهم من عدد المواقع التي انطلق منها الدخان أو أشعلت فيها النار. وفي عهد أسرة مينغ الملكية، أضيفت أصوات المفرقعات في وقت إطلاق الدخان وإشعال النار لتعزيز فعالية الإنذار. وهذا الأمر يمكّن من إبلاغ المعلومات العسكرية بدقة إلى أمكنة بعيدة ومختلفة في لحظة واحدة. وفي ظلّ عدم وجود الهواتف والاتصالات اللاسلكية في العهود القديمة يمكن القول: إن هذا الأسلوب لنقل المعلومات العسكرية كان سريعاً جداً.

معلم سياحي

يعدّ سور الصين العظيم واحداً من أبرز معالم البلاد السياحية. وقد ورد عن ماو تسي تونغ - الزعيم الصيني الراحل - قوله: «ليس إنساناً حقيقياً من لم يزُرْ سور الصين العظيم». لذلك، لابد أن تجد زيارة السور مدرجةً ضمن قوائم الرحلات السياحية الخاصة بهذا البلد العظيم بتاريخه، الواسع بمساحته، الكبير جداً بعدد سكانه.

وعند الانتهاء من زيارة السور لابد أن تكتشف أن عظمة أيّ شعب تتجسّد في آثاره التي تحكي تاريخ حقب زمنية متوالية. وأن بناء هذا السور لم يكن فقط بهدف الدفاع عن البلاد، وإنما كان لمشيديه نظرة مستقبلية بأنه سيكون سبباً رئيساً لانفتاح الصين على البلاد الأخرى، وأحد الموارد الاقتصادية للبلاد؛ لكونه يستقطب السياح من كل أنحاء العالم.

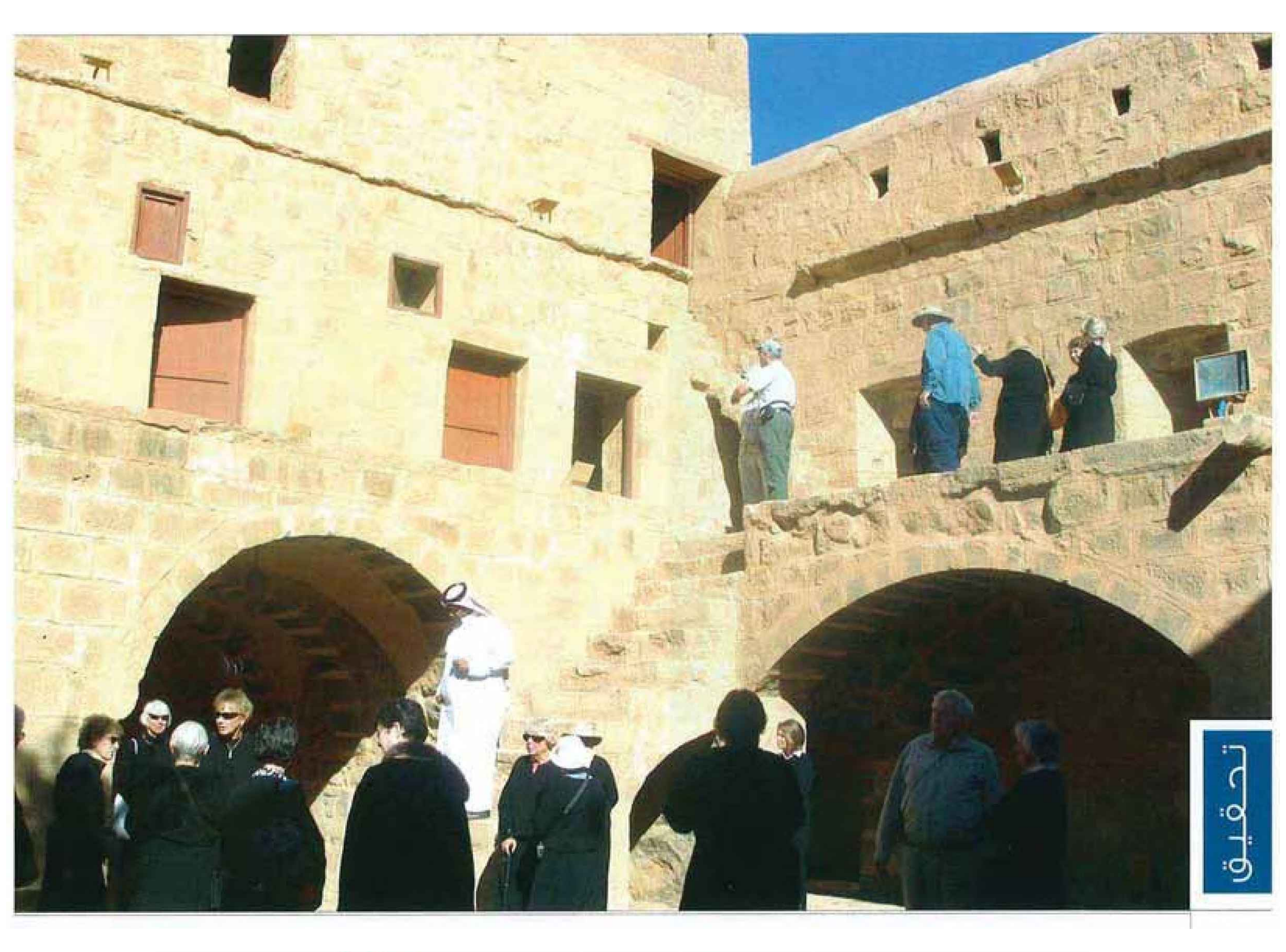
وإضافةً إلى السياح والزوار، يستقطب السور المؤرخين الذين يقومون بدراسة الكتابات والأشياء التي يُعثر عليها في تحصيناته أو مقابره على طول البناء. كما يقوم العلماء بدراسة الزلازل عن طريق اختبار أجزاء من السور تأثّرت بتحرّكات سطح الأرض.

يمرّ السور بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة؛ إذ يعبر الجبال والأجراف، ويخترق الصحراء، ويجتاز المروج، ويقطع الأنهار. لذلك، فالهياكل المعمارية للسور مختلفة وغريبة



المراجع

- موقع (الموسوعة العربية العالمية) على شبكة الإنترنت.
- أعداد مختلفة من مجلة (الصين المصوّرة).
- أعداد مختلفة من مجلة (الصين اليوم).
- إذاعة الصين الدولية، القسم العربي.



تحقيق

ضبا مدينة السياحة المنسية

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم - السعودية

كانت ضبا مورد ماء عذب على الساحل، وهي إحدى محطات الطريق الساحلي المعروف بطريق الحاج المصري [١]. ووفقاً للتقسيم الإداري الذي صدر مؤخراً ضلفت ضبا محافظة تابعة لإمارة تبوك. وكان يبلغ تعداد سكانها حسب نتائج التعداد العام للسكان سنة ١٣٩٤هـ (٧٢١٩) نسمة [٢].

الموقع

تقع على ساحل البحر الأحمر بين المُوَيْلح والأَزْلَم. وتبعد عن الأولى ٤٣كم، كما تبعد عن الثانية ٤٧كم بخط مستقيم. أما إحداثيات الموقع فهي كالآتي: ٢١° ٢٧°، و٤٣° ٣٥°.

المدلول الاصطلاحي

بعد رجوعي إلى بعض المصادر تبيّن لي أنه وقع اختلاف في كتابة الاسم: فبعض المؤلفين كتبها (ضبا)، وبعضهم الآخر كتبها بأسماء، منها: ضباء، ضَبَة، ضَبّة، ظبة، ظُبة، طبة. كما كتبها الأستاذ حمد الجاسر - رحمه الله - (ظبا) حين قال: الدِّيسَةُ: وادٍ من فروع وادي دامّة بمنطقة ظبا [٣].

قُلْتُ: كتبها - رحمه الله - (ظبا)، ولا إشكال في ذلك: فقد وقع اختلاف في كتابة الاسم، فبعض المؤلفين يكتب (ضبا)، وبعضهم الآخر سماها (ظبا)، فأبدل الضاد ظاءً معجمة.

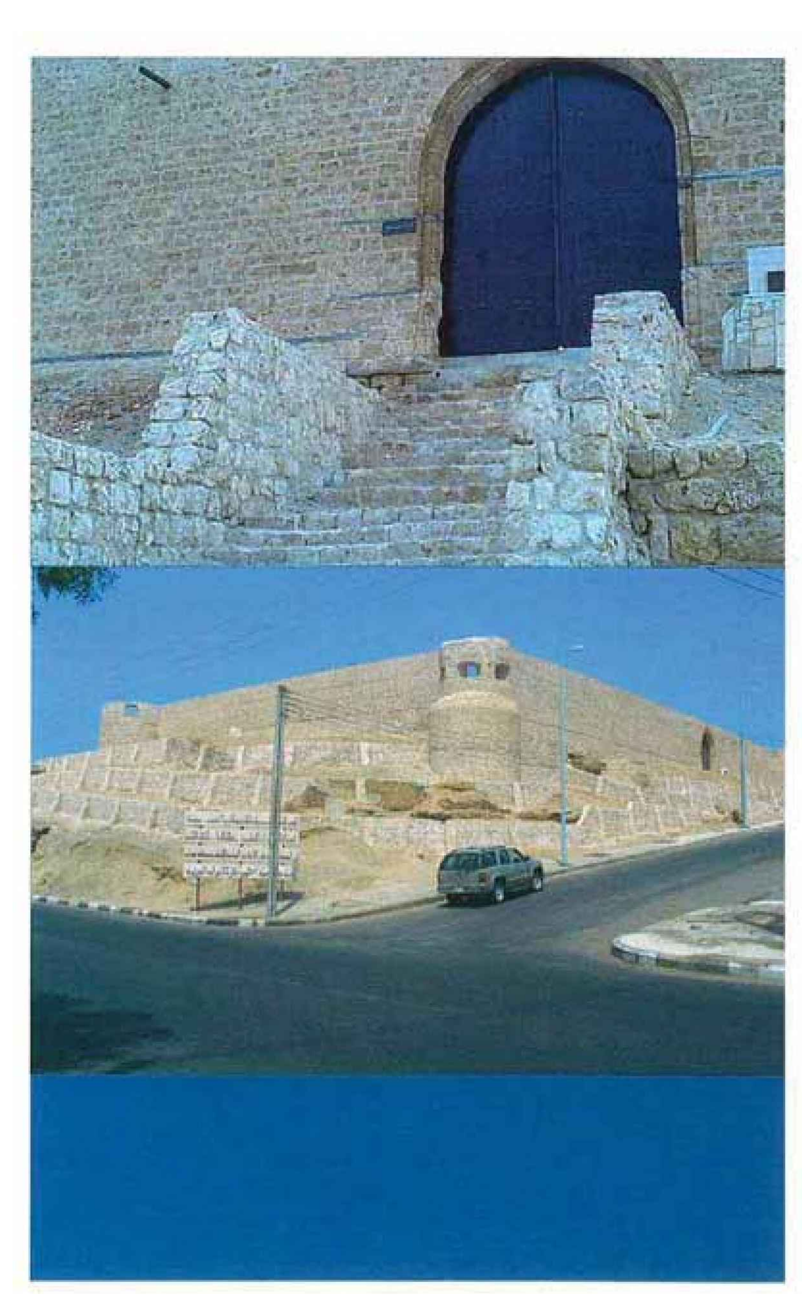
وسأورد بعضاً من النصوص التي وقع فيها اختلاف في كتابة الاسم عند حديثي عن تاريخ المنطقة في الفقرة الآتية. أما الاختلافات الأخرى فربما أن عين الناسخ زاغت.

قال الفراهيدي: ضبأ: ضَبَأَ الذِّئْبُ يَضْبَأُ ضَبْأً وضُبُوءاً: أي: لَزِقَ بالأرض أو بالشجر ليَخْتِلَ الصَّيْدَ. ومن ذلك سُمِّي الرجلُ ضابئاً. قال:

إلاّ كُمَيْتاً كالقناةِ وضابئاً ... بالفَرْجِ بين لَبانِه ويَدَيْهِ [٤]

وضبأ كما يذكرها الصاحب بن عباد: صاحب المحيط في اللغة، وهو من مشاهير معجمات اللغة العربية في القرن الرابع الهجري: ضَبَأَ الذِّئْبُ بالأرْضِ: إذا لَزِقَ بها ليَخْتِلَ الصَّيْدَ. وضَبَأَت النّاقَةُ. وأَضْبَأَ الرجُلُ على ما يَدَيْه: أي أضَبَّ عليه. وأضْبَأَ على سَوْءَة: كَتَمَها في نَفْسِه. وأضْبَأْتُ على الشَّيْءِ وضَبَأْتُ: أي طَرَأْتُ وأشرَفْتُ. وضَبَأْتُ بالأرضِ: لَزِقْتُ. وضَبَأْتُ إليه: لَجَأْتُ. وضابِئٌ: اسْمُ رَجُل. وأضْبَى الرجُلُ على الشَيْءِ في نَفْسِه: أي أضْمَرَ. وكذلك إذا أشْرَفَ عليه. والضابي: الرَّمادُ. وضَباه الوَقُودُ وضَبَحَه: أي لَفَحَه. وضَبَتْه النارُ وتَضَبَّتْه. وضَبَوْنا إلى مَكانِ كذا: بمعنى ضَبَأْنا: يعني الصَّيّاد. وضَبَأ أي: استخفى في فَرْجٍ ما بينَ يَدَيْ فَرَسِه ليَخْتِلَ به الوَحْشَ. وكذلك النّاقةُ تُعَلَّمُ ذلك. وأضْبَأ الرجلُ على شيءٍ في نفسه. ومثلُه أضَبَّ: أي: أضْمَرَ. وضابِئٌ: اسْمٌ. والأضباء: وَعْوَعَة جِرْوِ الكلب إذا وَحْوَحَ [٥].

وقال الجوهري: ضَبَتْهُ النار تَضْبُوهُ ضَبْواً: غيَّرَتْه وشوته.



جاء في الروض المعطار: ضبا: من عمل المدينة النبوية، وهو مرفأ للسفن مأمون، وفيه آبار عذبة، وشجر المقل فيه كثير، وبين ضبا ومدين جبال شامخة متكائدة



يقع ميناء ضبا في المنطقة الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية، وهو محميّ طبيعياً بالجبال من ثلاث جهات. ويعدّ هذا الميناء أقرب الموانئ السعودية إلى قناة السويس ودول حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد تم افتتاحه في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٤١٥هـ بعد استكمال تجهيزاته.

تستغرق الرحلة من ميناء ضبا إلى ميناء سفاجا في مصر بالعبارة الكبيرة ٨ ساعات. أما اليخت الصغير، ويسمونه اللنش السريع، فخطّ سيره من ميناء ضبا إلى ميناء الغردقة، وزمن الرحلة ٣ ساعات فقط. وإلى جانب الميناء، تتميّز محافظة ضبا بالشواطئ الجميلة الهادئة الرملية، والشعب المرجانية البديعة المنظر، وجزيرة نعمان، والسوق القديم، والقلعة السعودية التي بُنيت سنة ١٣٥٢هـ، وقلعة الأزلم الأثرية (الأنـزم) في جنوب مدينة ضبا على مسافة ٤٥كم، وهي من محطات طريق الحج المصري التي بُنيت خلال العهد المملوكي.

وتقع المويلح إلى الشمال من مدينة ضبا على بعد ٤٥كم، وبها قلعة شهيرة بناها الشريف محمد أبو سرور في عهد المماليك،

والمَضْباة: خُبْزَةُ المَلّة. والضابي: الرمادُ. الكسائي: أضْبَبْتُ على الشيء: أشرفت عليه أن أظفرَ به[6].

لمحة تاريخية

جاء في الروض المعطار: ضبا: من عمل المدينة النبوية، وهو مرفأ للسفن مأمون، وفيه آبار عذبة، وشجر المقل فيه كثير، وبين ضبا ومدين جبال شامخة متكاثفة[7]. كما جعل المقدسي ضبة من أهم مدن ناحية قُرْح بقوله: ناحية قرح قصبتها وادي القرى، ومدنها: الحجر، العويند، بدا يعقوب، ضبة، النبك[8].

قُلْتُ: مدينة (قُرْح) هي قاعدة وادي القُرى خلال حقبة ما قبل الإسلام، وفي العصر الإسلامي المبكر. أما مكانها في الوقت الحالي فهو يُعرف بـ(المابيّات)، وتقع جنوب شرق مركز العُلا على بعد ١٦,٩كم. وعندما وصف صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) جادة الغرب قال: والطريق المستعمل اليوم من شرف ذي النمل إلى الصلا، إلى النبك، ثم إلى ضبة، ثم إلى العونيد، ثم إلى الرحبة[9].

وقال ياقوت: فتنزل الحوراء أول أرض مصر، وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا البحر المذكور، وهو بحر القُلْزُم، وهو داخل في أرض مصر بشرقيه وغربيه؛ فالشرقي منه أرض الحوراء، وطبة، فالنبك، وأرض مدين[10].

قُلْتُ: الحَوْراء تقع في الوقت الحاضر شمال أملج على بعد ٨كم. أما النبك فهي قرب المويلح على ساحل البحر الأحمر، ومن ثَمّ يظهر لي أن ياقوتاً يقصد بـ(طبة) أي (ظبة) كما تسمى (ضبة)، ولا إشكال في الاختلاف في كتابة الاسم: أي: إبدل الضاد ظاءً معجمة.

كذلك أورد ياقوت: ضَبّاءُ: بالفتح ثم التشديد والمد: موضع في شعر الحسين بن مُطير الأسدي:

ما خَفّتُ بينهمُ حتى غدوا خِرقاً   وخُدّرَتْ دون من تهوَى الهواديجُ
وأصبحَتْ منهمُ ضَبّاءُ خاليةً   كما خلَتْ منهمُ الزّوراءُ فالعُوجُ[11]

لكنّ ياقوتاً في موضع آخر كتب ضبا التي بصدد الحديث عنها (ضَبة)، فقال: ضَبةُ: بلفظ واحدة الضباب إما الحيوان وإما لزاز الباب: اسم أرض، وقيل: ضبة قرية بتهامة على ساحل البحر مما يلي الشام. وبحذائها قرية يُقال لها: بَدا، وهي قرية يعقوب النبي، بها نهر جارٍ، بينهما سبعون ميلاً، ومنها سار يعقوب إلى ابنه يوسف بمصر[12].

وجاء في (المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية): أرضُ مَدْيَن: هي الأرض المُحاذية لِشطّ خليج العقبة الشرقي، من مدينة العقبة شمالاً حتى ضَبّةَ جنوباً[13]. كما ورد في (المسالك والممالك) لابن خرداذبه: فأما من أخذ على طريق الساحل فإذا صار إلى شرف البعل صار إلى الصلاة، ثم إلى النبك، ثم إلى ظُبة، ثم إلى عونيد، ثم إلى الوجه[14].

وظبة ذكرها اليعقوبي في البلدان محطةً في طريق الحج المصري حين قال: ثم إلى الصلا، ثم إلى النبك، ثم إلى القصيبة، ثم إلى البحرة، ثم إلى المغيثة، وهي تبعل، ثم إلى ظبة، ثم إلى الوجه[15].

وقال بكر أيضاً في (الملامح الجغرافية لدروب الحجيج): ذكرت ضبا محطةً في درب الحج. ذكرها ابن قدامة في (الخراج). وتكرّر ذكرها محطةً فيما سجّله الرحالة المرافقون لموكب الحج

قلعة ضبا تطل على البحر الأحمر، ومزودة بأربعة أبراج مراقبة، ومدخل، وفناء محاط بالحجرات والمرافق، ويعلو المدخل لوحة كتب عليها نص يتحدث عن بناء القلعة في سنة ١٣٥٢هـ

وكانت برجاً واحداً، وعندما جاء العهد العثماني فكّر السلطان سليم الأول في بناء قلعة المويلح الحالية أسوةً بالقلاع القائمة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر: مثل قلعتي العقبة والأزنم، ونفّذ هذه الفكرة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٨هـ: لتأمين الحجاج وخدمتهم، وكان يخزن في هذه القلاع المؤن للحجاج، والذخائر لحمايتهم وحماية موارد المياه التي كان كثيراً ما يتم الاستيلاء عليها من قبل البادية، ويمنع الحجاج من استخدامها.





في القرن العاشر الهجري وما بعده. وكان بعض المؤلفين يذكر محطة (سلمى)، ذكرها ابن رشيد الأندلسي في رحلته للحج سنة ٦٨٥هـ[16]، ذكرها إلى الشمال من الوجه، وأوردها الخياري في رحلته سنة ١٠٨١هـ باسم الكفافة بدلاً من سلمى[17]، وجاء اسمها (وادي سلمى) في حج الزياني ١١٧٠هـ، أو دار السلطان[18]، ووردت في ترتيبه محطات درب الحاج المصري بين قلعة الأزلم والمويلح[19].
وذكر الزركلي ضبا عند حديثه عن ابن رفادة[20]، فقال: وفي ذلك السهل[21] ظهرت جموع (ابن سعود) مقبلة من (ضبا)، ونشبت المعركة في أواخر ربيع الأول ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، وانتهت في يوم واحد بمقتله ومن معه، وأحصيت جثثهم فكانت ٣٧٠ جثة، بينها ابنان له: فالح، وحماد، وستة من إخوته، وأحد الأشراف، ونجا أفراد قلائل، وأخذ رأسه إلى ضبا، فلعب به الأطفال، ثم علّق في سوقها[22].

قلعة ضبا

تقع فوق تل بيضاوي الشكل مرتفع في وسط مدينة ضبا. أما إحداثيات الموقع فهي كالآتي: ٠٠ ٩ ٢٠ ٢٧، و٠٠ ٧ ٤١ ٣٥، وهي تطل على البحر الأحمر، ومزودة بأربعة أبراج مراقبة، ومدخل، وفناء مُحاط بالحجرات والمرافق، ويعلو المدخل لوحة كتب عليها نص يتحدث عن بناء القلعة في سنة ١٣٥٢هـ[23]، كذلك تشتمل على ثلاث آبار مطوية بعمق ١٠م، وبها ماء صالح للشرب، كما توجد بعض الكسر من الفخار الإسلامي[24].

المراجع والهوامش

١- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص٣٠.
٢- بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٣٠.
٣- الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، القسم الثاني، ص٩٤٩.
٤- العين، ج٢، ص٢٨.
٥- المحيط في اللغة، ج٢، ص٢٠٦.
٦- الصحاح في اللغة، ج١، ص٤٠٥.
٧- الروض المعطار في خبر الأقطار، ج١، ص٣٧٦.
٨- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص١٩.
٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج١، ص٣٧.
١٠- معجم البلدان، ج٥، ص١٣٩.
١١- معجم البلدان، ج٣، ص١٢٨.
١٢- معجم البلدان، ج٣، ص١٢٩.
١٣- المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ج١، ص٣٠٤.
١٤- المسالك والممالك، ابن خرداذبه، ج١، ص٤٩.
١٥- البلدان، ج١، ص٤٣.
١٦- مجلة العرب، ج٢، س٤، شعبان سنة ١٣٨٩هـ، ص١٦٥.
١٧- مجلة العرب، ج٣، س٢، رمضان سنة ١٣٨٨هـ، ص٢٤٣.
١٨- الزياني، الترجمانة الكبرى، ص٢١٨.
١٩- بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٣٠.
٢٠- من قبيلة (بليّ) من سكان (الوجه)، كان من رعايا الملك عبدالعزيز بن سعود، وجنح إلى العصيان سنة ١٣٤٧هـ.
٢١- سهل بين (شعر) و(الحويط) من سفوح جبل (شار) بالقرب من مويلح وضباء.
٢٢- الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٦١.
٢٣- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص١٨٣.
٢٤- مع التعديل الطفيف: أطلال، ع٧، ص٤٤.
٢٥- وكالة الآثار والمتاحف، آثار منطقة تبوك، ص٣٦.

رجل وكلب

الشربيني المهلدس
الإسكندرية - مصر

أغلق أذنيه والأقدام الغليظة تبتعد..

تسرّبت منها كلمات جدّته..

(اللي مالوش ضهر)..

سحب قدميه إلى هناك..

نهض متحاملاً على يديه وقدميه والباب ينفتح..

ساد الصمت طويلاً قبل أن يظهر الرجل الآخر..

ارتبكت ذرّات الهواء مع ظهوره المباغت.. ما زال الرجل النحيل يداعب شاربه الكثّ على مهل، ثم أدار وجهاً "باسم نحوه..

كانت السنّ الذهبية تزداد لمعاناً، وكلاهما يتفحّص شيئاً ما. لم يستطع أن يصمد أمام نظرات الرجل، أو أن يرفع عينيه عن الحذاء الذي كان بريقه لا يترك له فرصة..

تنحنح الرجل وقد رفع الدولار بإصبعين أمام عينيه، فعزفت موسيقا الرموش لحنها الخاص، وتبعتها الشفتان. وسرت في الجو رائحة خاصة. ثم أشار بإصبعه المتأرجح إشارةً ذات مغزى..!

طأطأ الرجل الحليق الشارب رأسه، فانكشفت المنطقة الخالية من الشعر. وقد أرهف أذنيه لسماع التعليمات الجديدة.. عيناه لا تفارقان ظلّ الخاتم الذهبي، وبينهما الدولار منتصب..!

سارت قدماه في طريقه الذي رسمه الرجل الباسم.

كان قد أعطى أفكاره إجازة طويلة قبل أن يدفن حكايات جدّته: فقد دار الزمن دورته..!

يهزّ رأسه وقد فشل في تلميع الحذاء مثل الرجل الباسم..

أخرج ساعته من جيب السترة مع ابتسامة القمر التي تأخرت كثيراً هذه الليلة..

لمع الحذاء، واستدار في طريق العودة..

أمام باب منزله لمح الكلب يتبوّل، ثم يعلو نباحه.

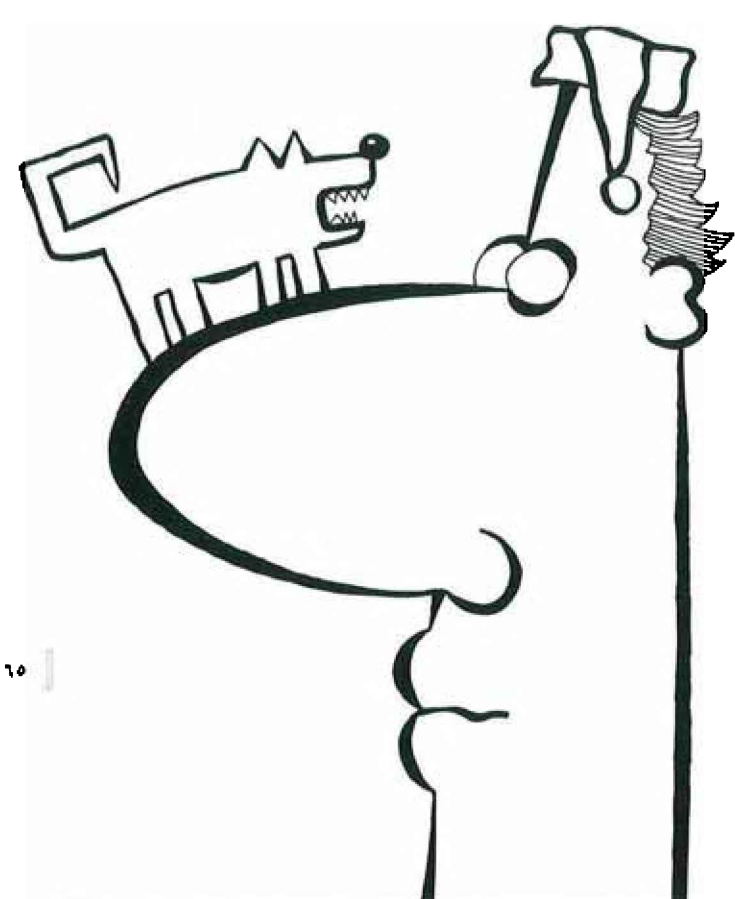
شدّت أذنيه ضحكة الجدة: إن جالك الطوفان..

تجنّب النظر إلى عيني الكلب.. هرش منطقة الشعر الخالية..

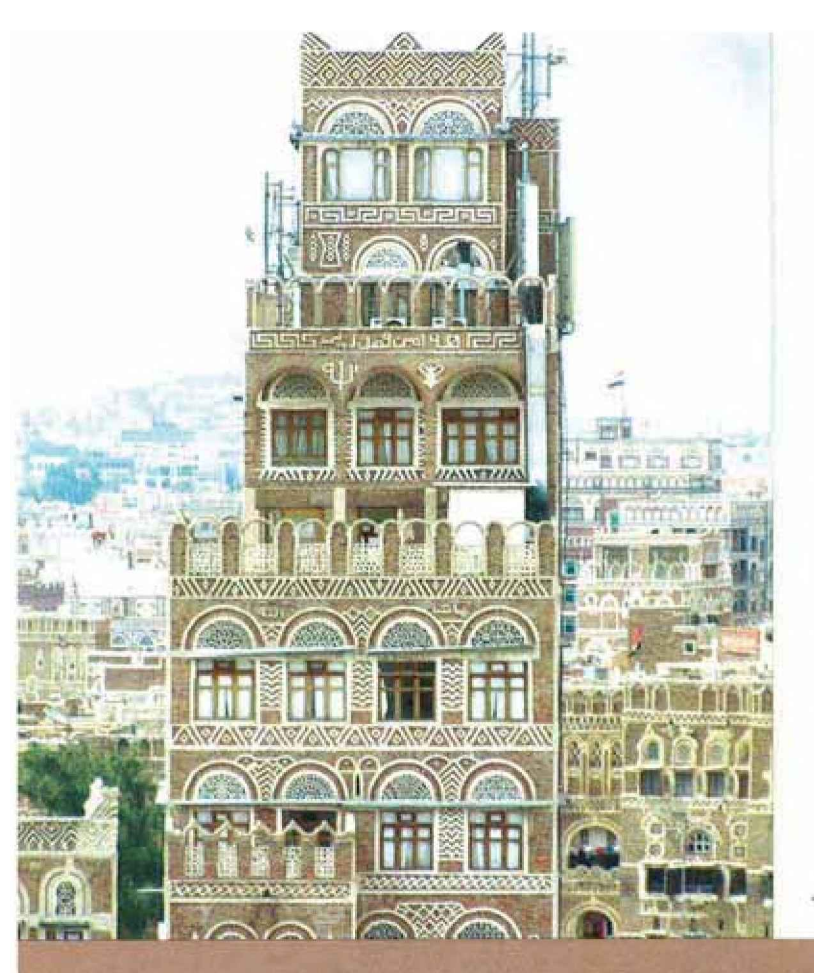
تمهّل. ثم انحرف قليلاً. ودلف من الباب.

كانت امرأته بالداخل منكوشة الشعر، تخفي وجهها بين ركبتيها. وقد أغرق نحيبها المكان.

دسّ يده في جيبه، وبالأخرى أغلق الباب. وقد علا جدار السكون.



قصة



هي صنعاء حائة الضوء فادخل
بسلام وقبّل الأرض عشرا

«من أبيات مكتوبة فوق باب اليمن»

المنزل البرجي

تحقيق

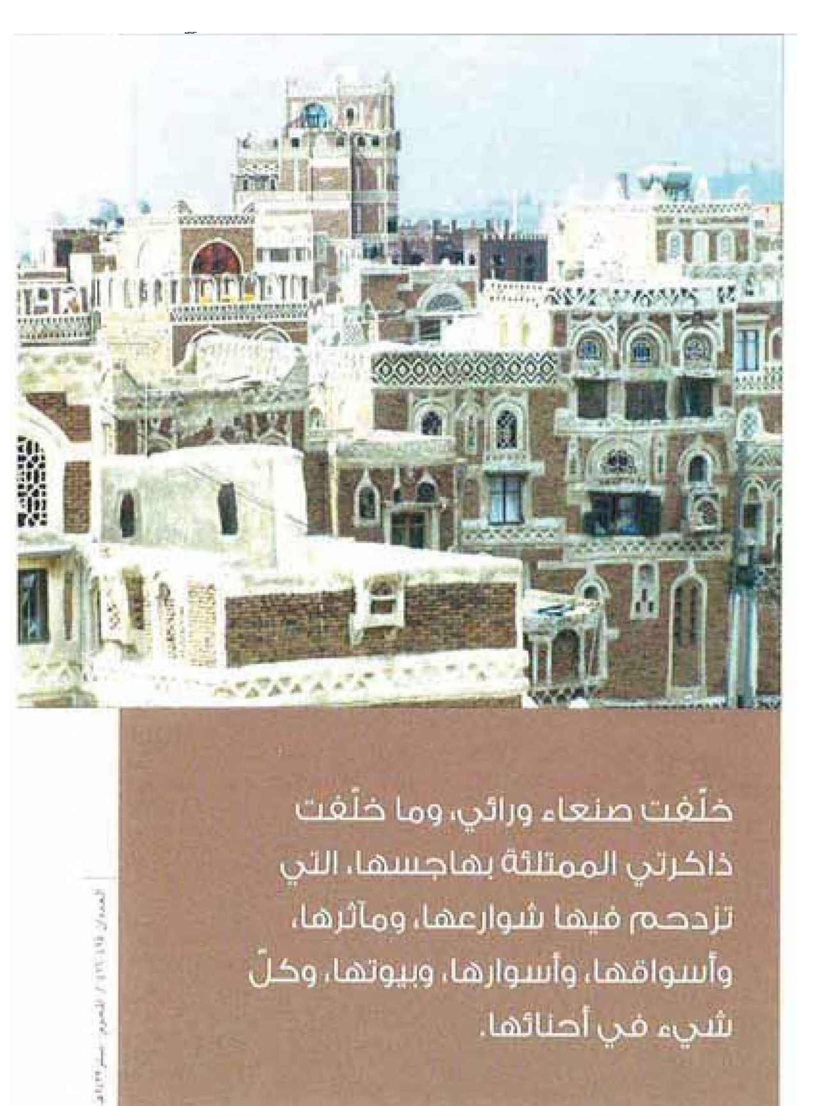
صنعاء.. مدينة القصور
سحر البناء والزخرفة

صادق الحميدي
صنعاء – اليمن



الدخول إلى صنعاء القديمة أشبه بدخول الخيال. لن تصدّق عيناك أنك تعيش في كنف الماضي بكل معانيه. أن تعود أكثر من مئتي عام أو ألف عام أو الماضي كله في لحظة. أو لمجرد مرور قدم واحدة على عتبات هذه المدينة المعتّقة بكلّ مشاهدها وشواهدها في عصر الأبراج الأسمنتية الباعثة على الاستئناس بالماضي والشوق إليه على ندرته. ويكفي الإشارة إلى سائحة أوربية انبهرت بدخولها إلى صنعاء القديمة. ولم

تصدق أنها في أحضان الماضي. فكانت تغمض عينيها وتفتحها وتتساءل جادة: هل أنا أحلم؟!. قبلها أصيب أحد المستشرقين بالدهشة للجاذبية الخاصة لفنّ عمارة المدينة. إن صنعاء نتاج من نتاجات التاريخ العريق للعصور اليمنية المختلفة لا تزال تحمل سمات الماضي بكل معانيه.



تراث إسلامي

صنعاء مدينة إسلامية تمتلك جميع خصائص المدينة الأمير

مدينة الدفء

تتميّز منازل صنعاء بدفء الداخل في عزّ صقيع الشتاء؛ إذ تتحول إلى فراديس من الدفء يلجأ إليها السكان هروباً من زمهرير الهواء الطلق خارج المنازل الذي يلفح ببروده الأجساد الآدمية؛ لتتحول نعومتها إلى خشونة طافحة، خصوصاً الأجزاء الظاهرة المعرّضة للبرد من الجسد كاليدين والقدمين. والدفء الداخلي للمنازل ميزة لها من غيرها. وهذا الأمر يعود إلى فضل مواد البناء الطوبية والطينية والحجرية الطبيعية الباعثة للدفء؛ فاستخدام طوب البناء في كساء الواجهات الخارجية يزيد التوازن الحراري، كما أن مادة الجبس تعمل على حفظ توازن الرطوبة؛ فقد ثبت علمياً أنها مادة مضادة للتعفّن. كما أن الأخشاب تعمل على الحدّ من تسريب التكيّف الطبيعي واندماجه بشكل جيد مع مواد البناء الطبيعية. إلى جانب ذلك، فإن الأحزمة الجمالية المنقوشة في الواجهات تعمل على تنغيم الأسطح، وتوفير جزئيات تظليل لتخفيف تسخين الواجهات في الصيف، كما أن التدرّج والتنوّع في الفتحات يحققان منظومة تهوية وتدفئة وتبريد طبيعية. وتساعد المشربيات والنوافذ الخشبية الخارجية على الحفاظ على الحرارة المكتسبة داخل الغرف، وعدم فقدانها بسرعة.

بشكل عام، فإن المباني من المواد المحلية لا تسمح للتيارات الدافئة بالنفاذ إلى البيت نهاراً، والباردة ليلاً؛ فجدران البيت، خصوصاً الجنوبية التي تكون قد خزنت الدفء، تفقده بشكل بطيء طوال الليل. إلى جانب أن توجيه البيوت جنوباً يؤدي دوراً في تحقيق الدفء.

توجيه المنازل

يخطّط سكان صنعاء قبل البدء بالبناء لإعداد اتجاه المنزل أولاً: بهدف التحكم في درجات حرارته وبرودته؛ لذا نجد أن أغلب بيوتات صنعاء تتّجه واجهاتها جنوباً (عدنياً). وفيها تتركز غرف الجلوس والنوم؛ بهدف الحصول على تدفئة، بينما يتم توجيه الفضاءات (الخدمية) نحو الشمال (قبلياً) البارد.

دفعت تقلّبات الظروف المناخية وبرودة الشتاء القارس إلى توزيع مهامّ غرف المنازل الصنعانية ووظائفها حسب وجهتها؛ فالغرف الجنوبية يزيد استخدامها في أثناء الشتاء البارد؛ لما تتميز به من تشميس وتدفئة طبيعية، بينما يكون استخدام الغرف الموجّهة

أحزمة فاصلة بين طوابق المنزل

يقسم المنزل الصنعاني إلى جزء خاص بالرجال، وآخر بالنساء. ويتم هذا الفصل عادة عن طريق بعض الوسائل التخطيطية، إما بوجود طابق مستقل، وإما بوجود سلمين منفصلين



أحزمة فاصلة بين طوابق المنزل

نحو الشرق والشمال خلال فصل الصيف؛ لتميّز مناخها الداخلي بالبرودة المعتدلة. أما فراغات الواجهة الشمالية الصرفة، وهي الأكثر برودةً، فإنها تُستخدم سلالم ومراحيض وطيقان مغلقة خاصة بالتبريد لها فتحات صغيرة تسمح بمرور التيارات الباردة إلى كوات توضع فيها المأكولات والخضراوات واللحوم التي يُضاف إليها الملح لحفظها، كما توضع في الطيقان الأواني الفخارية المملوءة بالماء

لتبريده. وتسمى الطيقان (بيت الشربة)؛ إذ لم تكن توجد ثلاجات تبريد (فريزرات) سابقاً. وأغلب واجهات البيوت الشمالية ليس لها نوافذ، وإن وُجدت فهي مغلقة بمواد البناء؛ تجنباً للبرد. وبطريقة التوجيه هذه يكون البيت الصنعاني قد استطاع توفير توازن حراري خلال اليوم، وخلال التغيرات المناخية الفصلية عبر العام.

وتتحكم واجهة المنزل غالباً في ثمنه؛ فالحكمة الصنعانية السائدة تقضي بأن البيت الذي بابه متجه جنوباً يسمى بيتاً كاملاً، وثمنه مرتفع، وهو مرغوب بلا خلاف. أما البيت الذي بابه مفتوح من الجهة الغربية، فهو بثلثي الثمن، والبيت الذي بابه من الجهة الشرقية بنصف الثمن. أما البيت الذي بابه مفتوح من الواجهة الشمالية فهو بلا ثمن.

تصميم بناء البيت الصنعاني

لفنون العمارة اليمنية المتميزة قواعد خاصة سجّلت تاريخاً

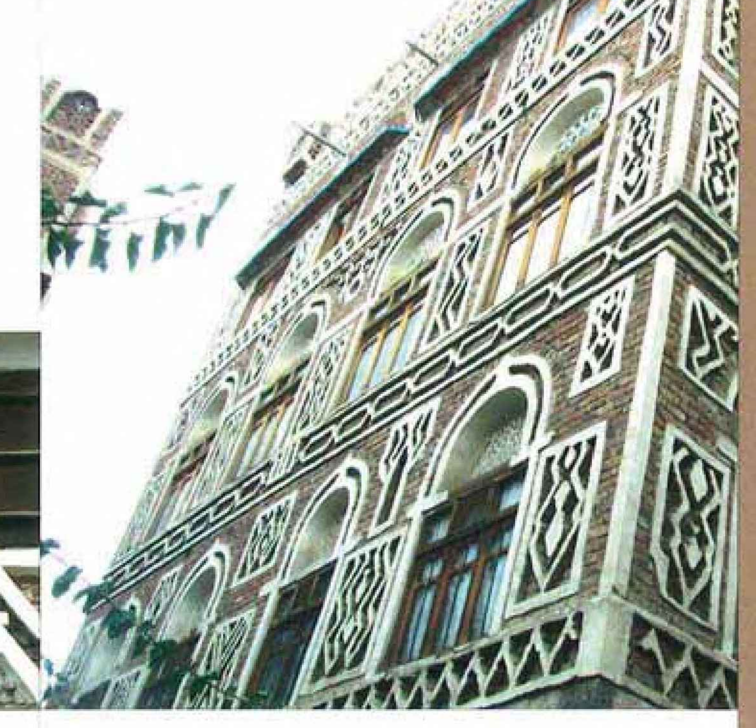
> يخطط سكان صنعاء قبل البدء بالبناء لإعداد اتجاه المنزل أولاً؛ بهدف التحكم في درجات حرارته وبرودته؛ لذا نجد أن أغلب بيوتات صنعاء تتجه واجهاتها جنوبا (عدنيا)

عن المدن اليمنية القديمة وقصورها ومعابدها الفريدة؛ فهي نتاج خاص على الرغم من تأثرها لاحقاً بإضافات فنية عليها؛ كالإضافات الأناضولية؛ لأنها احتفظت بطابعها وكلّ ملامحها وقواعدها القديمة المميزة. وكما هي عادة البناء في صنعاء القديمة، فإن النظام المتّبع في البناء هو النظام البرجي الرأسي المتجه من الأسفل إلى الأعلى، الاقتصادي في البناء كما تؤكد الدراسات، والمتعدد الطوابق الذي يستغل مساحةً من الأرض قد تكبر أو تصغر وفقاً لحجم الأسرة وموقعها الاجتماعي. وبيوت صنعاء تأخذ بنظام البيت الواحد، وليس بنظام الشقة. ويعتمد البناء الصنعاني في إقامته على مواد البناء الأصلية اليمنية، وهي: الحجر، والآجر، والطين، والجص، والرخام، والخشب، التي تمتلك القدرة على تحقيق كفاءة حرارية ممتازة داخل المنازل. ويتألف بناء أساس البيت من الأحجار البازلتية الصلبة القادرة على مقاومة الرطوبة والملوحة. وبعد ارتفاع الأساسات عن الأرض يتم تدريج الأحجار المصقولة المختلفة الأقل صلابةً. ويكون الدور الأول وما فوقه مبنياً بالأحجار. وتُبنى الطوابق العليا بالطوب الذي يعود الفضل الأكبر إليه في تحقيق عناصر الانسجام والتناغم الفني في العمارة الصنعانية. ويُقدَّم أجمل مادة لبناء الطوابق العليا، ورسم أجمل الزخارف الرأسية والأفقية؛ فهو عامل يساعد على دقة حسابات البنائين وخططهم لتشييد المبنى، وعمل العقود، وتشكيل الزينات والنتوءات الجمالية للواجهات الخارجية. وتستخدم خلطة الطين مادة ربط بين الأحجار أو الطوب لزيادة التماسك. أما الجص، فيقوم بدور مهم في البناء، وطلاء الجدران وتلبيسها، وإبراز الزينات والنقشات الداخلية والخارجية للمنزل. هذا الأمر من حيث الشكل الخارجي، أما من حيث التقاسيم الداخلية للطوابق، وتوزيع الغرف، فإن مساحة المنزل وسعته تتحكمان في عدد الغرف لكل طابق؛ فقد يكون للطابق الواحد غرفة واحدة وحمام وصالة، وقد تتعدد الغرف، لكنها ضيقة في الأغلب، وقد تتسع بحسب سعة مساحة المنزل.

باب المدخل

قبل الولوج للحديث عن الوظائف الداخلية للمنزل نبدأ بتناول إلماحة عن باب المدخل، بوصفه يمثّل فناءً مهمة، وأهم خصوصياته أنه يشكّل عتبةً يتم المرور عبرها من المجال العام إلى المجال الخاص. وهو قد يطلّ على الشارع مباشرةً، أو يطلّ على حديقة يتم النفاذ منها إلى الشارع. ووجود حديقة للمنزل ينفتح الباب عليها جاء نتاجاً طبيعياً لتطوّر عادات المدينة عبر الأزمنة ومقتضى الحاجة؛ فقد كان الباب الرئيس يطلّ على الشارع مباشرةً، لكنه بدأ اليوم يتراجع مع البيت الذي أصبح يُبنى وسط حديقة، وواجهته لم تعُدْ مرئيةً من الشارع.

ويندرج كثير من أبواب صنعاء الرئيسة داخل بوابة حجرية



زخرفة جصية وطوبية

النجمة السداسية في الزخرفة الخارجية

المنزع



تتّخذ شكلاً قوسياً، وتُبنى فوقها غالباً شرفات المراقبة الداخلية، خصوصاً في المنازل البرجية، أو لوضع جرار الماء عليها. والأبواب الرئيسة في الأغلب خشبية، كان تُوضع عليها درق حديدية - قبل وجود الأجراس المنبّهة الحديثة - يتم القرع بواسطتها أو بواسطة مطرقة الباب أو حلقة معدنية معلّقة فيه، فيفتح مالك البيت عن طريق المزلاج من مكانه في أيّ طابق كان بواسطة حبل نازل عبر الجدران الداخلية متّصل بالباب الكبير؛ إذ يتم فتح الباب الخارجي ليجتاز الضيف البهو المظلم.

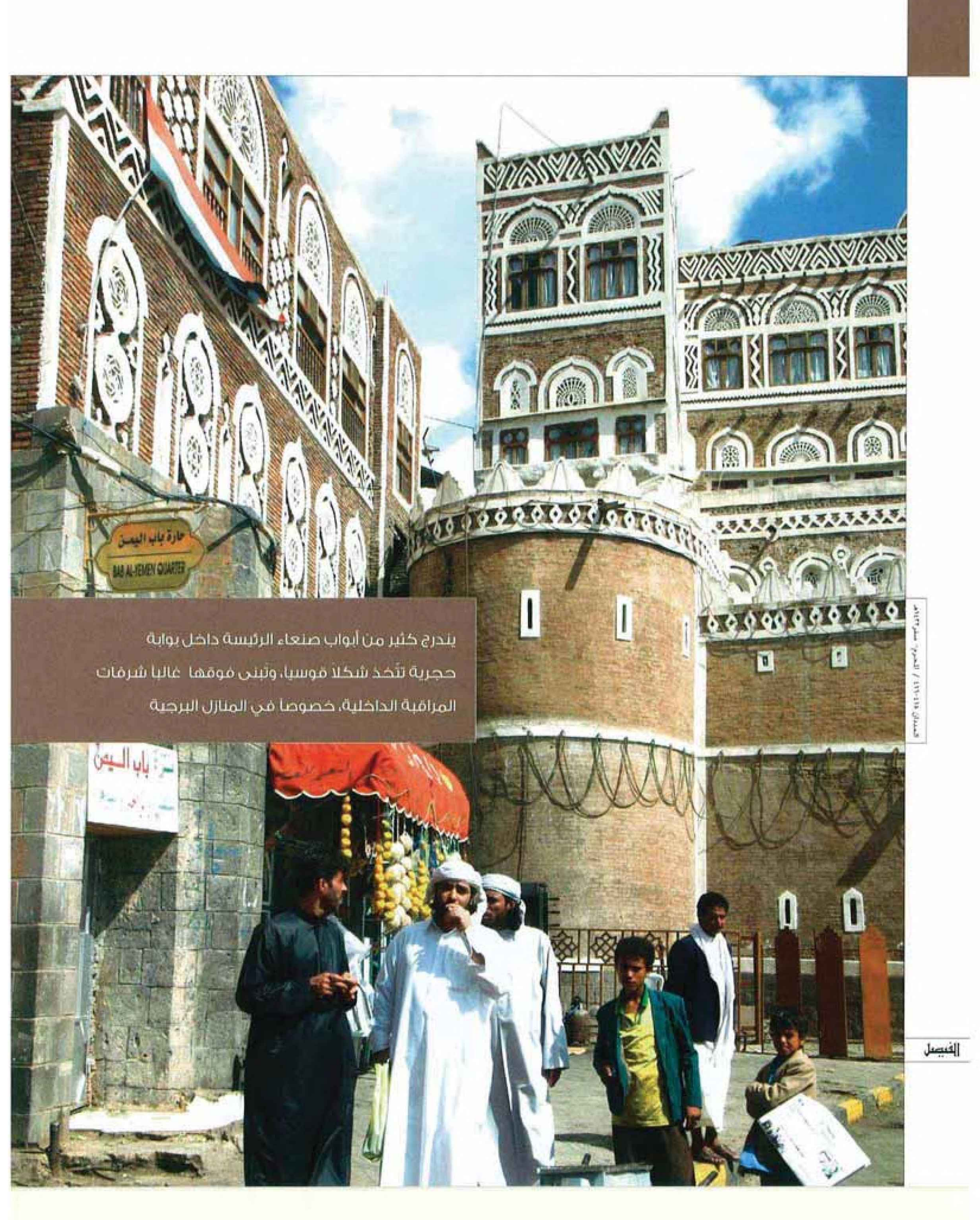
وظائف المنزل الصنعاني

لأن بيوت صنعاء القديمة قادرة على توفير المتطلبات الإنسانية المختلفة؛ لذا يتم إسناد المهام أو الوظائف إلى غرفها المختلفة بحسب الطابق الذي توجد فيه، وبحسب أسلوب مالك البيت في استغلال الفراغات في كل طابق. فطابق الدور الأرضي (الأول) يتكون من الدهليز أو الفناء الذي يتم المرور إليه من الباب الرئيس، ومنه تصعد

السلالم الى الطابق الأعلى. وغرف هذا الدور يتم تقسيمها قسمين: إذ يتم توزيع غرفه بين غرف للحيوانات تسمى (الكرس)، وغرف للعلف، وغرفة خزن الحطب وتسمى (الحر). وهي الآن نادرة وقد حلت محل الحطب الوسائل الحديثة. هذا هو القسم الأول. وغرف تستخدم لخزن الحبوب: إذ يوجد بها مدافن محفورة أرضياً تعمل على حفظ الحبوب أطول مدة ممكنة. وتوجد المدافن في قلة من البيوت، وأغلب بيوتات صنعاء ليس بها مدافن: بسبب وجود البرد المعتدل في الصيف المرتفع في الشتاء. وتستخدم المدافن بكثرة في المناطق الحارة. وفي حالة عدم وجود مدافن يتم عمل حواجز داخل الغرفة أشبه بالبرك الصغيرة لحفظ الحبوب تقوم مقام المدافن. وتسمى أحقاباً. وجدرانها ترتفع قليلاً عن أرضية الدهليز. وهي مغطاة بالقصاص لعزل الرطوبة (طريقة تلييس قديمة أشبه بالأسمنت تساعد على الحفظ). وتوجد غرفة خاصة للمطحن (الرحى). وهي غرفة ذات موقع شمالي لأجل البرودة. وتأخذ مكان بيت الدرج في الأغلب (غرف أسفل السلالم). أو مساحة في إحدى زوايا الحجرة. وقد حلت محلها حالياً الطواحين الآلية. وفي الطابق السفلي تكون الفتحات نادرة وقليلة: فهم يتجنبونها خشية اللصوص والسالبين. ثم تكبر في الدور الذي يتلوه. كما تبدو الزخرفة في هذا الدور قليلة.

أما الدور الثاني (فوق الأرضي). فيخصص للحياة المعيشية. وحسب لطف الديلمي فإن ابن مدينة صنعاء القديمة يفضل أن تكون في هذا الدور غرفة المطبخ وتسمى (الديمة): بهدف استغلال مساحة الأدوار العليا لبناء غرف جمالية يطل منها على ما هو دونه من البيوت والبساتين وأجواء السماء الرائعة المختلفة. على عكس ابن صنعاء الريفي الذي يفضل أن يكون المطبخ في الطوابق العليا، وغرف الجلوس أسفل: لإبعاد أدخنة المطابخ عن مضايقة الغرف العليا في أثناء الجلوس: لأن المطبخ كان يحتوي سابقاً على تنانير لصناعة الخبز تعمل بطريقة الحطب. وكلٌّ منهما له في ذلك وجهة نظره الصحيحة: فابن المدينة يلجأ إلى عمل مصارف للأدخنة إلى الخارج. ويستمتع بأجواء الغرف العليا في أثناء الجلوس فيها. ويرتبط المطبخ مباشرةً ببئر المنزل الواقع أسفل المنزل من الداخل، أو في حديقته. عن طريق استحداث بناء غرفة صغيرة بحجم النافذة تسمى (منزع). تكون بارزةً من المطبخ إلى خارج المنزل بمقدار متر. ولها فتحة من الأسفل يتدلى منها حبل مرتبط بدلو يتم إسقاطه إلى البئر مباشرةً لرفع الماء إلى المطبخ. وفي حال وجود البئر داخل المنزل يتم ربطه بالمطبخ عن طريق بناء مربع عمودي مجوّف لرفع الماء بالدلو إلى داخل المطبخ. وأهم شروط البئر في المنزل الصنعاني قرب وجهته من المطبخ أولاً، والحمام ثانياً. وتبقى غرف المطبخ بكامل مساحتها طولاً وعرضاً وارتفاعاً دونما استقطاع منها يُذكر، إلا أنه يتم استغلال الفراغات المماثلة لمساحة ارتفاع غرفة المطبخ في الغرفة المجاورة للمطبخ. وهي غرفة الحمام، إذ يقسم قسمين: أعلى، وأسفل. يأخذ القسم الأسفل أكثر مساحة ارتفاع الغرفة. ويستخدم حماماً (مرحاض). وبقية المساحة العليا تستخدم مخزناً لأثاث المطبخ، ومعملاً لصناعة الخل اليمني المكوّن من الزبيب والثوم والفلفل والملح. ويسمى الحمام في لهجة صنعاء مطهاراً. وكان يقسم قسمين يفصلهما جدار: داخلي خاصّ بالصرف الصحي، وخارجي خاصّ بالاغتسال. أما بقية مساحة الدور الثاني المجاورة. فإنها تقسم إلى حجرة (بهو) تتوسط الغرف. ينفذ منها أو من إحدى الغرف الواقعة أعلى باب المنزل نافذة تسمى الروشة. وتبنى إما من الشبك الخشبي وإما من الآجر (الطوب). وموقعها الدائم أعلى الباب الرئيس للمنزل لرؤية الطارق. وإلى جوار المطبخ غرفة خاصة بإرضاع الطفل: لإبعاده عن الدخان. وتسمى مكان البزا (غرفة الإرضاع). وتستغل إلى جانب ذلك لحفظ أدوات حليب الأبقار. ومعملاً لتحويله عن طريق تلك الأدوات التقليدية إلى لبن. والأدوات هي: المهزة، وهي أداة خشبية يعلق عليها إناء مجوّف يسمى (الدبية) لهزّ الحليب بعد أن يروب في المروبة. وتوجد في الدور الثاني غرفة خاصة بالأكل، إلى جانب غرفة البهو (الحجرة) الواقعة بين الغرف.

مساحة المنزل وسعته تتحكمان في عدد الغرف لكل طابق؛ فقد يكون للطابق الواحد غرفة واحدة وحمام وصالة، وقد تتعدد الغرف



يندرج كثير من أبواب صنعاء الرئيسة داخل بوابة حجرية تتخذ شكلاً قوسيا، وتبنى فوقها غالبا شرفات المراقبة الداخلية، خصوصاً في المنازل البرجية

مدينة القصور

تُعرف صنعاء بمدينة القصور؛ لتكوّن منازلها من طبقات تختلف لتصل من ستة طوابق إلى تسعة، ولا تقلّ عن ثلاثة. وقد حظيت قصور صنعاء ومبانيها بشهرة تاريخية لم تحظَ بها مدينة يمنية أخرى مثلها، حتى كتب حولها المؤرخون والجغرافيون؛ فهذا ابن رسته، المتوفَّى سنة ٣٠٠هـ، يقول في كتابه (الأعلاق النفيسة): «هي مدينة كثيرة الأهل، طيبة المنازل، بعضها فوق بعض، إلا أنها مزوّقة، أكثرها بالجص والآجر والحجارة المهندمة، فمنها من أساسها من الجص والآجر، وبعضها بالجص، وأكثر سطوحها مفروشة بالحصا لكثرة أمطارها».

ووصفها ابن بطوطة، المتوفَّى سنة ٧٧٩هـ، بقوله: «وانصرفتُ مسافراً إلى مدينة صنعاء، وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى، مدينة كبيرة، حسنة العمارة، بناؤها بالآجر والجص كثيرة». ويقول ياقوت الحموي، المتوفَّى سنة ٥٦٠هـ: «ومدينة صنعاء كثيرة الخيرات، متصلة العمارات، وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهداً، ولا أكبر منها قطراً، ولا أكثر منها شأناً».

وذكر الرازي في (تاريخ مدينة صنعاء) أن «دورها عُدَّت أيام الأمير أسعد بن إبراهيم اليعفري سنة ٢٨٦-٢٨٨هـ، فوجدت نيفاً وثلاثين ألف دار». وفي تعداد عام ١٩٧٢م كان عدد مساكنها ١٦,٦٦٢ مسكناً. قد يبدو فارق التعدادين منطقياً لقارئ تاريخ أحداث صنعاء الحربية الجسام؛ إذ لم يكن يهجع لها جفن، أو تقرّ عينها بإغماضة، فلا يمر عليها العقد أو العقدان من دون أن يمرّ بها صراع طوائف الأمراء والسلاطين والدويلات اليمنية على اختلافها، فيتعرض سكانها للقتل والتشريد والنهب، وعمرانها للخراب. ويروي د. عبدالرحمن الحداد في مؤلَّفه (صنعاء القديمة) أن «تاريخ صنعاء هو تاريخ اليمن كله؛ فقد شهدت أعظم الأحداث، ودارت فيها أعنف الملاحم، وتقرّر من داخلها مصير اليمن كله».

ويقوم الدور الثالث بوظيفة نسائية صرفة؛ إذ يضم غرفة النوم، إلى جانب مجلس خاصّ باستقبال النساء، والحجرة، والحمام، وغرفة خاصة تستخدم للمرأة في أثناء الولادة تسمى المكان العجمي أو المخلصة، وهي غرفة ضيقة المساحة، سواء في الارتفاع أم الطول والعرض (٢×٥,١م)، ولا يوجد لها نوافذ إلى خارج البيت؛ حتى لا يُسمع صوت المرأة في أثناء الطلق. وصغر الغرفة جعلها تقوم بوظيفة التدفئة والتسخين للمرأة، وتساعد على قيام النساء بزيارات فردية قصيرة؛ لأن الغرفة صغيرة لا تتسع لأكثر من زائرة؛ تجنباً للزيارات الجماعية؛ حتى لا تنزعج المرأة التي ولدت أو تتأثر أو تُشغل. ومدة مكوث المرأة في المكان العجمي أسبوع بعد الولادة، ثم تنتقل منه إلى مجلس استقبال النساء؛ لتمكث فيه أربعين يوماً لاستقبال المهنئات من الجيران والصديقات. وفي الدور الثالث يوجد مكان الدويدار أو الخادم الصغير (الخادم يكون في بيوت الأثرياء والمسؤولين فقط)، ويفضّل أن يكون الدويدار طفلاً دون سن البلوغ، ويقع مكانه فوق المكان العجمي، وهو نوع من استغلال الفراغ الموجود فوق المكان العجمي القليل الارتفاع، إلا أن باب المكان العجمي ينفذ إلى الحجرة الداخلية، فيما ينفذ باب مكان الدويدار إلى الدرج (سلّم المنزل).

يتكون الدور الرابع من ثلاث غرف أو أربع تُستخدم للنوم، والمقيل (تخزين القات)، والجلسات العادية، أو قاعات لإقامة الحفلات الرجالية والنسائية، أو صالات أفراح سابقاً؛ لارتباط غرفه معاً. وما بين الدور الرابع والثالث تقع غرفة الكمة، وهي غرفة صغيرة المساحة يصل ارتفاعها إلى متر ونصف المتر أو أقلّ، وطول مترين في عرض متر ونصف المتر تقريباً، وليس بها نوافذ سوى بابها النافذ إلى الدرج (السلّم). وتقوم هذه الغرفة بوظيفتين: الأولى تستخدم غرفةً لهجر الرجل زوجته تطبيقاً لقوله تعالى: {وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ}. وذهاب الرجل إلى الكمة إنذار ونذير شؤم للزوجة، فإذا لم تأت إلى زوجها لتصالحه وتعتذر فإن ثاني يوم سيكون يوم حزنها؛ فجلوس الرجل داخل الكمة وتحمّله أتعاب ضيق ارتفاعها ومساحتها وزيادة درجة حرارتها طوال ليلته من دون أن تعبأ زوجته به فإن ذلك كله يفضي إلى طلاقها صباح اليوم التالي. ونلاحظ هنا أن وجود الكمة مظهر إسلامي؛ تأسّياً بهجر النبيّ - صلى الله عليه وسلم - زوجاته إلى مكان خاصّ. والبيت الصنعاني في وظائفه يحتوي على مظاهر إسلامية كثيرة.



لروشة

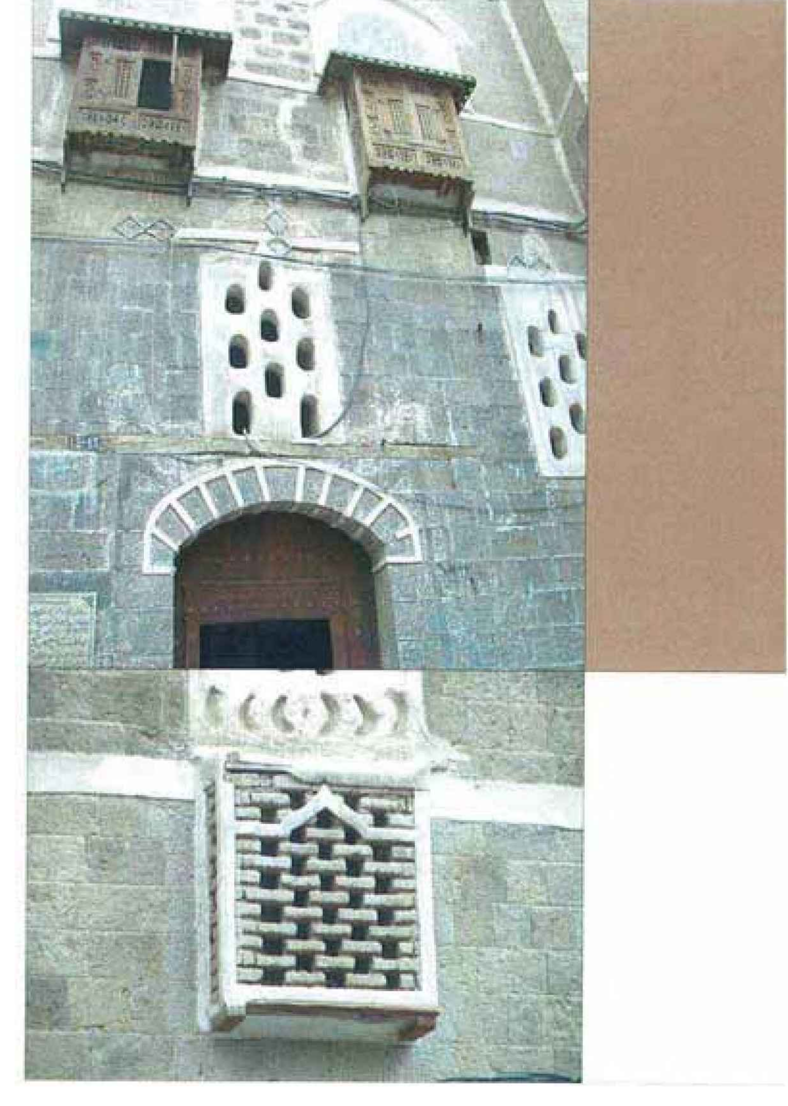


أما الوظيفة الثانية للكمة، فهي تستخدم مخزناً للأشياء الثمينة كالمجوهرات وغيرها، في أثناء الحروب ومداهمات صنعاء، ويتم إغلاق بابها بإجراء عملية التجصيص (استخدام الجص للتلبيس) فوق الباب لإخفائه؛ إذ يستوي مع الجدران فلا يعرف بوجوده، خصوصاً أن منفذ الكمة إلى الدرج، والداخل للنهب لا يأبه لوجود باب إلى الدرج. ومثل الدور الرابع تستخدم بقية الأدوار للسكن.

أما سطوح المنازل، فلا تترك ليقتلها الفراغ، بل تستغل مساحاتها أمثل استغلال؛ فتقام غرفة كبيرة وسط السطوح، أو الدور المسروق كما يسميه السكان، وسُمّي مسروقاً لأنه مخفيّ لا يُرى من الشارع؛ لأنه في قلب السطح أولاً، ولأن حواف السطوح مبنية من جميع الجوانب بارتفاعات كبيرة ثانياً. وهذه الغرفة قليلة الارتفاع يتم تقسيمها الى مخزن وحمام وغرفة صغيرة تطلّ نوافذها على سطح المنزل. وتستخدم مكاناً خاصاً بالشيوخ العاجزين من الرجال والنساء غير القادرين على الحركة الكثيرة في الخارج؛ لذا تسمى مكان الشيبة او الشائب؛ إذ يتم فصلهم عن إزعاجات النساء والأطفال في الأدوار السفلية. ويتنقلون أنفسهم بالخروج إلى السطوح للتدفئة والحركة وزراعة أنواع الرياحين وسقياها، وغير ذلك. ويقام أعلى مكان الشيبة غرفة المفرج المشهورة في معظم البيوت الصنعانية.

ويضم المنزل الصنعاني المطاهير (الحمامات)، وموقعها في الواجهات الخلفية (الشمالية)، وهي غرفة مستقلة تستخدم مرحاضاً؛ إذ كان يتم حفر بالوعة (حفرة أرضية) لكل مطهار، يتجمع فيها الماء والمخلفات. ويتم تنظيفها كل مدة من خلال خدم او عمال اختصاصيين في هذا الجانب مقابل اجر يحصلون عليه. أو تصرف المخلفات عبر أقنية عمودية مكشوفة على سطح الجدران الخارجي إلى الارض. وتتجمع هناك في قناة مشتركة ممتدة بين المنازل. وتصرف إلى بساتين تتوسّط البيوت السكنية للري. ولا ننسى الإشارة الى وجود غرفة الكشك (المشربيات) في كثير من المنازل. وهي غرفة بحجم النافذة الواسعة مبنية على أخشاب بارزة عن المبنى بمسافة متر أو اكثر. وتُصنع غرفة الكشك من الخشب المزخرف باتقان وإبداع. وتتعدد أشكال زخرفته.

وينقسم المنزل الصنعاني إلى جزء خاص بالرجال، وآخر بالنساء. ويتم هذا الفصل عادة عن طريق بعض الوسائل التخطيطية. إما بوجود طابق مستقل، وإما بوجود سلمين منفصلين



روشنان [illegible] فوق [illegible] من الآجر

في بعض المنازل، أو سلم خلفيّ للمنزل خاصّ بالنساء يتصل مع السلم الرئيس بواسطة بابين أو مداخل.

عناصر الجمال في غرف الاستقبال

يعتني أهل صنعاء عامة بزينة الأمكنة، فيوضع في كل مكان صفيف فوق كل نافذة وفي عرض المكان، ويزين بطريقة جميلة، وتوضع فيه المزاهر النحاسية والمرشات الخاصة بماء الورد والمباخر والمناقل. وتعلق في الأمكنة الصور الحديثة، وألواح كتب عليها بعض الآيات القرآنية، وتوضع وسط المكان معشرة نحاسية توضع فيها المدايع (مدخنة التنباك). وتفرش الأمكنة بالسجاد الجميل، وتوضع الوسائد على جدران الأمكنة. وتوجد وسادة تسمى (بنت الوسادة)، وهي ملفوفة بأقمشة جميلة. كما يوضع في الأمكنة المداكي (المتكأ). وفي أكثر الأمكنة توجد خزانة، إما داخل الجدار وإما في إحدى زوايا المكان، تحفظ فيها الوثائق والنقود والحليّ. أما أبواب الغرف، وقد أشرنا إليها في موضوع الزخارف، فلها قيمة جمالية أيضاً: فهي تزيّن بأشكال هندسية جمالية دقيقة متباينة. وكثيراً ما توضع داخل الأشكال الهندسية المحزمة صفيحة رقيقة من النحاس تبدو من وراء التخزيمات مع قلاباتها وخطافاتها الجميلة. وطبيعيّ أن هذه الزخارف المبالغ فيها لا تُستخدم في بيوت صنعاء كلها، وإنما في بيوت الأثرياء والمسؤولين الضخمة. لكن ذلك لا يعني أن فنيات الزخرفة منعدمة في البيوتات الأقل ثراءً، بل إن فنون زخرفات الأبواب منتشرة في كل المنازل، لكن كلّ بحسب سعته في إضافة اللمسات الجمالية المنزلية. وكما أن الأبواب تحتوي على زخرفات فنية فإن النوافذ أيضاً لا تخلو من ذلك الفن الزخرفي البديع، الذي يضفي لمسة جمالية تتكامل بشكل كلي مع زخرفات الغرف من الداخل، التي تتزيّا بالزخرفات والنحوتات البارزة. وقد كانت النوافذ في الماضي تغلق بمصاريع خشبية، لكنها زوّدت اليوم بألواح زجاجية. ومما يضفي لمسة سحرية على النوافذ وضع الكنة فوق النوافذ من الخارج، وكثيراً ما تكون الكنة ذات تخزيمات رائعة. كما تتحكم بعض النوافذ في المرور إلى المشربيات الصغيرة. ويعلو النوافذ المربعة نوافذ عقودية على شكل نصف دائرة، تركّب فيها عقود خصبية ذات فتحات تأخذ أشكالاً زخرفية رمزية كثيرة ومتنوعة تعدّ ذاتها فناً من الفنون التي تعكس الحسّ الفني للصانع المبدع، ويطلق على هذه العقود اسم القمريات، وتصنع من الجصّ الأبيض المحزّم والمطعّم بالزجاجات الملونة التي تعمل على إكمال المشهد الجمالي للعقود. كما أنها مصدر إضافي للإضاءة الطبيعية. وتسمح القمريات بإدخال الضوء إلى الغرف، بينما تمنع دخول أشعة الشمس، وتكمل العقود المشهد الجمالي للغرف.

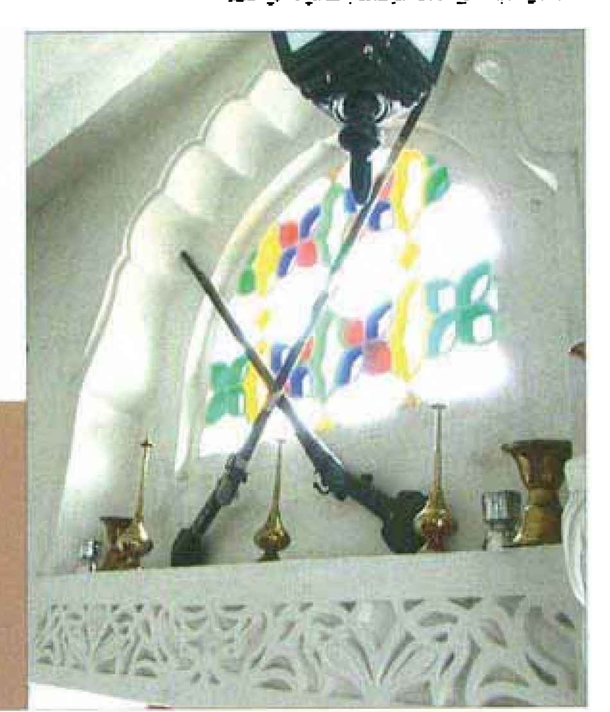
ومن أجل ضمان تهوية مناسبة للغرف في أثناء الصيف تلجأ البنّاؤون إلى إنشاء نوافذ صغيرة مرتفعة على الجدران تسمح بتجديد الهواء في الغرف من دون إحداث تيار بارد قد يضرّ بصحة الإنسان الجالس في الغرفة، بينما تظلّ النوافذ الكبيرة المقامة في



اطلالة غرفة المفرج على غرفة الحجرة

غرفة الولادة لاستقبال ضيوف التهنئة

بنادق قديمة إلى جانب المرشات و[illegible]



الجدران على مستوى الجالسين مغلقة.

ما سبق توصيف للشكل العام لغرف الاستقبال المتعددة في المنزل الصنعاني يتيح لنا تناول اتساعاتها وأنواعها بحسب أسمائها وميزة كل منها.

أنواع غرف الاستقبال

الديوان:

هو خاصّ بالضيوف، ويتميز بأبعاده الواسعة؛ فقد يشغل جناحاً كاملاً، أو يمتد على واجهة المنزل، وفي موقع أفضل، وتقام فيه حفلات الزواج، ويحتوي على عدد من الصنوف والرفوف الجصية المنمقة، ويزين بالأحزمة والنقوش البديعة المتناغمة.

المفرج:

يأتي من حيث السعة بعد الديوان، ويتسع لجلوس أكثر من عشرين شخصاً، وله عدة جرف (نوافذ كبيرة)، ويسمى مفرجاً عدنياً (جنوبياً) وشرقياً؛ بسبب الاتجاه المفضّل للجرف (النوافذ).

ويتميز بثلاث نوافذ جنوبية وواحدة شرقية، ويلحق بالمفرج غرفة الحجرة يتم منها الدخول إليه، ونافذة الحجرة جنوبية. وفائدة الحجرة من حيث تصميم البناء استقبال أرضيتها المكونة من الأحجار الحبش القادرة على امتصاص الحرارة؛ مما يساعد على تسخين الهواء ليدخل مباشرةً إلى المفرج ساخناً. كما تمنع غرفة الحجرة دخول الشمس إلى المفرج مباشرةً بعد الظهيرة في أثناء الجلوس وتناول القات. ويوضع في الحجرة أيضاً موقد النار الخاص بإيقاد تنباك المداعة (الشيشة الكبيرة). ومفارج صنعاء المتجهة جروفها إلى الجهة القبلية (الشمالية) جميلة؛ بسبب إشراف الجالسين على منطقة شعوب الرائعة بمزارعها ومناظر الروضة والجراف الرائعة. وإنارة المفرج قوية بسبب اتساع نوافذه.

المنظر (الطيرمانة):

غرفة المنظر، ويطلق عليها الطيرمانة، هي أعلى غرف المنازل، وأقرب في ارتفاعها إلى ارتفاع الطير المحلق في جوّ السماء، واسمها مشتق من اسمه. وتبنى وسط السطوح، ويبنى تحتها غرفة لتزيد من ارتفاعها. وللمنظر ثلاث نوافذ: إحداها شرقية، والثانية غربية، والثالثة جنوبية. وتلبس جدران المنظر الداخلية بالجص، وتزيّن أركانه الصفوف (الرفوف)، ويُعتنى بزخارفه أيّما اعتناء. ويتّسع المنظر لجلوس أكثر من أربعة أفراد. ومن حيث الإطلالة فهو ذو موقع ممتاز.

الزهرة:

غرفة صغيرة تعلو المنظر، واسمها مشتق من كوكب الزهرة، أو هي إشارة إليه؛ إذ يطلق أحياناً عليها هذا الاسم. وتقدم إلى العريسين في أعلى الطوابق، وتبدو في جميع المنازل منفردة ووحيدة في القمة لا يجاورها شيء، وشكلها مميّز، وتعطي المنزل لمسةً جمالية وطابعاً مميزاً، ولا يكتمل جمال البيت الصنعاني إلا بها، وتتميز بطيقانها الواسعة من جهاتها الأربع، وزخرفاتها الداخلية الجميلة، ونقوشها البديعة. ويوجد في المنزل الصنعاني: الخاصّ، والعام. العام هو غرف الاستقبال المذكورة آنفاً، وهي للرجال والضيوف. والخاصّ هو غرف النساء: كالشرفة، والحجرة، والحدائق؛ إذ تعدّ أمكنة عائلية.

فنون الزخرفة

تتنوع الزخرفة في البيت الصنعاني بين زخرفة خارجية، وزخرفة داخلية، وزخرفة خشبية، وهي إما بارزة وإما غائرة وإما مستوية.

الزخرفة الخارجية:

يتميّز البيت الصنعاني بالزخرفة المفرطة لواجهته عن غيره من البيوت اليمنية الأخرى؛ إذ تؤدي الزخرفات دوراً حاسماً في إنعاش الواجهات، وتشكيل وحدة المنازل، وتحصل الوحدة غالباً من حرص البنّائين والنجّارين الكبير على خلق وحدة تتكامل بين الديكور والأحجار. وتبدو الزخرفة الخارجية قليلةً في الدورين الأول والثاني، وتكثر في الدور الثالث وما بعده؛ إذ يلبّي البنّاؤون حاجات الغرف بكل تناسق وانسجام؛ فالواجهة تمثّل العارضة المزخرفة التي تزيد من قيمة البيت وأهميته. ويعود فضل فن الزخرفة إلى مادة الطوب الذي تُبنى به الطوابق العليا للمنازل؛ فهو يشكّل بتنوعات بنائه أجمل الزخارف والنقوش الخارجية للمنازل؛ مما جعل صنعاء الأولى عالمياً في فن البناء الطوبي من دون منافس. وإلى جانب الزخرفة الطوبية توجد الزخرفة بالجصّ الذي يمتاز بمنع تشظّي الزخرفات، ويعمل على توحيد الواجهة، ويعطيها منظرها المتكامل؛ مما يدفع الزائر الغريب إلى الانبهار بها.

إن كثرة المواد المستخدمة في كل بيت على حدة، وغنى الزخارف، يشعران الزائر فعلاً بوحدة وثيقة لفن العمارة بين البناء والزخرفة في البيت ذاته، وبينه وبين البيوت المجاورة، ومقابلة زخرفته زخرفة منارات المساجد. إن النقوش والزخارف الأفقية في الواجهة تزدهر بألوانها المنظمة طبقاً لمقاييس الحجارة

وجد في المنزل الصنعاني: الخاصّ، والعام،
العام هو غرف الاستقبال المذكورة آنفا، وهي
للرجال والضيوف، والخاصّ هو غرف النساء:
كالشرفة، والحجرة، والحدائق

المنزع كما يظهر من الخارج ويتدلى منه الحبل النازل للبئر من داخل المطبخ، والدلو يتدلى الى البئر



رحى صغيرة



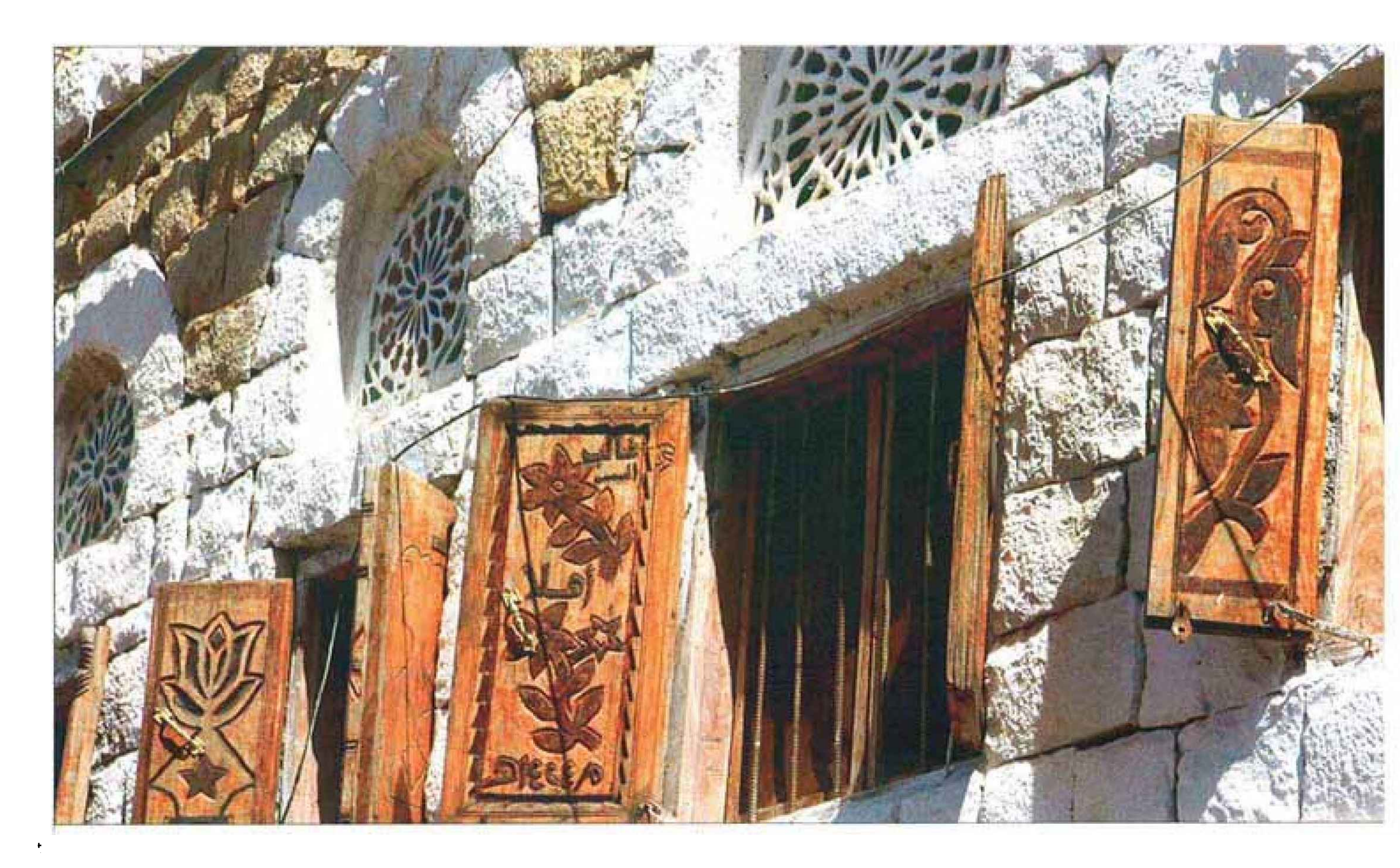
الحكمة الصنعانية السائدة تقضي بأن البيت الذي بابه متجه جنوبا يسمى بيتا كاملاً، أما البيت الذي بابه مفتوح من الواجهة الشمالية فهو بلا ثمن



القرميدية (الآجر)، وبشكل متناغم ومتناسب مع المنازل المجاورة. إنها الوحدة من خلال التنوّع؛ فكل بيت يؤكد خصوصيته من خلال تقيّده بقواعد مشتركة ذات مصطلحات متماثلة. وهذا الأمر يُسمى بالتعبير عن الفردية من خلال الجماعية.

إن سرّ جمال بيوت صنعاء يكمن في علوّها الساحر، وأسلوب بنائها الذي يبدأ بقاعدة حجرية وينتهي في طوابقه العلوية بالقرميد (الطوب أو الآجر). وتميّزه بوجود النوافذ الزجاجية والأفاريز المبيضة. وهناك تنوّع أيضاً؛ فالغرف المعزولة والمزخرفة بثراء واضح تنهض على المصطبة العليا للمنازل الكبيرة. كما توجد شرفات مزينة بسلسلة من المعقدات الصغيرة. وهكذا يبدو المشهد العمراني متناغماً ومنسجماً لا رتيباً ومملاً.

إن عناصر الإظهار المعماري لواجهات السكن التقليدي



تتنوع الزخرفة في البيت الصنعاني بين زخرفة خارجية، وزخرفة داخلية، وزخرفة خشبية، وهي إما بارزة وإما غائرة وإما مستوية

تتمثل في الحجر فوق السقف مع أشكال مشتقة. والأبواب الخشبية المزخرفة من الطوابق مع استخدام الزجاج الملون وقطع شبه شفافة من المرمر. وتعمل الزخرفة الجمالية المنقوشة في الواجهات على تنظيم الأسطح، وتوفير جزئيات مظللة لتخفيف تسخين الواجهات في الصيف. كما أن الإطار الخارجي لفتحات النوافذ يتم طلاؤه عادة باللون الأبيض.

الزخرفة الداخلية:

هناك مادتان تهيمنان على الزخرفة الجدارية الداخلية، هما الحجر والجص: فالحجر يستخدم في بناء الدرج (السلالم) والبهو. وهناك دهان مركب من الجص والمرمر صقيل كالرخام، ومزين بزخارف هندسية أو بالحصراوات، يزين أسفل هذه الأمكنة. وتطلى الجدران والسقوف في كل الأمكنة الأخرى بالجص. وتتخذ الزخارف الجدارية الداخلية أشكالاً مختلفة كثيرة، تبرز غالباً على هيئة زخارف نباتية أو رمزية، وتتمثل الزخارف النباتية في الأزهار والأوراق ذات الأشكال المجردة، أو الغصينات المفردة أو المزدوجة أو الثلاثية، التي ينبثق منها سعف النخل. وهي تزين الجص داخلياً، وعلى أطراف الزجاجيات. وتنتشر التشبيكات الزهرية الهندسية بكل حرية وجمال، خصوصاً في الزخرفة الخشبية.

أما الأشكال الزخرفية الرمزية، فهي غالباً ترمز أو تعبر عن أخلاق صاحب المنزل، وعقيدته، وكرمه، وتقواه، وعنايته بحرف الخط الديني، وكسبه رضا الله، وأحياناً إظهار مكانته الاجتماعية. وهناك شكلان حيوانيان مرتبطان غالباً بالزخرفة النباتية، لهما علاقة بهذه الرمزية: إذ يوجد عصفور يسكن الأغصان الملتفة، أو ينقر عنقود العنب، أو نقش على هلال أو زهرة صغيرة ذو مظهر

مألوف بعمامة كبيرة أو بمامة أو بسر كشكل شعاري، وهو أحد تأثيرات الفن اليمني القديم الذي يعود إلى ما قبل الإسلام.

ولا تخلو الزخرفة حتى من وجود الحية الضارة رمزاً ينظر إليه أعداء البيت وليس أهله، بوصفها حارس البيت. وهي موجودة في الزخارف الجصية والحجرية والمعدنية. أما جمنة (دلة) القهوة، والمداعة (مدخنة التنباك القديمة)، فتعدّان رمزين لحسن الاستقبال. وسيف عليّ بن أبي طالب المدعم بخمسة نجوم هو شعار آخر أئمة اليمن، ولون السيف أبيض. أما السيف الأحمر فهو دلالة على التبابعة الحميريين. وقد حلّت البندقية والرشاش، وبالأحرى الدبابة والطائرة بوصفها رموزاً حربية في اليمن الحديث، محل سيف عليّ – كرّم الله وجهه – على الأبواب المعدنية. أما خاتم سليمان، أو النجمة السداسية، فترمز إلى كونه شخصية ربانية، إضافة إلى علاقته باليمن التي ارتبطت بزواجه ببلقيس ملكة سبأ. ويعدّ الخاتم في عقيدة بعض اليمنيين حرزاً ضد الجن؛ لذا نجده في الجص، واللبن (الطين الطوبي)، والحجر، أو فوق عتبات البيوت، أو في تخاريم المشربيات. وأقدم تجسيداته في المساجد؛ إذ يُنحت على الخشب رمزاً. أما الآن فغالباً ما يُنزع من الزخرفة بوصفه قد صار رمزاً صهيونياً. وقد نلاحظ بعض الشعارات: مثل: الهلال، ومصابيح المساجد، أو المنارات مصحوبة بنقوش دينية.

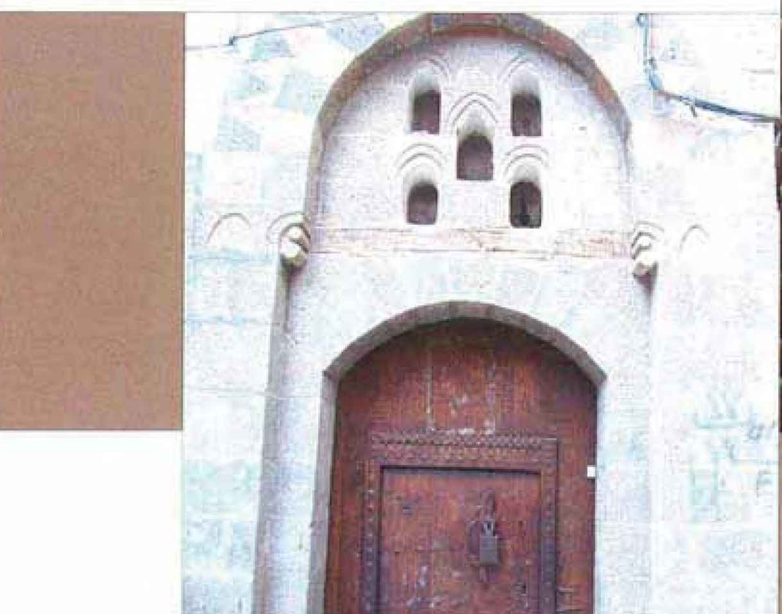
مطرقة الباب



الزخرفة الخشبية:

تزدهر الزخرفة الخشبية في صنعاء القديمة، وهي لا تظهر كثيراً من خارج المنازل عند المرور في شوارعها نتيجة الانبهار ببياض الزخارف الجصية، باستثناء باب المدخل. ولا يستطيع أحد إدراك قيمة هذه الزخارف الخشبية الفنية، وإنما يجري التمتّع بها من الداخل؛ فالباب الخشبي وحده يسترعي الانتباه من الناحية الجمالية والفنية، سواء في المدخل أم في الغرف. فما إن يجتاز الداخل باب مدخل المنزل حتى يبدأ بتذوّق فن الزخارف الأخرى؛ ففي عتمة الدهليز أسفل السلم سيكتشف باباً جميلاً، ثم خزائن صغيرة مبنية في القطب. أما الأبواب الفاخرة، فتوجد في الطوابق

باب مدخل رئيس



العليا للمنازل، وهي فاصلة للحجرة عن الغرف والسلّم، وفي غرف الاستقبال يكون تقرير القيمة الفنية لما لم يتم مشاهدته من قبل: فما إن يدخل الزائر غرفةً معينةً حتى يستمتع بمصاريع الأبواب الخشبية ذات الزخارف المنحوتة والملونة، وبالزخارف المجزوزة أو المنقوشة التي تغلق النوافذ؛ إذ توجد زخارف ذات خطوط أنيقة تزيّن ألواح الأبواب، وتتمايز من حيث درجة الإشراق: فتوجد خطوط دكناء سمراء تعلوها خطوط سوداء مرسومة على اللون الفاتح للخشب، وترسم بالحبر المصنوع من الصمغ العربي المسحوق والمخلوط بالماء وبمكونات أخرى؛ إذ يكون غير قابل للإزالة. وتزيّن بعض الأبواب الداخلية المشرفة على الدواوين بزخارف متعددة الألوان.

وتتكون مصاريع الأبواب الخشبية من طبقة واحدة من مقطعات ألواح مركبة سميكة مثبتة بقطع من الخشب بطريقة أفقية. ويتم تشكيل الواجهة الخارجية بنقوش مبسطة وتركيب ألواح إضافية مزخرفة بترتيب متناسق لصفوف رؤوس المسامير.

أما الأبواب ذات القوائم الحقيقية المطعمة بالحشوات، فهي تمثّل حالةً استثنائيةً في اليمن، وتحديداً في صنعاء. وأمكنة زخرفة باب البيت هي حقل سطح الباب نفسه، وغالباً ما توجد زينة أخرى. وتعتمد النماذج التشكيلية لزخارف أبواب البيوت كلها على تكرار لا ينتهي للأشكال والنماذج. وتميّز ذلك نقوش عربية بسيطة من خلال التلاعب بالأشكال الهندسية الأساسية. ومشبكات ومظفرات هندسية مخرّمة، والزخارف النباتية ذات الأصول التركية، وزخارف نباتية ذات أصل هندي. وتدلّ زخرفة باب البيت على وظيفته الرمزية بوصفه الصلة بين الحياة الخاصة والعامة. إلا أن زخرفة الأبواب تغيب عنها النقوش الإسلامية المعروفة؛ إذ تنتمي الزخارف إلى مخزون الفن الشعبي البسيط المتميّز بمستوى تشكيلي حرفي عالٍ.

ويقدّم فن الزخرفة الخشبية في صنعاء مجموعة غنية من الزخارف المنحوتة، التي تتدرّج من الثلم، أو الحزّ البسيط، حتى الأشكال المتقنة للنحت المحزّم. وتشيع زخارف الثلم أو الحزّ في المنازل المتواضعة؛ لأن تحقيقها سريع، وتكلفتها أقلّ.

ولأغلب الأشكال الزخرفية أصول؛ إذ يستقي النجّارون عناصر الزخرفة من التراث الإسلامي بصورة أساسية، فيستوحون الموضوعات النباتية والهندسية والرمزية والكتابية التي لا تخصّ فن الخشب وحده، بل لا يزال أغلبها مستخدماً في الزخارف الجصية.

تبييض المنازل وتحليمها

تملي العادة المتأصّلة على سكان صنعاء الأصليين منذ القدم القيام بتبييض سنوي أو خلال مدد تتقارب أو تتباعد للمنازل من الخارج، للأحزمة الفاصلة بين الطوابق، أو لأجزاء أو زخرفات جمالية تلتفّ حول العقود (القمريات)، وحول النوافذ، أو تتموج طولياً بشكل أفقي في أرجاء المنزل، أو بشكل رأسي، أو بكليهما، آخذةً أشكالاً هندسية تتنوع وتختلف من منزل إلى آخر: ليعلو واجهات المنازل وأطرافها نور يعكس جلاء ألوان تلك النفوس الشفافة لساكنيها. إلا أن هذه العادة لم تعُدْ مهمة في وقتنا الحالي، ربما بسبب هجرة كثير من سكان صنعاء الأصليين مساكنهم، ودخول سكان جدد وفدوا من الأرياف البعيدة ما عاد يهمهم مظهر مدينتهم وقيمتها الجمالية والتاريخية كما هو حال أهلها النبلاء.

لقد كادت بيوت صنعاء تبلى حتى أملت ضرورة إعلان صنعاء عاصمةً للثقافة العربية عام ٢٠٠٤م تجديد البيوت وتبييضها بلون البهجة: ذلك اللون الباعث على الحياة، بتكلفة قدّمتها وزارة الثقافة نيابةً عن السكان؛ لتترك صنعاء بذلك عبوسها الذي كسا وجهها أكثر من عقدين من الزمان.

خلّفت صنعاء ورائي، وما خلّفت ذاكرتي الممتلئة بروائحها التي تزدحم فيها شوارعها، ومآثرها، وأسواقها، وأسوارها، وبيوتها، وكلّ شيء في أحنائها.

سقف الشرفة والمخارمات الـ...





النوبيون يناقشون تاريخهم ولغتهم وأدبهم في المكتب الثقافي المصري بالرياض

نظّم المكتب الثقافي المصري بالرياض - بمشاركة الأسرة النوبية بالرياض - ندوة ثقافية بعنوان: (النوبة: حضارة وتراث وفنون)، يوم الأربعاء الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ الموافق الرابع والعشرين من نوفمبر عام ٢٠١٠م بمقر المكتب الثقافي المصري.

وجاءت الندوة في ثلاثة محاور، هي: تاريخ النوبة وتراثها، واللغة النوبية بين الواقع والمأمول، والأدب النوبي. وتضمنت الندوة عرضاً تاريخياً لمساهمة النوبة في البناء الحضاري لمصر منذ عصور ما قبل التاريخ وفجره، مروراً بالعصور الفرعونية، والعصر الإغريقي الروماني، والعصور الإسلامية، وأجابت الندوة عن سؤال: هل عرفت اللغة النوبية الكتابة؟. وكانت الإجابة: نعم، عرفت اللغة النوبية الكتابة، واستخدمت الخط المروي، وبعد دخول الإسكندر مصر استخدمت الخط اليوناني والخط القبطي.

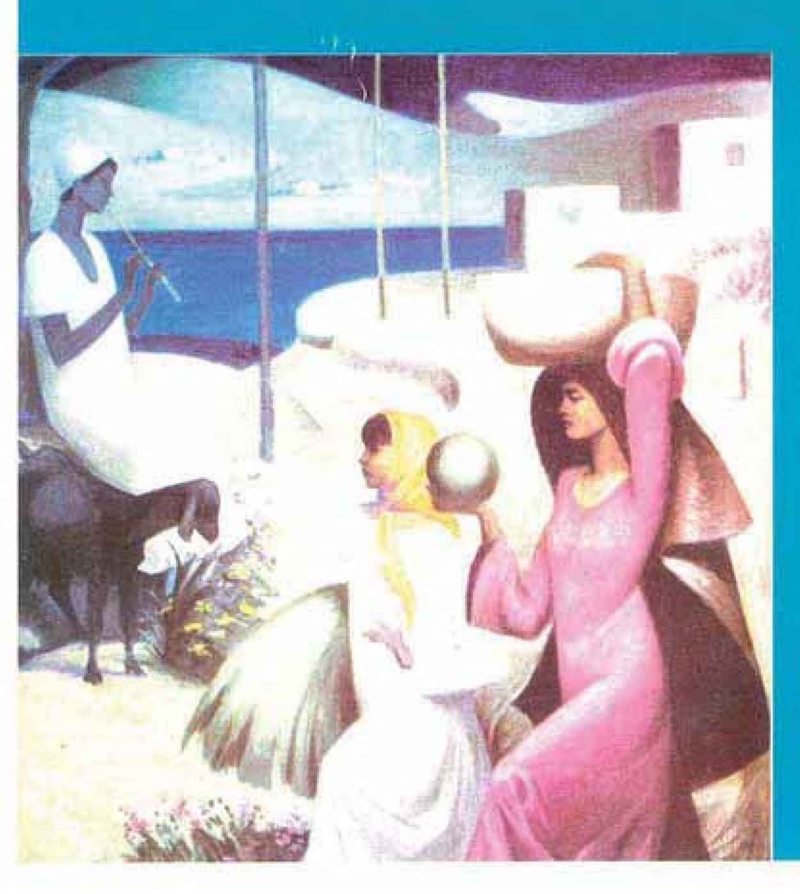
اكتشف الباحث الألماني كارل شميت الخط النوبي القديم في عام ١٩٠٦م، ثم كان الفتح الكبير على أيدي ابن النوبة الراحل الدكتور مختار خليل كبارة - الأستاذ في كلية الآثار بجامعة القاهرة - الذي يعدّ كتابه (اللغة النوبية كيف نكتبها؟) مرجعاً أصيلاً لكل من يبحث في شؤون اللغة النوبية.

ونتيجةً لأبحاث الدكتور كبارة ظهرت محاولات كلّ من: الأستاذ حسن كاشف عام ١٩٩٧م، والأستاذ عبدالقادر شلبي عام ١٩٩٨م، وتبعهما الباحث البريطاني هيرمان بل، والأستاذ الدكتور محمد جلال هاشم الأستاذ في جامعة الخرطوم، وقدم كلّ من: الباحث الألماني ماركوس جيقر، والباحثين النوبيين: كمال حسين عبدالله، والشفيع الجزولي، بحثاً أمام مؤتمر اللغات النيلية الصحراوية في باريس عام ٢٠٠٧م، وأسفرت هذه المحاولات في عام ٢٠٠٨م عن تصميم الخط النوبي المعروف باسم: Sophia Nubian Font.

وفي عام ٢٠٠٩م، صمّم الأستاذ حسن كاشف برنامج للكتابة بهذا الخط، ثم صمّم الأستاذ عبدالعظيم جميل برنامجاً آخر، ولكلّ من: الأستاذ محمود ساتي، والأستاذ عمر حسن الدابودي، جهود في تصميم هذا الخط وحلّ مشكلاته مع أنظمة التشغيل والبرامج.

ومن الباحثين البارزين في هذا المجال الأستاذ الدكتور منيب سيد إبراهيم، وبحثه القيم (اللغة النوبية.. النظام الكتابي الجديد)، وقد عكف على إعداد قاموس لألفاظ اللغة النوبية مدة عشر سنوات، وهو يرى الاستعانة بالحروف العربية وتطويعها لتلائم اللغة النوبية.

أما الأدب النوبي، فيعبّر عن شعب نوبي يشترك في جذور ومعطيات مصرية وسودانية، وإفريقية، وعربية، وبحر متوسطية.



ومنذ عام ١٩٩٠م ظهر مصطلح الأدب النوبي، فامتعض بعض المثقفين المصريين أولاً، ثم تحوّل الامتعاض إلى معارضة شديدة، لكن المصطلح ثبت، ونال الاعتراف من كل شرائح المثقفين في مصر.

وأوضح أدول أن أول كتاب أدبي نوبي نشر باللغة العربية كان في عام ١٩٤٨م، وهو ديوان (ظلال النخيل) لمحمد عبدالرحيم إدريس، وهذا الديوان يعدّ الموجة الأولى من الأدب النوبي المعاصر.

وكانت رواية (الشمندورة) بداية الموجة الثانية التي هَدَرَتْ ودوّت عام ١٩٦٨م، وبدأت الموجة الثالثة من الأدب النوبي عام ١٩٨٩م بمجموعة (القمر بوبا) لإبراهيم فهمي، ثم مجموعة (ليالي المسك العتيقة) لحجاج أدّول التي نُشرت في العام نفسه، وفاز أديبان نوبيان بجائزة الدولة التشجيعية في عامي ١٩٩٠ و١٩٩٢م، ثم فاز الأديب إدريس علي بجائزة أفضل رواية عربية مترجمة إلى الإنجليزية، وهي جائزة تقدمها جامعة أركنسو الأمريكية، ولم يكتفِ إدريس بذلك، بل فازت روايته (انفجار جمجمة) بلقب أفضل رواية مصرية عام ١٩٩٨م.

وقدّم أبحاث الندوة د. فرج الله أحمد يوسف، والأساتذة: عمر طه، ومصطفى مزمل، ومحمد سليمان، وأحمد ولياب، ومصطفى قورتي، وعبدالعظيم جميل، وشفيع الجزولي، ومحمود ساتي، وعمر حسن عثمان، ود. محمد جلال هاشم، ود. منيب إبراهيم سيد، والأديب النوبي حجاج أدول.

ونظّم على هامش الندوة معرض للتراث النوبي، تفقده السفير حسام الدين عيسى، والمستشار الثقافي الدكتور صلاح طاهر، وكان إعجاب الحاضرين به كبيراً، وقدّم صورة مشرقة عن التراث التقليدي النوبي، وقام على تنظيمه كل من الأساتذة: محمد عثمان بشير، وفتحي عبدالعزيز شده، وإبراهيم حسن إبراهيم، كما قدمت فرقة الأسرة النوبية بإشراف الأستاذ سعيد صالح عرضاً فنياً لقي الإعجاب والإشادة.

إعلان القائمة النهائية لجائزة البوكر العربية

أعلنت لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر العربية) يوم الخميس ٣ المحرم سنة ١٤٣١هـ الموافق ٩ ديسمبر ٢٠١٠م في العاصمة القطرية الدوحة القائمة النهائية للأعمال الستة المرشحة لنيل جائزة عام ٢٠١١م.

وأكد الناقد فاضل العزاوي - رئيس لجنة تحكيم الجائزة - أن ترشيحات القائمة القصيرة اختيرت بعناية ونزاهة كبيرتين، موضحاً أن لجنة التحكيم اختارت ٦ روايات، وكلّ رواية من هذه الأعمال تستحقّ الفوز وحدها، مشيراً إلى أنه سيتم اختيار الفائز بجائزة البوكر، والإعلان عن اسمه، مساء الاثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ الموافق ١٤ مارس عام ٢٠١١م عشية افتتاح معرض أبو ظبي للكتاب. وتضم القائمة: القوس والفراشة، محمد الأشعري (المغرب)، وصائد اليرقات، أمير تاج السر (السودان)، ومعذّبتي، بنسالم حميش (المغرب)، ورقصة شرقية، خالد البري (مصر)، وبروكلين هايتس، ميرال الطحاوي (مصر)، وطوق الحمام، رجاء عالم (السعودية).

يُذكر أن جائزة البوكر العربية تُمنح لرواية مكتوبة باللغة العربية، ويحصل كلّ من المرشّحين الستة الذين تضم القائمة النهائية أسماءهم على ١٠ آلاف دولار، أما الرابح فيفوز بـ٥٠ ألف دولار إضافيةً. وقد تم إطلاق هذه الجائزة في العاصمة الإماراتية أبو ظبي عام ٢٠٠٧م بالتعاون مع جائزة البوكر البريطانية، وبدعم من مؤسسة الإمارات، وهذه الدورة هي الرابعة للجائزة. وحصل على الجائزة في دورتها الأولى عام ٢٠٠٨م الروائي المصري بهاء طاهر عن روايته (واحة الغروب)، وفاز بها في دورتها الثانية عام ٢٠٠٩م الروائي المصري يوسف زيدان عن روايته (عزازيل)، وفاز بها في الدورة الثالثة عام ٢٠١٠م الروائي السعودي عبده خال عن روايته (ترمي بشرر). وتمّت ترجمة الأعمال الثلاثة الفائزة بالجائزة في دوراتها الثلاث إلى اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأخرى.

جارالله الحميد
حائل - السعودية

الذي خبأ الأوراق: أنا!

(إهداء إلى نبض فقط!)

تعالي إليّ.
بدون مناسبة، كل يوم وأنت مناسبة للحنين!
وفي كل يوم أرى فيك ما لا ترين.
أيهذي التي ابتدأت ترجّ زجاجة قلبي، وتمنحني جرعتين!
فواحدة لندى البحر، وأخرى لكي أستكين.
فمازلت لا أملك غير (الكلام).
وفي الشارع العام ليس الكلام سوى مسّ شيطان، ولا يقبل البنك أن
يفتح أبوابه للذي هو ليس غير (كلام)!
أنا الآن تحت ركام الكلام.
الرفيقات: كتبٌ، موسيقا، مجلات تافهة، صور داخل رأس تنام
الدنى حوله لا ينام!
الرفاق: اكتئاب وقرص المهدئ والفلم الذي تتقاتل فيه العصابات.
شاي وتبغ ومتكأ لكي لا يتكسّر ظهري بطول الجلوس!
ودفؤك حيناً يهب فيلقي التحية مستعجلا
وأقول له: هبّ يا دفء فإني أحسّ بأني أجالس صخر الفلا!
وتغيبين.
تذهبين إلى حيث أمكنة أتمنى
وإلى غرفة يشمل البحر زرقتها بالتموّج والاحتلام!
بينما الآن أفتّش عن (عمل) في الجريدة.
وحتى الجرائد حين علمن بأني أفتّشهن فقط
لأصطاد شغلا
كففن! وصرن ليس ينشرن باب الباحثين عن العمل. اكتفين
بإعلاناتهن عن القصر اللازوردي حيث تملك بعض من الناس
شققاً للسهرات
وأنا لست أعرف شكل اللازورد. وليس يريح عيوني منظر للبنايات
التي نصفها من زجاج وثلاثة أرباعها منكرات!
ولكنّ إعلانهم كأني به قال: لا تخافوا ولا تحزنوا
فإن جفّ ضرع العرق
فالسفارات تملك تاريخها، فهي تفزع للأغبياء
وأما الملازم، إن النظام لا يسمح لا له ولا أحد غيره
أن يعكر صفو ليالي الوناسة!
كلنا يعرف العسس الحارسين لباسه!
الثقوب على الثوب والفترة المتعرفطة الأوجه التي سئمت من وجود
ليس تملك فيه غير بنفسجة الشعر أو حنين الكمنجة!
دون أن يطردونا سيوحى إلينا بأنهمو طاردونا
ونعود إلى الخلف، عاماً.. سنينا.. سنينا.. سنينا!
ولكن بأيّ الفنادق تستضيفين هذا اللسان؟
وأنا أعلم أنك لا تملكين بطاقة (فيزا)!
فاستخرجي من بطاقاتهم واحدة للقاء!
ونمزّقها حين يثمر فينا جنى البرتقال.
وننسى بأنا الصعاليك
وللصعلوك في زمني هذا المتكسر أن ينادي
وناديت، ناديت (كمن صوت نادى صوتك؟ عذبتني يا نحيل الجسم
عذب الصوت) أكملت:



(دوّار بالديرة
وأسأل عن أخباركم وطيوري لصغيره، ترقص
ترقص على بابكم
أووووه.. عذبتني..)
وناديت بح الفؤاد لما لا يرى،
وقلت: إلهي لمَ تحشرني مع العمي، كنت بصيرا!
وردّ بأنا ستعيشك ضنكا
وها نحن نحشرك اليوم أعمى!!
وردّد صوتك حالمة: أين دفؤك؟
قلت: مات. وسوف نصلي على روحه ظهيرة يوم الخميس،
ليبقَ إذاً، قلت وعدتِ تغطّين في نومك المشبع المستريح!
xxx
لست أعرف قاتلتي
وتسخر مني مرآة مكسورة ألصقت بالجدار
كيف تزعم أنك تعرف كل الحمائم
كلّ القرى
وأنك روّضت حتى شجيرة تين
تلمسها، فتضخّ حليب الرضا على إصبعك؟!
أنت تعرف كل الشوارع
أنت أحرقت كل الأصابع
فلو كان أن الرفيقة هبّت عليك
لارتوى دمك الموغل في ميتة وانتشى
ومشى!
وأزاح شعور العطاش وحوّل رغبته نحو أنثى لها دُرجها، منه تخرج أقراطها، وفيه تخبّئ أوراقها، ورائحة الدرج تفضحها إنها فوحها، بوحها، قصيدتها المابارحت بالها، وما اكتملت: كيف يكملها رجل وتكتملان!
يا يدان
هما عزفاني بمفتتح الأوركسترا
وتركاني أسير الموسيقا التي تبتدي بالحنين ولا تنتهي
وأنت لها الهارموني الحيّ من تشايكوفسكي إلى ملك المهرجان!
أنا النبض إني على حافة الورد إني لأمسك عنقود شعر كان النبيذ الجميل بعض رائحة منه
إني لأمانئ تبغي لأجل حساسيتك
وأتفادى احتمالاً أكيداً برقاد من السرطان!

أعـــلام

يوسا المتمرّد على الشيوعية..

لكم ماركيز ونال نوبل فتعادل معه

حسين حسن حسين
هيئة التحرير

بروايته غابرييل ماركيز «مئة عام من العزلة» انفتح الباب أمام الرواية الأمريكية اللاتينية، التي كانت خير معبّر عن هذه القارة التي تضم خليطاً عجيباً من البشر، ومجتمعات لها نكهتها الخاصة. وقد استطاع كتّاب آخرون غير ماركيز أن يلفتوا الأنظار بأسلوبهم السردي المختلف، وتعبيرهم عن إيقاع الحياة اللاتينية؛ لتعيش أوربا وأمريكا على أمجاد كتّابها الذين بهروا العالم في وقت مضى؛ مثل: همنغواي، وفيتز جيرالد، وكالدويل، وشتاينبك، وفولكنر، وسارتر، وكامي، وأندريه مالرو، وبوفوار، ولورنس داريل، وغيرهم.

وعندما يفوز روائي متميّز؛ مثل ماريو فارغاس يوسا، بجائزة نوبل للأدب في هذا العام يكون هو الأمريكي اللاتيني الرابع الذي ينالها بعد أن سبقه كلّ من: بابلو نيرودا (١٩٧١م)، وماركيز (١٩٨٢م)، وأوكتافيو باث (١٩٩٠م).

وبدا هذا الفوز ليوسا مفاجأةً: فهو لم يتوقع أن تأتي إليه الجائزة بهذه السهولة، خصوصاً أن التوقعات كانت في جانب كورماك ماكارثي الأمريكي، وأثيننو نغوغي الكيني.

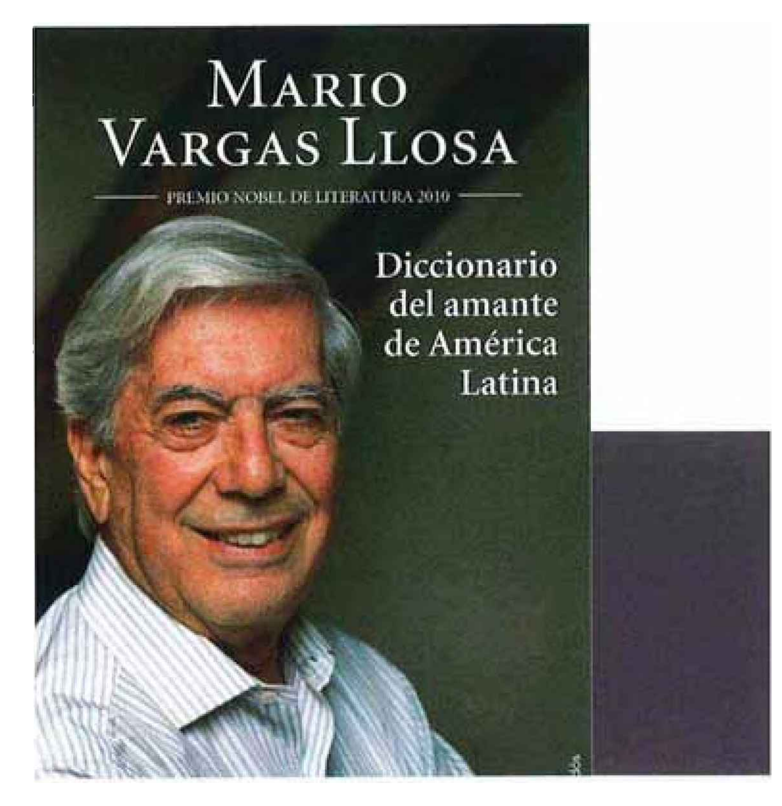
وعلّق ماريو فارغاس يوسا على منحه الجائزة بقوله: «أعتقد أنه اعتراف بأدب أمريكا اللاتينية والأدب باللغة الإسبانية، وهو أمر يجب أن نسعد به جميعاً». وحين سألته إذاعة آر بي بي البيروفية عن كيف علم بفوزه بالجائزة، قال: «كنتُ مستيقظاً أعمل منذ الخامسة صباحاً، ورنّ الهاتف.. حضرت باتريشيا (زوجته)، وقالت لي: اتصل سيد يتكلم الإنجليزية وقطع الاتصال». وتابع أن ذلك السيد كان في الواقع «السكرتير العام للأكاديمية. ظننتُ أنه مقلب: فقد وقع ألبرتو مورافيا (الكاتب الإيطالي) في المقلب الخبيث ذاته، اتصل به أحد أعدائه، لكنه لم يكن حصل على الجائزة في الواقع».

وقال معلقاً: «أشعر بالرغبة في القيام بنزهة في حديقة سنترال بارك. إنها طريقة جيدة لبدء يوم نيويوركي».

وجاء في حيثيات بيان الجائزة أنها اختارته «لبراعته في رسمه المفصل للصراعات على السلطة، وتصوير المقاومة، والثورة، والهزيمة داخل الفرد». وقال بيتر أنجلد، الأمين العام الدائم للجنة نوبل: «إنه كاتب متميّز، وأحد أعظم الأدباء في الدول الناطقة بالإسبانية.. إنه من الذين كانوا وراء ازدهار الأدب في أمريكا اللاتينية في الستينيات والسبعينيات، وواصل العمل والانتشار».

جيل متميز

ينتمي فارغاس يوسا إلى جيل متميّز من أدباء أمريكا اللاتينية بهروا العالم، وقدّموا روايات كشفت تفاصيل مجتمع له خصوصيته، ومن هؤلاء: أوكتافيو باث (١٩١٤- ١٩٩٨م)، وخوليو كورتازار (١٨٩٤- ١٩١٤م)، وغابرييل غارسيا ماركيز (وُلد عام ١٩٢٧م)، وكارلوس فوينتيس (وُلد عام ١٩٢٨م). وتميّز أغلبهم بمحاولة التجديد بتمثّل التجربة الأوربية بتأثر واضح بأعلامها من أمثال: جيمس جويس، وفرانز كافكا، وفوكنر، ومارلو.





يوسا في حوار إعلامي في شبابه

حياة صاخبة

ويبدو أن صخب الحياة التي عاشها الكتّاب اللاتينيون ساعدتهم على التعبير الصادق عن مجتمعهم: فقد خبروا من خلال التفاعل مع واقعهم أسراره، وعلاقاته، والمؤثرات في رسم هذا الواقع.

وماريو فارغاس يوسا دخل معترك الحياة وهو لا يزال صغيراً؛ فلم يعرف أن والده على قيد الحياة إلا وهو في سن العاشرة؛ إذ كان يعيش في كنف جده لأمه. وهو في هذا يتشابه مع صديقه ماركيز، الذي تحوّل إلى عدو فيما بعد.

وعاش يوسا في داخليات المدارس وهو طفل، وقاسى صرامة نظامها، وانطلق ليعيش في شبابه حياة بوهيمية، وتزوّج أخت زوجة خاله جوليا أركويدي ثمانية أعوام وهو في التاسعة عشرة من عمره، بينما كانت هي في الثالثة عشرة من عمرها.

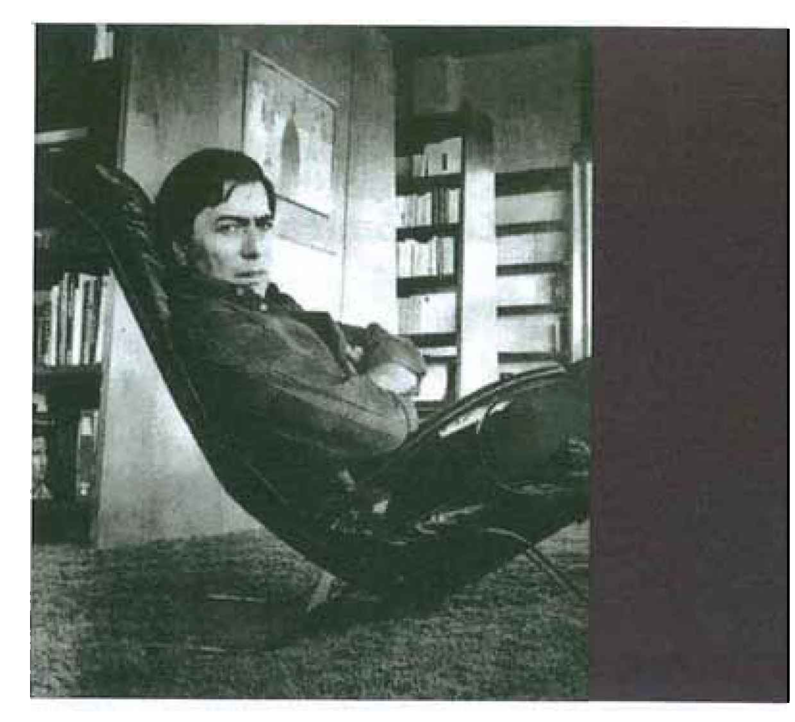
وكانت القراءة مع ذلك سلوى له، وكان ما اكتسبه من ثقافة من خلالها مدخلاً له للعمل في الصحافة بعد أن كان قد التحق طالباً في الأكاديمية العسكرية ليونثيو برادو مدرسة ليما العسكرية. التي أكسبته لقب العسكري الذي عُرف به بين أصدقائه.

وبعدما درس العسكرية حاز شهادة ليسانس في الآداب من جامعة سان ماركو في ليما، ثم حصل على منحة مكّنته من مواصلة دراساته حتى حصل على دكتوراه من مدريد، وعمل يوسا بالتدريس في جامعتي لندن وكامبريدج، كما عاش مدة من حياته في برشلونة وباريس.

يوسا وتأثير باريس

زار يوسا باريس أول مرة في عام ١٩٥٩م، وكان في سن الثالثة والعشرين، وهو يقول عن ذلك في حوار صحفي: إنه اشتغل في

يوسا: أعتقد أن الجائزة اعتراف بأدب أمريكا اللاتينية والأدب باللغة الإسبانية، وهو أمر يجب أن نسعد به جميعاً.



البداية أستاذاً للغة الإسبانية في مدرسة بارليتز (باريس). ثم انتقل إلى الصحافة، فعمل في وكالة الأنباء الفرنسية، ثم الإذاعة والتلفزيون الفرنسيين بعد أن عمل ديجول على توسيع أمواج بث الإذاعة الموجّهة إلى إسبانيا، وتأسيس إذاعة موجّهة إلى أمريكا اللاتينية؛ مما أوجد حاجة إلى صحفيين يتكلمون اللغة الإسبانية.

وتحدث يوسا بعشق عن باريس وانفتاحها، وانتعاش الحياة الثقافية فيها؛ إذ تتزاحم أعمال بيكت، ويونيسكو، وفيلار، وبارو، وبوليز، وناتالي ساروت، وكلود سيمون. وكشف عن غرامه بالأدب الفرنسي؛ إذ بدأ القراءة باللغة الفرنسية مع قراءة جيل فارن، وألكسندر دوما، وفيكتور هيغو، مشيراً إلى تأثير فرنسا في آداب أمريكا اللاتينية، فكانت جامعة سان ماركوس في العاصمة البيروفية ليما حين دخلها تعجّ بالجدلية الدائرة بين كامو وسارتر، فحرص على متابعتها عبر مجلتي (أزمنة معاصرة)، و(آداب جديدة) لموريس نادو. وأضاف يوسا: إنه اكتشف في باريس أدب أمريكا اللاتينية، فتعرّف هناك إلى كتّاب مثل كورتازار، وكارلوس فوانتيس، وأوكتافيو باث، وميغال أنخيل أستورياس، بل إن موريس أندو أفرد عدداً خاصاً من (الآداب الجديدة) لأدباء أمريكا اللاتينية بعنوان: (باريس عاصمة أدب أمريكا اللاتينية)، وفي هذه الأجواء أدرك يوسا انتماءه إلى أمريكا اللاتينية. ولتأكيد أثر باريس في الأدب اللاتيني أوضح يوسا أن بورخيس كان كاتباً مغموراً قبل وصوله إلى باريس عام ١٩٦٣م.

كتاب لهم تأثير

يبدي يوسا إعجابه الشديد ببورخيس، مع أنه يرى أن كتابته بعيدة كل البعد من كتابته، وشياطينه غريبة عن شياطينه، ولعله يقرأ بورخيس دائماً بنوع من الحنين والمالنخوليا كما يقول.

أما انجذابه الأول فكان لألكساندر دوما صاحب (الفرسان الثلاثة)، الذي أحبّ عالمه الرائع، ثم يأتي همنغواي، وفيتزجيرالد، وفوكنر في قائمة من تأثّر بهم، لكن فوكنر يعدّ الكاتب الأول الذي قرأه والقلم في يده؛ ليكتب الملاحظات على الهامش محاولاً تفكيك هيكلياته. كما كان لدوس باسوس تأثير كبير في كتابته، إلى جانب إعجابه بكتّاب القرن التاسع عشر الفرنسيين، خصوصاً فلوبير، وقد انغمس بعده في سارتر، وكامو، ومالرو.

كاسترو وباتريشيا أنهيا صداقة العمر

جمعت الصداقة الحميمة بين ماركيز ويوسا، وكان اتفاقهما على الإعجاب بثورة فيدل كاسترو في كوبا من القواسم المشتركة، إلا أن يوسا انقلب على الثورة لاحقاً، بل اتّهم صديقه بأنه خانع لكاسترو، وقد توتّرت علاقتهما بسبب طلب ماركيز شطب اسمه من بيان إدانة كاسترو لمحاكمته الشاعر هيربرتو باديلا الذي نُشر في (لوموند) عام ١٩٧١م بتوقيع مثقفين يساريين في أوربا؛ منهم: خوان غويستيلو، وسارتر، ودو بوفوار، وكورتازار، وفارغاس يوسا، وكان بيلنيو ميدونزا قد وقّع على هذا البيان نيابةً عن ماركيز واثقاً أنه سيوافق عليه، لكن حدث ما لم يكن متوقعاً، وأنكر ماركيز البيان، وأعلن رفضه له.

ومع هذا الشأن العام، كان هناك شأن خاص هو سبب القطيعة بين الصديقين؛ فقد ظلّ يوسا يظنّ أن صديقه يُوسع الشقة بينه وبين زوجته باتريشيا، ويحرّضها على الطلاق؛ لذا تعدّدت الأسباب التي تسوّغ اللكمة القوية التي وجّهها فارغاس يوسا إلى صديقه في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٦م، التي سبّبت له فقدان الوعي، وأنهت مسيرة صداقة عبّر عنها يوسا في كتاب



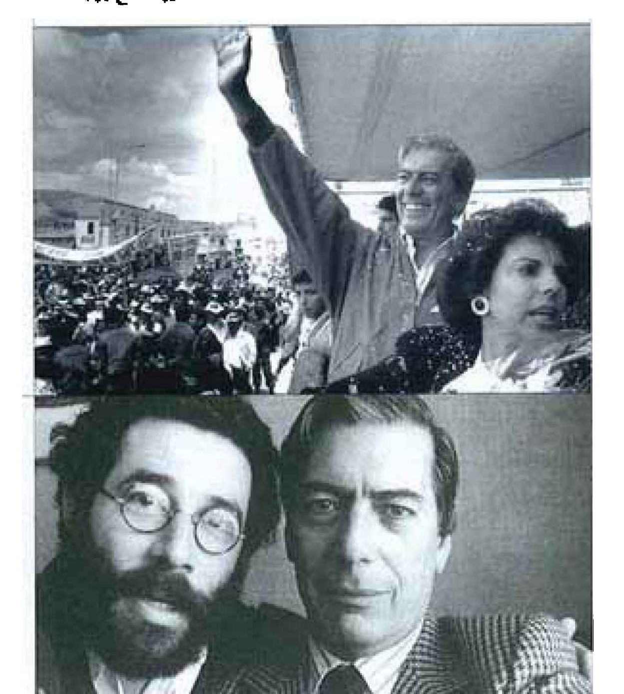


خصّ به صديقه ماركيز، ونال عنه درجة الدكتوراه من جامعة كومبلتنس الإسبانية. ومع هذا الخلاف لم يمانع في أن يكون جزء من هذه الرسالة الجامعية مقدمة طبعة احتفالية من رائعة ماركيز (مئة عام من العزلة) صدرت عام ٢٠٠٧م.

الانتقام من ماركيز

كتب الأستاذ ساطع نور الدين في صحيفة (السفير) اللبنانية منتقداً مَن هلّل من العرب لفوز يوسا بجائزة نوبل: «هو تعبير عن جهل أو عقدة نقص أن يحتفي النقاد العرب بفوز الكاتب البيروفي ماريو فارغاس يوسا بجائزة نوبل للآداب، ويتنافسوا على تقديمه إلى الجمهور بوصفه مبدعاً، ومتألقاً، وصديقاً شخصياً لبعضهم... من دون أيّ نقاش لخلفية قرار اللجنة السويدية، أو أيّ تقييم لنتاجات ذلك الأديب الخارج على إرث أمريكا اللاتينية الأدبي العريق والخلاق، الذي رفع النصف الجنوبي من القارة الأمريكية من مرتبة جمهوريات الموز إلى مرتبة متقدمة في الحضارة

يوسا مع زوجته



يوسا وماركيز أيام الصفاء

الإنسانية». وأضاف: «والأغرب أن يركّز النقاد على تقلّبات ذلك الكاتب الذي بدأ حياته يسارياً متطرفاً، ثم توّجها في أقصى اليمين، مسجلاً عودة الأدب اللاتيني إلى الولايات المتحدة مسلّماً بمرجعيتها، متنكراً لكلّ ما يمثّله ذلك الأدب من تمرّد على الأخ الأكبر». واختتم بقوله: «يجوز القول: إن لجنة نوبل باختيارها يوسا أرادت الانتقام من ماركيز بالذات، الذي ما إن حصل على الجائزة في العام ١٩٨٢م حتى أعلن توكيد مناهضته أمريكا وسياساتها وثقافاتها، ولا يزال صديقاً وفياً لجميع خصومه». أما ماركيز، فقد علّق على فوز يوسا بالجائزة بقوله: «الآن قد تعادلنا».

ألف ليلة وليلة بقلمه

من جانب آخر، أبدى يوسا احترامه الأدب العربي، وأصدر طبعة خاصة منقحة ومحرّرة من (ألف ليلة وليلة) - العمل الأشهر في الأدب العربي - صاغ فيها رؤيته الخاصة، ووضع لها تمهيداً من تأليفه، بعد أن قام بتقديمها على المسرح من خلال سبعة عروض في إسبانيا منذ يوليو الماضي، بمساعدة الممثلة أيتانا سانشيز خيخون. وأوضح أن هدفه الأول من هذا العمل هو تكريم (ألف ليلة وليلة)، بوصفها جنساً أدبياً عريقاً كان له فضل الريادة في ابتكار القصص وسردها من أجل تحقيق السعادة للبشرية، مشيراً إلى أنها الرسالة الحقيقية للأدب التي تكمن في المقاومة الدائمة للحزن والتعاسة والإحباط. ويرى يوسا أن أهم ما تحمله رواية (ألف ليلة وليلة) من معاني يكمن في «التوظيف الإنساني الأكثر تحضّراً ومدنيةً للخيال»، فضلاً عن أن قوتها وجاذبيتها جعلتاها تترجم إلى معظم لغات العالم، وتظلّ حيةً وباقيةً عبر العصور. «وهو ما لم يتوافر لأيّ عمل أدبي آخر في التاريخ حتى شكسبير». ويؤكد يوسا أنه في رؤيته حرص على احترام البنية الأساسية للرواية وبعض حكاياتها، التي أصرّ على التعامل مع أقلّها شهرةً من أجل إعادة تقديمها، آخذاً في الحسبان اختصار بعض العناصر التي قد تثير حساسيةً ما في العصر الحديث.

التطلع إلى الرئاسة

يبدو أن السياسة تجري في دم يوسا منذ أن كان يسارياً يؤيد كاسترو، ويشيد بثورته؛ فقد تجسّد هذا التوجه المبكر نحو السياسة بعد سنوات في تطلّعه إلى الرئاسة في بيرو؛ إذ خاض تجربة الترشّح للرئاسة في بلاده عام ١٩٩٠م في منافسة مع الرئيس السابق ألبرتو فوجيموري. يقول الأستاذ محمد سلماوي إنه سأل فوجيموري في حوار نشرته صحيفة (الأهرام) المصرية عام ١٩٩٨م، وكان في مدة رئاسته الثانية، عن سبب فوزه على فارغاس يوسا على الرغم من شعبية الكاتب الكبير، فقال: إن خطاب الكاتب كان مغرقاً في التقنيات السياسية، وإن أسلوبه الأرستقراطي باعد بينه وبين الناخبين. وعلّق على ذلك سلماوي بقوله: عجبتُ لهذا الرأي؛ فمع المظهر الأنيق لماريو يوسا إلا أن والده كان سائق أتوبيس، كما أن حملته الانتخابية ركّزت في الديمقراطية وحقوق الإنسان، وقد كانت التجاوزات في هذين المجالين، خصوصاً الأخير منهما، هي السبب الذي من أجله

من أقوال يوسا

- «الأدب خطير على الطغاة؛ لأن الواقع متواضع مقابل ما نتخيّله في الأدب؛ فهو يدعو إلى التمرّد، وهذا الأمر جعل الأنظمة القمعية تخلق رقابات متشددة على الإبداع».
- «القرن العشرون قرن الكوارث السياسية الكبيرة والحروب الفظيعة، لكنه - أيضاً - قرن إبداعات العقل الرائعة».
- «المهمة الأساسية للمبدع هي الدفاع عن الحريات، فمن دون هذه الحريات يكون الإبداع مهدّداً».
- «من يدخل الأدب بحماسة من يعتنق ديناً، ويكون مستعداً لأن يسخر لهذا الميل وقته وطاقته وجهده، هو وحده من سيكون في وضع يمكنه من أن يصير كاتباً حقاً، وأن يكتب عملاً يعيش بعده».
- «إن الأدب هو أفضل ما تمّ اختراعه للوقاية من التعاسة».

من أعمال يوسا



- البيت الأخضر - الزائرات - حرب نهاية العالم - قصة مايتا - دفاتر دون ريغوبرتو - امتداح الخالة - مَن قتل بالومينو موليرو؟ - حفلة التيس - الفردوس على الناصية الأخرى - رسائل إلى روائي شاب - شيطنات الطفلة الخبيثة - إيروس في الرواية - الحياة الحقيقية لأليخاندرو مايتا - عمة خوليا وكاتب السيناريو (مسرحية) - ماركيز: قصة محطِّم الآلهة (نقد) - المجون الأبدي: فلوبير ومدام بوفاري (نقد).

يقضي فوجيموري الآن عقوبة الحبس في أحد سجون بيرو، وهي أيضاً السبب الذي من أجله فاز غريمه بجائزة نوبل التي ورد في حيثياتها أن أعماله الأدبية ذات المضمون الإنساني كشفت النظم السلطوية، ودعت إلى حرية الفرد وحقوق الإنسان.

يوسا وحرب العراق.. موقفان متناقضان

توجّه ماريو فارغاس يوسا إلى العراق في ٢٥ يونيو عام ٢٠٠٣م برفقة ابنته المصوِّرة مورجانا، في رحلة استمرت اثني عشر يوماً فقط؛ بهدف الوقوف على حقيقة الأوضاع، وقد كان معارضاً بشدة للحرب على العراق.

هذه الرحلة غيّرت قناعاته السابقة، وكتب (يوميات من العراق) بالإسبانية، وقد تُرجمت إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية. وهي يوميات سبق أن نشرها في حينها في صحيفة (الباييس) الإسبانية. وأضاف في الكتاب أربعة بحوث له عن هذه الحرب.

والملاحظ أنه ركّز في الكتاب فيما سمّاه معاناة الأكراد مع نظام صدام حسين، وما تعرّضوا له من مجازر ومحاولات فرض التعريب عليهم، ويتحدث بإعجاب عن مدينة السليمانية، وجمال طبيعتها، حيث غابات من أشجار الصنوبر، وجداول مياه صغيرة، وشوارع نظيفة وواسعة تحيط بها الأشجار من كل جانب، ومحلات إنترنت كافيه، وماكدونالدز، وغابة من أطباق الستالايت فوق أسطح البيوت.

تعاطف مع القضية الفلسطينية

زار يوسا الأراضي الفلسطينية المحتلة، وقال: إنها كانت من أسوأ التجارب التي مرّ بها في حياته؛ إذ لم يكن يتصوّر تلك المعاناة الشديدة التي يعيشها الفلسطينيون. ووصف وضعهم بأنه غير إنساني، وقد تصوّر فيلماً توثيقياً لما شاهده من أعمال وحشية.

ويوضح الأستاذ رشاد أبو شاور موقف يوسا من القضية الفلسطينية من خلال مداخلة له في محاضرة ألقاها الأديب البيرو في يوم الاثنين ١٩ يونيو/ حزيران عام ٢٠٠٦م في المركز الثقافي الملكي في عمان بالأردن؛ إذ سأل يوسا: عُرف عنك مساندتك ودعمك إسرائيل، لكن صديقي صالح علماني، وهو مترجمك إلى العربية، أخبرني عن زيارتك فلسطين، وعن تأليفك كتاباً مهماً عن زيارتك، وفي الكتاب تعديلك وجهة نظرك حول حقوق الشعب الفلسطيني. يقول أبو شاور: استقبل يوسا مداخلتي - فهي أكثر من سؤال - بودّ، وأجاب بأنه مع دولتين: دولة للفلسطينيين، وأخرى لإسرائيل، وأنه يرفض العمليات التي تودي بحياة المدنيين، ويرى أنها إرهابية، وأن كتابه الذي ألّفه في إثر زيارته تلك كبير، ومن الصعب تلخيصه. وعلّق أبو شاور على كلام يوسا بقوله: لم أكن أطلب من يوسا – الكاتب الأمريكي اللاتيني المرشّح القويّ لجائزة نوبل للآداب - أن يعطينا أكثر من ذلك؛ فبعض العرب باتوا يطلبون لنا أقلّ بكثير من هذا الأمر، يتبعهم محترفو سياسة فلسطينيون بالتنظير على الفضائيات.

لقد تباينت آراء العرب حول يوسا، لكن لا أحد يختلف على أن هذا الأديب المتمرد على الشيوعية، الذي يعيش اليوم في الولايات المتحدة الأمريكية زائراً في إحدى جامعاتها، مبدع من طراز فريد، وهو يستحق هذه الجائزة عن جدارة مهما قيل عن الواقع السياسي وراء منحه إياها، وهو يحاول ألا تؤثر فيه هذه الجائزة؛ لذا لا يزال يمارس دوره الأكاديمي، ويحاول أن يركز في أعمال بورخيس الذي يقوم هو وطلابه بتحليلها؛ لما عرف عنه من شغف بها، وبأسرارها التي يحاول فك طلاسمها.

جوائز

- جائزة النقاد
- جائزة روميلو غاييغوس
- جائزة سيرفانتس
- جائزة بلانيتا
- جائزة بيبليوتيكا بريبي.



تربيتنا وأوجاع الضياع

● سليمى حسن محجوب
حلب – سورية

إعادة الرونق والبريق إلى التربية السليمة أمانة ومسؤولية تقع على عاتق المربّين تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه. هذه المسؤولية ممتدة وواسعة المساحات. تبدأ منذ سني الولادة إلى أن يندرج الطفل في رحلة التمييز، فالمراهقة، ثم يشتد عوده وينضج فكره، ويصبح مكلفاً سوياً له حقوق وعليه كتلة من الواجبات. لكننا نجد اليوم أن غابة من المنافي تقف بيننا وبين أبناء هذا الجيل: مما يجعل التربية تواجه حصاراً مخيفاً للأفكار والمبادئ التي تسعى إلى إزالة العتمة والبلادة عنها. وتعيد إلى التربية الصحوة والنضارة من جديد. الأمس واليوم والغد في صراع دائم. وهذا الأمر يضعنا أمام أسئلة قلقة حائرة تتوالد كلما دار الزمان بها عبر آلته الإيقاعية.

وينوء الإنسان بحمل الأسئلة التي لا تلبث أن تفتح أبواباً لرؤية جديدة يحدوها الأمل والرجاء. السؤال المهم الذي يطرح نفسه هو: كيف نستطيع أن نبني الأبناء كما بنى الأجداد الآباء؟ وبعبارة أخرى: كيف نربّي أبناءنا؟.

للجواب عن هذا السؤال لا بد من حوار مع الماضي الذي يستنطق التاريخ. يروي الجاحظ، وهو المربّي الكبير، أن ابن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدّب قال له: ليكن أول ما تبدأ به إصلاح بنيّ إصلاح نفسك: فإن أعينهم معقودة بعينك: فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبح عندهم ما استقبحت. وعلّمهم سِيَر الحكماء وأخلاق الأدباء. وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجّل بالدواء حتى يعرف الداء. ولا تتّكلن على عذر مني: فإني قد اتّكلت على كفاية منك.

من ذلك القول ندرك أن على المرء، مهما كان موقفه في عالم التربية أماً أو أباً، معلماً مربياً أو مشرفاً اجتماعياً، أن يبدأ بإصلاح نفسه: كي يكون قدوةً لمن سينهل من نبع عطائه. وليكن هذا النبع صافي المشارب من خلق كريم سويّ، وفكر لا عوج فيه.

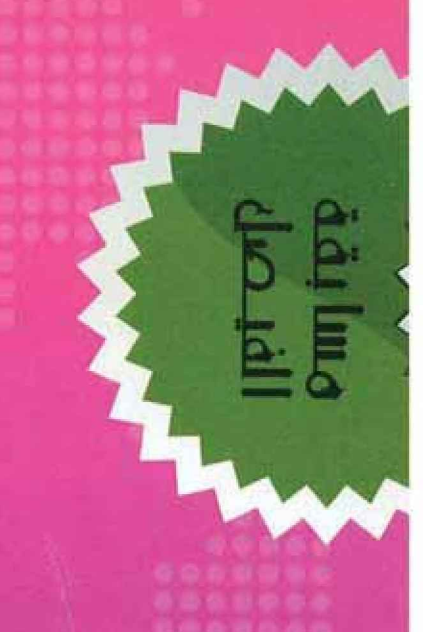
ما أكثر ما نجد من الإبداعات والآراء في عبقرية الفكر العربي: فهذا عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ينصح مؤدّب ولده قائلاً: علّمهم الصدق كما تعلّمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، روّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنّبهم السفلة: فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقّرهم في العلانية، وأنّبهم في السر، واضربهم على الكذب: إن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار.

في هذه الأقوال تراث قويّ، وخطط منهجية تربوية تعليمية مباشرة صريحة واضحة في غرس الأخلاق الكريمة من نجدة وشجاعة وكرامة ودعوة إلى الصدق الذي تنحسر به كل العثرات.

إن ظاهرة التواصل بين الأمة وماضيها ومفكّريها قادرة على خرق المفاهيم الصدئة التي تأتينا من فضاءات رمادية تتفشّى بيننا، ثم لا تلبث أن تطحننا وتشمرنا بالمرارة والخيبة، وتجعلنا نهاجر خارج انتماءاتنا. هذا الخلل أخذ يتسرّب إلى التربية المتوازنة التي وضع مفكّرونا أسسها ومبادئها: كالجاحظ، وابن خلدون، والإمام الغزالي، وغيرهم، وجعل الأبناء يضيعون بين الحيرة والتردّد فيما يأخذون من قيم عربية إسلامية، وفيما يدعون من أفكار وأذواق وميول تغزوهم في اجتياح ثقافي واجتماعي وافد من الخارج، ولكي نحصّنهم أمام هذا التيار وما يحمله من مكايد وخطط لا بد أن نوفّر لهم تربية عميقةً متأصلة الجذور، ومن هنا

كانت مهمة العمل التربوي المواءمة بين التراث ومعطيات التربية الحديثة، وبعبارة أخرى: هو التركيز في عوامل التكييف مع المجتمع بشكل مدروس. والمربّي الناجح هو الذي يملك القدرة على هذه المواءمة بين معطيات الماضي وتغيّرات الحاضر.

على المربّين وأولياء الأمور في هذا الوطن أن يلتمسوا لأبنائهم تربية هادفة واعية منظمة مدروسة، تهدف إلى التهذيب والانضباط والتنظيم والإدراك والتعليم: فلا يقعون في خطر مجاراة التيارات المتلاطمة وما تحمله من سيئات. وليكن المربّي أو المؤدّب كالطبيب الذي ذكره الجاحظ، لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، وعليه أن ينسج قيمه وتوجيهاته على منوال يكون صالحاً للشفاء، واستعادة العافية لتربيتنا التي أصبحت تئنّ تحت أوجاع الضياع والتأزّم والتشرذم. وعندما نصف الدواء السليم، ونقضي على الداء، يعود الرونق والبريق إلى التربية السليمة التي تبني الأجيال بناءً قويماً صادقاً نظيفاً، وبذلك نضمن لروافدنا الحضارية الحياة والبقاء والنماء.



أسماء الفائزين

أسماء الفائزين في مسابقة
العدد المزدوج ٤٠٩ - ٤١٠
رجب - شعبان ١٤٣١هـ

الفائز الأول:	أحمد محمود كريم - الرمثاء - الأردن.
الفائز الثاني:	عفاف محمود محمد - الفيوم - مصر.
الفائز الثالث:	أمين عبدالله سعيد عبده - صنعاء - اليمن.
الفائز الرابع:	راضي مهدي علي - المنامة - مملكة البحرين.
الفائز الخامس:	عبدالرحمن يوسف جقلان - حلب - سورية.
الفائز السادس:	عنوش الصافية - قرارم - الجزائر.
الفائز السابع:	أحمد أحمد عبدالعزيز العقاب - الرياض - السعودية.
الفائز الثامن:	يسرية أحمد محمد - أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة.

حل مسابقة

العدد المزدوج ٤٠٩ - ٤١٠
رجب - شعبان ١٤٣١هـ

١- أول سكرتير عام لهيئة الأمم المتحدة هو تريك فيلي.
٢- الأشهر الحرم هي: المحرم - رجب - ذو القعدة - ذو الحجة.
٣- الجمل هو أقوى الحيوانات ذاكرة.

CUT IT OUT

أسئلة مسابقة

العدد المزدوج ٤١٥ - ٤١٦
المحرم - صفر ١٤٣٢هـ

١- من هو باني قبة الصخرة؟
....
٢- ما أكبر عضو في جسم الإنسان؟
....
٣- من هو مخترع آلة التصوير الفوتوغرافي؟
....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....
العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً. وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

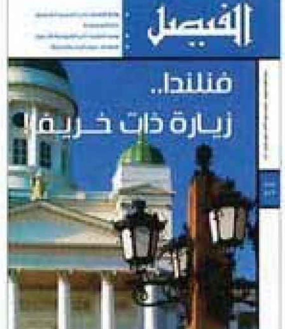
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)



الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- **قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.**
- **ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ - ٠٥٥٥٠٥ - ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني. شارع العليا العام - الرياض. أيبان: ٥٠٠١ ٥٥٥٠ ٠٠٤٠ ٠٠٠٠ ٤٥٠٠ AS٧٩**
- **يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.**

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية - هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١



الفيصل
مسلمو أوربا
انعزال أم اندماج؟
للاشتراك: ٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٦٤٠
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١ ص.ب ٣ الرياض ١١٤١١
contact@alfaisal-mag.com
www.alfaisal-mag.com